العدد الخامس- يونيو/ حزيران-٢٠٢٤السنة الثالثة

الناصية

مجلة فصلية تُعنى بقضايا الفكر والثقافة تصدر مؤقتا كل ستة أشهر عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن، ق. م

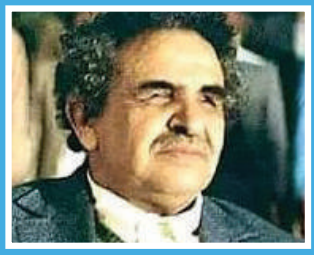

البردوني.. البصير الذي صار عينًا لشعبه (ملف)

فاروق السامعي- عزالدين العامري

محمد سعيد جرادة.. باحثًا

يحيى قاسم سهل

قراءة لدور النساء في تحقيق السلام المجتمعي

(عفراء حريري)

السخرية في شعر عمرو الإرياني

(سعيد بايونس)

تين شوكي

(سهير السمان)

تعز.. عوالم جمال ومعالم دهشة

عبدالواحد السامعي

الناصية

مجلة فصلية، تُعنى بقضايا الفكر والثقافة "تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر" عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

العدد (الخامس) يونيو /حزيران 2024 -السنة الثالثة

مجلة الفكر والثقافة

تأسست في عدن عام 2021 م

عنوان المجلة : اليمن عدن- كريتر

009672260082

00967777808724

00967771812087

ايميل: alnasyahclub@gmail.com

الاشتراكات:

يتفق بشأنها مع هيئة التحرير

ثمن النسخة : 2000 ريال يمني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية عدن:

1201/2022

طبع بمطابع (دبي) عدن

هاتف: 00967777997433

امسح QR

وتابعنا على مدونة المجلة

رئيس التحرير/

أ.د. يحيى قاسم سهل

مدير التحرير/

محمد عبد الرحمن سيف

سكرتير التحرير/

ماجد الشعيبي

المراجعة اللغوية/

د.عباس حسن الزامكي

الإخراج الفني

مراد محمد سعيد

تصميم الغلاف

ريان الشيباني

ماينشر في المجلة من مواضيع تعبر عن آراء كتابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر هيئة تحرير ها أو المؤسسة الصادرة عنها..

ألإهداء	3
الافتتاحية - رئيس التحرير	6

دراسات – بحوث – مقالات

الحرية المتخيلة والعدالة الغائبة. قاسم عبده المحبشي	7
اليمن : التاريخ والهوية.(1) قادري أحمد حيدر	15
أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية. : صعوبة المسار، وصواب الخيار في اليمن (2) - عبد الجبار عبدالله سعيد	29

ملف العدد [قضايا السلام في اليمن]

مسارات ارساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن. مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية	46
حرب تمر على أجساد النساء - ثريا دماج	73
قراءة لدور النساء لتحقيق السلام والأمن المجتمعي - عفراء خالد حريري	80

الملف الثقافي

البردوني : البصير الذي صار عينا لشعبه _ملف (1). فاروق السامعي، و عزالدين العامري	84
محمد سعيد جرادة : باحثاً.. يحيى قاسم سهل	102

أدب

شعرية السخرية في ديوان "الخروج من منفضة السجائر" لعمرو الاريانى. سعيد بايونس	109
إنتماء... أ. حمد قاسم دماج	117
سراب..... عادل الصياد	118
حديث الشوق.. محمد عبده أفلح	119
على ناصية الدهشة.. عبد الكريم الشميري	120
تين شوكي، سهير السمان	121
ماتيسر لحلم. سمير عبد الفتاح	123

مدن وتاريخ وثقافة

تعز : عوالم جمال ومعالم دهشة. عبد الواحد السامعي	125

مجتمع مدني

_المجتمع المدني في اليمن يرزح تحت التعسفات والقيود "تقرير" هناء عبد ربه	140

كتاب

تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن في كتاب موسوعي. ق، م	145

إصدارات	157
محددات النشر	161
تعرف علينا	162

الإهداء

هيئة التحرير

تقديـراً وعرفانـاً لـدور الأُدبـاء والكتـاب والمثقفـين الذيـن أثـروا بإعمالهـم الأدبيـة والفكريـة والثقافيـة الحيـاة الأدبيـة والحركـة الثقافيـة في اليمـن؛ فإننـا في مجلـة الناصيـة نهـدي هـذا العـدد لروحـي الأديبـين: الأسـتاذ أحمـد محفـوظ عمـر، والأسـتاذ محمـد صالـح حيـدرة، اللذيـن رحـلا عـن دنيانـا ونحـن بصـدد الإعـداد لإصـدار هـذا العـدد.

"نسأل الله العلي القدير أن يغشاهما برحمته الواسعة"

أولاً: الأستاذ الأديب الفقيد أحمد محفوظ عمر [في سطور]

الميلاد والدراسة، والعمل:

- ولـد الأديـب أحمـد محفـوظ عمـر في مدينـة عـدن سـنة 1936م، ودرس في مـدارس مدينـة عـدن حـتى أكمـل الثانويـة العامـة.

- عمـل بعـد تخرجـه مـن الثانويـة العامـة معلمـاً في مـدارس عـدن. وفي سـنة 1975م انتقـل للعمـل في مركـز البحـوث التربويـة بعـدن، وتـولى مسـؤولية مديـر تحريـر مجلـة "التربيـة الجديـدة". ثُـمَّ عمـل في مركـز الأبحـاث الثقافيـة بعـدن.

الأعمال الإبداعية:

يعـد الأديـب أحمد محفـوظ عمر أحد الشـخصيات الرائـدة في الأدب اليمـني الحديـث. وواحـد مـن رواد القصـة القصـيرة في اليمـن، وصاحـب ثـاني مجموعـة قصصيـة يمنيـة (الإنـذار الممـزق سـنة 1960م) بعـد مجموعـة (أنـت شـيوعي لصالـح الدحـان سـنة 1957م)

_ صدرت له أربع مجموعات قصصية، هي:
- الإنذار الممزق سنة 1960م.
- الاجراس الصامتة عام 1974م.
- يا أهل هذا الجبل عام 1978م.
- الناب الأزرق عام 1980م.
جُمِعتْ هذه الأعمال في مجلَّد واحد، بعنوان "الأعمال القصصية الكاملة" عام 2010م.
_ كما أصدر كتاباً بعنوان "قطرات من حبر ملون"، وهو عبارة عن مقالات نشرها الكاتب في صحيفتي الأيام، و14 أكتوبر الصادرتان في عدن.
_ له مجموعة قصصية، وروايتان. لم تصدر بعد.
_ من مؤسسي اتحاد الأُدباء والكتاب اليمنيين.
_ تُرجمتْ أعماله إلى اللغة الإيطالية، وأُدرجتْ عام 2009م ضمن مختارات الأدب اليمني التي تُسمَّى " بيرل ديلو اليمن".
وفاته:
توفي الأديب أحمد محفوظ عمر يوم 27 يناير 2024م في مدينة عدن عن عمر ناهز الـ (88) عاماً.

ثانياً: الأستاذ الأديب الفقيد محمد صالح حيدرة. [في سطور]

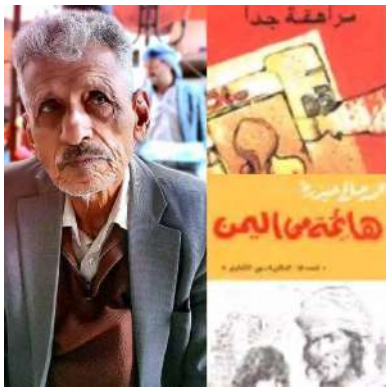

الميلاد والدراسة، والعمل:
- ولد الفقيد محمد صالح حيدرة سنة 1952م، في مديرية لودر محافظة أبين. درس في مدارس مدينة عدن حتى الثانوية العامة.
- ثُمَّ درس الإعلام والاتصال في جامعة القاهرة.
- عمل بعد تخرجه من الجامعة، ولفترة قصيرة مدرساً، ثُمَّ عاد للعمل الإعلامي

والصحفي. فعمل معدا لبرامج إذاعية ذات طابع ثقافي، ثم مسؤولا عن القسم الثقافي "لصحيفة 14 إكتوبر. وفي عام 1990م بعد قيام دولة الوحدة عُيّنَ في زارة الإعلام. ثم وكيلا لوزارة الثقافة. وبعد حرب صيف عام 1994م عُيّنَ سكرتيراً صحفياً لنائب رئيس الجمهورية، لكنه ترك العمل في هذا المنصب بعد فترة قصيرة.

أعماله الإبداعية:

- يُعدُّ الصحفي والاعلامي محمد صالح حيدرة من كتاب القصة القصيرة في اليمن.

- وقد صدرت له أربع مجموعات قصصية هي:

- "هائمة من اليمن" عام 1974م، عن دار روز اليوسف بالقاهرة، وأُعيد نشرها في طبعة ثانية عن لجنة نشر الكتاب اليمني التابع لوزارة الثقافة عدن ودار الفارابي بيروت عام 1978م.

- في عام 1978م صدرت مجموعته الثانية "مراهقة جداً".

- وفي عام 1980م أصدر مجموعته الثالثة "الغيوم المهاجرة".

- وفي عام 1994م أصدر مجموعته الرابعة "بين الخطوط".

- أعدَّ قبل وفاته كتابين للنشر: أحدهما تحت عنوان "رحلة التعب الجميل - أطياف من ثقافة أواخر القرن العشرين، وهو عبارة عن مواد ومقابلات مع رموز وشخصيات ثقافية وأدبية عربية" ومن المتوقع أن يصدر قريبا، عن منشورات مواعيد بصنعاء.

- ورواية "السفينة العرجاء" لا تزال تنتظر النشر.

وفاته:

توفي الأديب والصحفي محمد صالح حيدرة يوم 14 فبراير 2024م في حادث سير في مدينة صنعاء عن عمر يناهز الـ (72) عاماً.

الافتتاحية

رئيس التحرير

يصدر هذا العدد من (الناصية) والسواد يخيم على المشهد الثقافي اليمني، ويغطي السواد كذلك جزءاً من غلاف (الناصية) لرحيل علمين من أعلام السرد في اليمن هما: شيخ القصة القصيرة في اليمن الاستاذ أحمد محفوظ عمر عن 87 عاماً قضى أكثرها في الكتابة القصصية وأخلص لها كما لم يخلص لها أحد منذ مجموعته الأُولى (الإنذار الممزق) التي أصدرها عام 1960.

والراحل الآخر هو القاص والصحافي محمد صالح حيدرة، الذي صال وجال في الصحف اليمنية، وعمل مسؤولا للصفحة الثقافية في صحيفة 14 أكتوبر، وله عدة مجموعات قصصية منها (هائمة من اليمن) و(الغيوم المهاجرة) وآخر منصب رسمي تولاه "السكرتير الصحفي لنائب رئيس الجمهورية عبدربه منصور".

رحم الله الفقيدين واسكنهما فسيح جناته، وأسأل الله أن يلهم أسرهم وأهلهم الصبر والسلوان

وعزاء مجلة (الناصية) مواصلة السير على خطاهم، وحمل رسالتهم التنويرية، والإيمان العميق بالوظيفة التاريخية للمثقف خاصة في هذه الظروف التي يمرُّ بها الشعب اليمني الأصيل.

ومن ناحية أخرى بصدور هذا العدد تدخل مجلتنا "الناصية" عامها الثالث مستمرة في الصدور - كمنبر للتنوير، وواحة للفكر والثقافة والأدب، ورافداً جديدا من روافد الحركة التنويرية والثقافية والأدبية في اليمن – متجاوزة بعزيمة وإصرار كبيرين تحديات ومعوقات الإصدار التي تبدي ولا تنتهي.

وفي هذا العدد تستمر المجلة في نشر الدراسات والبحوث والملفات الفكرية والثقافية والأدبية التي نحسب أنها تهم القارئ والباحث، والمهتم بقضايا الفكر والثقافة والأدب، وتقدم خدمة معرفية وإن كانت متواضعة.

فقد احتوي هذا العدد على "19" دراسة ومادة ثقافية وأدبية، وتوزعت على ثمانية ابواب رئيسية هي:

_ دراسات، بحوث، مقالات، ملف العدد والذي كُرس لقضايا (السلام المجتمعي في اليمن) _الملف الثقافي، _أدب، _ ومدن وتاريخ وثقافة _مجتمع مدني _ وكتاب وإصدارات...

أخيراً نأمل أن تنال موضوعات ومواد هذا العدد رضى القارئ، كما نأمل من أعزائنا الأُدباء والمثقفين والأكاديميين والمهتمين بقضايا الثقافة، الاستمرار بدعم المجلة لضمان استمرارها في الصدور.

"الحرية المتخيلة والعدالة الغائبة"

تمهيد بمناسبة اليوم العالمي للحرية

د. قاسم عبده المحبشي
استاذ الفلسفة
كلية الأداب جامعة عدن

(الحرية؛ تلك الكلمة المكتوبة على مركبة العواصف) "كامو"

الحرية من المفاهيم الفلسفية الإشكالية في تاريخ المعرفة الإنسانية، فهي من الكلمات المفهومية المجردة التي عادة ما يرددها الناس في كل زمان ومكان دون فهم صحيح لمعناها، بل إن كثرة المعاني والدلالات التي يثيرها لفظ الحرية قد جعلها عرضة لسوء الفهم ومصدراً لشتى أنواع الالتباسات والغموض والتشوش إذ تنطوي على شبكة كاملة من الانفعالات الجمعية والفردية..

وترمز إلى التضحية والانطلاق والوثوب والتحدي والتمرد والإنكار والكفاح والاستقلال والابتكار والسمو والنضال والإبداع والصدفة واللا حتمية والعاصفة والشمس والريح والطيران وتحطيم القيود والدم واللون الأحمر والعدالة والقلق وآمال الشعوب المعذبة والانعتاق والطموح والتقدم والمغامرة والرقص والفرح والسعادة... الخ.

إنها الكلمة التي ينثر اللفظ بها كنانة شاملة من الغضب المقدس وتلهب النفوس بالرغبات والآمال والأحلام فهي تكتب في دفاتر التلاميذ، وعلى مقاعد الطالبات وعلى

جـذوع الأشـجار وعـلى الرمـل والثلـج وفي جـدران السـجون، وفي لوحـات الفنانـين، وفـوق الأضرحـة، وفي عيـون الفتيـات وتوشـم فـوق أجسـاد الشـباب وفي عقولهـم. إنهـا الكلمـة المكتوبـة عـلى مركبـة العواصـف بحسـب (كامـو)، ولعـل الإحسـاس بالـدوار الـذي ينتـاب المـرء حينمـا يكـون عليـه البحـث في مشـكل الحريـة يعـود إلى هلاميـة المفهـوم وضبابيتـه الفائقـة وغيـاب الخـبرة والتجربـة الحياتيـة لتحقيـق الحريـة. وهـذا مـا أكـده معظم الفلاسـفة والمفكريـن الـذي تناولـوا الحريـة بالبحـث والتحليـل فهـذا الفيلسـوف الكبـير (هيجـل) فيلسـوف العقـل المطلـق الـذي أكتشـف مـا لـم يسـتطع جميـع الفلاسـفة اكتشـافه "الجدل" وقـف محتـاراً أمـام لفـظ الحريـة، إذ كتـب: " هـذا اللفـظ "الحريـة" هـو لفـظ مبهـم غـير محـدد وكلمـة غامضـة لا يعتمـد عليهـا، إنـه عرضـة لسـوء فهـم لا نهايـة لـه، وألـوان مـن الخلـط والاضطـراب والأخطـاء لا حـصر لهـا كمـا إنهـا عرضـة لـكل مـا يمكـن تخيلـه مـن إسراف وتجـاوز" وهنـاك مـن يـرى أن الحريـة غـير قابلـة للتحديـد ولا للتسـمية، فهـي لا تقبـل أن توصـف، لأن لا ماهيـة لهـا ولا تخضـع لأي ضرورة منطقيـة والحـصر الدقيـق لمعانيهـا ليـس مـن شـأنه أن ينتهـي كمـا يقـول المفكـر المغـربي عبداللـه العـروي في كتابـه "مفهـوم الحريـة" ويـرى المسـتشرق (روزنتـال): "أن الحريـة عـبر التاريـخ اسـتطاعت أن تعتـق نفسـها مـن قيـود التعريفـات المؤطـرة وأن تتطـور إلى واحـد مـن المصطلحـات المجـردة القويـة، لكنهـا في ذات الوقـت غـدت موضوعـا لتعريفـات متعـددة وأدبيـات واسـعة" وهـذا مـا حـذا بالمفكـر المغـربي محمـد عزيـز الحبـابي أن يقـترح الحديـث عـن "حريـات لا عـن حريـة" فالحريـات ملموسـة والحريـة مجـردة.

تجـدر الإشـارة إلى أن تراثنـا الثقـافي العـربي الإسـلامي شـديد الفقـر فيمـا يخـص الحريـة ودلالاتهـا المفهوميـة وكل مـا نعرفـه عـن الحريـة الإسـلامية لا يتعـدى عبـارة الخليفـة ألراشـدي عمـر بـن الخطـاب وبعـض تصـورات المتكلمـين مـن المعتزلـة في سـياق حديثهـم عـن "الجـبر والاختيـار" وسـؤال هـل الإنسـان مخـير أم مسـير؟ فيمـا عـدا ذلـك فالوعـي القـدري والرضـوخ لمشـيئة الأقـدار والطاعـة والامتثـال والرضـاء بالمكتـوب هـو الأفـق الـذي سـاد ومـا يـزال سـائداً في المجتمعـات العربيـة الإسـلامية إذ إن غيـاب اسـم الحريـة مـن القواميـس الفلسـفية الإسـلامية دليـلاً عـلى أن الأفـق الفلسـفي للحضـارة العربيـة الإسـلامية لـم يكـن يسـمح بانبثـاق سـؤالها الفلسـفي والاشـتباك مـع دلالاتهـا الإنسـانية العموميـة. لكـن هـذا لا يعـني خلـو اللغـة العربيـة وقواميسـها مـن الرمـوز الـتي تنتمـي إلى مجـال الحريـة ، كالاختيـار، والإرادة ، والقـدرة، والمشـيئة، والاسـتطاعة، والرويـة، والعقـل... الـخ؛ فقـد كانـت نشـأة علـم الـكلام مرتبطـة أساسـاً بحـل إشـكال علاقـة الإرادة الإنسـانية بـالإرادة الإلهيـة، في حـين اسـتعمل التصـوف اسـم الحريـة في أنحـاء دلاليـة غـير متوقعـة، كادت ترمـي بالحريـة

في أحضان العبودية ففي لسان العرب نقرأ خمسة اشارات أساسية لمادة الحر والحرية تحمل عدد من المعاني؛ معنى اجتماعي فقهي، وهو المقابل لمعنى العبودية، سواء من جهة الاسم، فالحر والحرة نقيض العبد والأمة، أو من جهة الفعل: حر يحر إذا أعتق أو صار حراً. ومعنى اجتماعي قيمي يشير إلى مرتبة رفيعة في الشرف والكمال والعزة والفضل والكرم. فأحرار الناس هم أخيارهم وأفاضلهم الذين لهم الشرف والعزة، والحرة هي الكريمة من النساء، ويقال هو حرية قومه، أي من خالصهم. كما تشير مشتقات ومعنى جمالي ثقافي يتصل بالناس أو بالأفعال، فالحر هو الفعل الحسن والجميل، والحُسن الأحر، أي الأرق. وللحرية معاني طبيعية تتصل بالجودة والجود. فالأرض أو الفاكهة الحرة هي الطيبة الخيرة، والحر في كل شيء هو الفاخر، والسحابة الحرة هي الكثيرة المطر، وأحرار البقول ما رق ورطب منها والدهن الحر هو الخالي من الكرسترول. وتستعمل التصوفية كلمة حرية بمعنى العبودية. "فالحرية عند السالكين انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالكلية. فالعبد في مقام الحرية يأتي عليه وقت لا يتعلق فيه بأي غرض من الأغراض الدنيوية، فلا يهتم بالدنيا ولا بالآخرة ويرى الجرجاني أن "الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة تعني الخروج عن الكائنات وقطع جميع العلائق الأغيار إن العبد إذا وصل إلى مقام الحرية تخلص من قيود النفس، يعني أنه لا يتبع ما تأمر به النفس، بل يكون مالكاً لزمام نفسه، وتصير نفسه مطيعة ومنقادة له، وتبتعد عنه تكاليف العبادة ومشقتها، فيرى في العبادة نشاطه وراحته، ويؤدي العبادة بنشاط" ويري بعض المتصوفة أن الحر هو ما كملت فيه ثمانية أشياء: الأقوال، والأفعال، والمعارف، والأخلاق الحميدة، والترك، والعزلة، والقناعة، والفراغ. فإذا كان لشخص الأربعة الأولى سمي بالغا لا حرا".

وهكذا يمكن القول إن دلالات الحرية في المدونة العربية الإسلامية ليست وجودية ومعرفية ميتافيزيقية بل تدور في أفق القيم الأخلاقية والجمالية والممارسات الصوفية الذاتية. بينما اكتسبت الحرية في الفلسفة معاني ودلالات وجودية تتصل بحياة الكائن الإنساني وتعييناته وجوده في العالم. إذ تُعدُّ الحرية من أهم المباحث الفلسفية في الفكر الفلسفي القديم والحديث والمعاصر، إذ جرى النظر إليها من خلال بعدين أساسيين هما:

1) الحرية الأنطولوجية:

حرية الكائن من حيث هو موجود بين بقية الكائنات الأخرى، هل هذا الوجود مشروط بضرورة قاسية. وهذا ما ساد الفلسفة اليونانية إذ إن الفكرة التي هيمنت على المزاج الفلسفي اليوناني هي فكرة الاضمحلال وارتبط هذا الشعور أو الموقف بفكرة

القدر، ولم تكن مأساة (أوديب) الشهيرة إلا نموذجاً صارخاً على هيمنة القدرية الصارمة "ان الموير" ربة القدر كانت قد حددت لأوديب حياته وأحداثها قبل أن يولد ولم تُجْدِ محاولة والديه للتخلص منه وهو رضيع حينما وضعوه في صندوق وتركوه في مكان خالٍ، لم تحل هذه المحاولة دون ضربة القدر اللازمة التي سبق وأن تكهنت بها العرافة حينما قالت لوالديه أنه سوف يأتي لكم ولد يقتل أباه ويتزوج أمه، وبالفعل هذا الذي حدث، وأصبح أوديب مذنباً على كره منه، أي لم يكن يمتلك خياراً في ارتكاب ما ارتكبه من ذنوب. وقد جعل عالم التحليل النفسي فرويد من هذه العقد "عقدة أوديب" مبدأ أساس يتحكم في سلوك الإنسان حينما اعتبر الجنس هو السبب الجوهري لكل سلوك الإنسان، وهو بذلك إيمان بالحتمية السيكولوجية.

إن النظر إلى الحرية الإنطولوجية قد جاء محكوماً بثلاثة اتجاهات فكرية أساسية:

1. الفكرة التي تقول بوجود حتمية صرامة بالكون، نفي الحرية.
2. لا وجود للحتمية، أي إقرار الصدفة، حرية مطلقة.
3. هناك نظام يخضع للضرورة والصدفة، حرية نسبية.

ولعل "بروميثوس" اليوناني سارق النار من الآلهة – آلهة اليونان - هو خير شاهد على وجود وعي بالحرية الميتافيزيقية. فهو رمز التمرد والعصيان ضد الحتمية من خلال:

* الصراع ضد الموت.
* الطموح الأعمى.
* محبة البشر.

وإذا كنا لا نجد في عالم القدسيات مشكلة الحرية والتمرد فذلك لأننا في الحقيقة لا نجد فيه أي التباس، فلقد أعطيت جميع الأجوبة دفعة واحدة، ولم تعد هناك تساؤلات ولا مجالاً للشك والقلق، بل أن هناك أجوبة وتفسيرات خالدة وإيمان ويقين مطمئن، في عالم كهذا يكون كل كلام حمداً وشكراً، وهذا ما نراه في المسيحية، فالحرية عند القديس "أوغسطين" (هي معرفة الله) مع المسيحية تكتسب فكرة القدرية أصغر معانيها، فكل أفعال الإنسان وأفكاره وأعماله وخواطره ونواياه مقدرة عليه سلفاً وعليه، أي الإنسان، أن يرضى بقدره ومصيره ويتحمل العذاب والألم وكل سعيه هو التكفير عن الخطيئة الأولى.

2) الحرية التاريخية:

أي حرية الإنسان باعتباره فرداً في جماعة، طبقة، قبيلة، مجتمع، قومية، أمة، عالم، ما هي شروط هذه الحرية الاجتماعية، حرية العمل والتفكير والإرادة الحرية السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والأخلاقية.. الخ.

إلى أي مدى يكون الإنسان حراً في مجتمع؟ إن الحرية هنا مشروطة بحرية الآخرين، وهناك فرق بين الحرية الصورية، حرية التعبير والرأي والفكر، والحرية الحقيقية الفعلية، حرية العيش الكريم والحصول على العمل وتأمين متطلبات الحياة الضرورية، فما قيمة الحرية حينما لا يجد الإنسان عملاً ولا يستطيع تأمين لقمة عيشه في ظل غياب العدالة الاجتماعية في توزيع الإنتاج وتوفير فرص العيش للجميع؛ أي إنه لا وجود للحرية الفعلية في ظل عدم وجود ما يمكن الإنسان من التمتع بهذا الحرية، فإما أن يكون الإنسان حراً وقادراً على العيش، وأما أن يظل الحديث عن الحرية حديث خرافة، فلا حرية في ظل غياب العدالة الاجتماعية. ومأزق الحرية ينجم من عدم كفايتها الذاتية.

لقد بلغ اغتراب الإنسان المعاصر حده الاقصى حيث أصبح الإنسان أشبه بالآلة المبرمج، يتحدث ويسلك كما يريد الآخرون، إن الإنسان لا يعبر في عالم هيمنه التقنية والمال عن نفسه، ومشاعره وتوقعاته وآماله، بل يعبر عن شيء آخر غير ذاته، وهذا ما أطلق عليه "هربرت ماركيوز" الإنسان ذا البعد الواحد، أي الإنسان المتمثل الذي يتحول الى كائن مستهلك يخضع للموضة والقيم السائدة دون حس نقدي، وعاطفة حارة. وهذا هو ما اشار اليه (اريك فروم) عندما تحدث عن مأزق الحرية في عالم الاستلاب المعاصر، حيث أماط اللثام عنه في كتابه "الإنسان بين الجوهر والمظهر" 9791م حينما قال: ((ليس الحرية في أن تكون لنا قرارات وخيارات حرة، بل إن المشكلة تكمن في إن هذه القرارات والخيارات التي نتخذها بحريتنا ليست قراراتنا بل هي قرارات موحى بها الينا، لإننا نعيش ممتثلين في عالم مستلب))

واليكم خلاصة مأزق العدالة والحرية كما جاءت في كتاب فيلسوف الحرية [جان بول سارتر] 1959

حيث تتحدث عن شاب فرنسي اسمه ""برنار"" عاطل عن العمل منذ ستة أشهر، أصبحت ثيابه مهلهلة، فلم يعد يجرؤ على الخروج من منزله، هل اتفق لأحدكم أن بقي أياما طويلة في سريره وهو يشعر بأنه لم يبق له وجه إنسان في عالم يرفض ذراعكم؟ لقد كان ""برنار"" يسمع قرقعة مواعين أمه في الجانب الأخر من الحاجز وإنه يعيش على نفقة أمه، وقد خرج مرة أخرى إلى السوق ورفضه المشرفون على العمل لأنه شديد الضعف فليس بمقدوره أن يكون عاملا منتجا وفي المكتب، نظر رئيس الدائرة إلى حذائيه المثقوبين وقال ساخرا: "لا عمل". في الغداة الساعة السابعة صباحا تسلل الى مترو "سان لازار" ساعة استئناف العمل، وكان الجميع مرتبطين بساعة الجدار، منهمكون في أعمالهم، أمَّا هو فإنه حر إنه حر يستطيع أن يفكر في فيزياء "انشتاين"

أو في "الحمل بلا دنس" وفي تلك اللحظة خاصة شعر بأنه حر في أن يختار بين صنبور الغاز وسكة حديد المترو!.

الساعة السابعة صباحا، بدأ نهار إنسان حر لقد دُهس إنسان في خط المترو 131، ان "برنار" انسان حر بين أُناس أحرار وقد سحقته هذه الحرية !.

ويعلق الباحث على مفهوم الحرية المنطقية قائلا: إن العاطل عن العمل حر لأنه غير مرغم على الرضوخ لأوقات العمل، لكنه عبد لأنه خاضع لقسر البؤس، هو حر في أن يبحث عن العمل يستطيع أصحاب العمل حجبه عنه وهم أحرار، هذه هي حرية الشعوب المسماة "حرة".

أجل "لبرنار" الحرية في أن يذهب أين شاء، وأن يفكر كما يريد، فإن شيئا في الظاهر لم يكن يحدُّ من حريته، لكن ما نفع هذه الحرية المنافقة السدى؟ ما نفع هذه الحرية الصورية السيكولوجية التي لا تشبع ولا تغني من جوع؟ إن الأمر المهم هو الذي يعوزه ليتمتع بها، العمل وتأمين القوت اليومي والطمأنينة على الغد، إنه لا يستطيع سوى اجترار بؤسه وخجله، بدلا من العناية بالخيرات الثقافية التي تقدمها له الدولة الرأسمالية، من حدائق ومتاحف عظيمة وجميلة ومكتبات عامه، وصحف ومجلات ومختلف وسائل المتعة والاستمتاع بأوقات الفراغ أن جاهزيته التامة تخفي عدم جاهزية تامة.. وما حريته سوى سراب، وعلى هذا فان "ظاهر الحرية التامة التي تقدمها الليبرالية الاقتصادية واوقات الفراغ غير المحدودة ووسائل الرفاه إنما تخفي اقصى العبودية".

هذا النص يكثف مشكلة الحرية الصورية التي انتقدها ماركس آنذاك، هذه الحرية التي لا تكتسب معناها إلا بوجود العدالة الاجتماعية، العدالة في توزيع الخيرات المادية في المجتمع، الخيرات الضرورية الأولية لاستمرار الحياة البيولوجية، كي يستطيع الإنسان أن يحس بمعنى الحرية وقيمتها ويستمتع بها في حياته اليومية.

أعطني العدالة الاجتماعية وخذ كل الحريات في العالم. فالعدالة تشمل الحرية والتمتع بها. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم أن الحرية هي انعدام القسر وتوافر البدائل لتختار الإرادة بينهما أي القدرة على عدم الإجابة على وضع معين إجابة واحدة ووحيدة يمكن التنبؤ بها من الناحية الثيولوجية اللاهوتية أو العلمية السيكولوجية.

إن الإنسان هو أولا وقبل كل شيء حرية، حرية تتطلب أن يعترف بها، ويكون لها وجودها الشرعي في وسط هذا العالم ضمن الشروط الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية.

إن الشروط التاريخية الاقتصادية ينبغي أن تهيئ الجو الضروري للمزيد من التحرر

والخلـق والابـداع، لا أن تكبـل حريـة الإنسـان بقيـود سياسـية واقتصاديـة غـير انسـانية.

ويـرى "بـرد يائـف" أن مأسـاة الحريـة تنبـع مـن الطبيعـة المزدوجـة لهـا، حيـث يميـز بـين معنيـين مختلفـين للحريـة؛ الحريـة الأصليـة الـلا معقولـه: الـتي تسـبق الخـير والـشر وتتحكـم في الاختيـار بينهـا والحريـة التاريخيـة المعقولـة: الحريـة في الخـير والحـق والعدالـة.

وهـذا يعـني في آن واحـد إن الحريـة نقطـة بـد، وطريـق مـن جهـة، وهـي غايـة وهـدف مـن جهـة اخـرى، والطبيعـة المزدوجـة للحريـة فيهـا سر مأسـاتها، فالحريـة في معناهـا اللامعقـول يمكـن أن تنقلـب بسـهولة إلى ضدهـا، حينمـا تفقـد عنانهـا وتتحـول إلى فـوضى وكـوارث "تؤدي إلى ظهـور مأسـاة مسـار العالـم".

والحريـة المعقولـة: يمكـن أن تـؤدي إلى "الإكـراه والقـوة في الحـق والخـير، الإكـراه مـن أجـل العدالـة والمسـاواة، كمـا فعلـت الاشـتراكية وهـذا مـا يفـضي إلى تنظيـم اسـتبدادي للحيـاة" وهـذا هـو الحـل الـذي حـدده روسـو، يجـب أن أجـبر "الغـير عـلى أن يكـون حـرا" عـلى هـذا النحـو يمكـن القـول أن الحريـة تتضمـن في داخلهـا بـذور تدميرهـا ((إن مأسـاة مسـار العالـم هـي نفسـها مأسـاة للحريـة)) – حسـب هيجـل

في مأزق التنمية والحرية في المجتمعات العربية:

كيـف يمكـن أن يغـيّر النـاس مـا بأنفسـهم؟ ويغـيّرون مجتمعاتهـم نحـو الأفضـل؟ إذا كانـوا لا يمتلكـون حريـة الاختيـار في ثقافـة لا تبيـح حريـة التفكـير والتعبـير والضمـير؟ ففـي المجتمعـات الـتي تضيـق حـدود الحريـة؛ حريـة العقـل والضمـير، ينـدر أن تجـد فيهـا أشـخاصًا طبيعيـين يتصرفـون بـبراءة وعفويـة بالاتسـاق مـع سـجاياهم الحقيقيـة بـل تسـود ثقافـة وقيـم الظاهـر والباطـن، وتزدهـر قيـم التكلّف والتزلـف والنفـاق والمـراءاة والمجاملات والكـذب والحقـد والخيانـة والغـدر والخديعـة والشـتم والغيبـة والنميمـة والحـذر وانعـدام الثقـة والشـك والارتيـاب وسـوء الفهـم وسـوء الظـن والفصـام وازدواج الشـخصية وسرعـة التقلـب مـن حـال إلى حـال، والجمـع بـين المتناقضـين دون الشـعور بالتناقـض، وصعوبـة التنبـؤ بسـلوك الأفـراد وردود أفعالهـم. ويمكنـك تعـداد المزيـد مـن القيـم السـلبية مـن واقـع حياتـك اليوميـة ومعاشرتـك للنـاس في محيطـك الاجتماعـي وحينمـا تسـود تلـك القيـم السـلبية حيـاة مجتمـع مـن المجتمعـات يصعـب أن تجـد أحـدا مـن الأفـراد غـير متأثـر بهـا بهـذا القـدر أو ذاك. إذ إن الحريـة هـي الغايـة والهـدف الأسـمى لـكل تنميـة ثقافيـة مسـتدامة ذلـك إن الحريـة تعـني المقـدرة عـلى الفعـل والاختيـار والتفكـير والإبـداع. وبـدون أن تأمـن الـدول والمجتمعـات بيئـة مناسـبة للفاعلـين الاجتماعيـين لممارسـة حياتهـم الاجتماعيـة ونشـاطاتهم بـدون اكراهـات وتابوهـات فـلا يمكـن لهـا أن تتغـير وتنمـو وتتطـور وتزدهـر

نحـو الأفضـل بـل سـتظل تعيـد إنتـاج نفسـها جيـل بعـد جيـل.

الحريـة هـي الـشرط الجوهـري للتغيـير والنمـو والتنميـة وكمـا يقـول كروبـر "إن حاجـة العالـم إلى الحريـة، مثـل حاجـة النباتـات الـتي تنمـو في البيـوت الزجاجيـة إلى الشـمس والأكسـجين، أمـا إذا طليـت النوافـذ بالسـواد كمـا في الحـروب، فـلا تنمـو إلا الأعشـاب الطفيليـة الضـارة، والإبـداع العلمـي يتيبـس في البيئـات الاسـتبدادية والتسـلطية"

أكتب أسمك
على غيمة شاردة
واستوقف الريح
كي تهطلين
مزن مطر
وحقل سنابل
وباقة ورد
من الفل والياسمين
وأغنية للفرح
ترنيمة العشق
والعاشقين

اليمن: التاريخ والهوية (1)

قادري أحمد حيدر
باحث وكاتب يمني

الإهداء:

إلى روح العالم البروفيسور/ د. محمد عبدالقادر بافقيه، ذلك العلم التاريخي والفكري والثقافي الذي فرض نفسه بمكانته ودوره الوطني ليكون أول وزير للتربية والتعليم في أول حكومة وطنية بعد الاستقلال الوطني، 30 نوفمبر 1967م، تفرغ بعدها لاختصاصه في علم التاريخ، ليثبت اسمه كعالم تاريخ متخصص على المستوى العالمي؛ فغدتْ كتبه وأبحاثه مراجع ومصادر رئيسة في هذا المجال.

كان من أوائل المساهمين في صناعة الكتابة المعاصرة لتاريخ اليمن القديم، وفق أصول علمية أكاديمية رصينة، اسهاماته في هذا المجال لا تعد ولا تحصى، ليس من حيث مساحة (كم) الانتاج البحثي، بل من حيث (الكيفية)، القيمة المعرفية التاريخية المضافة التي قدمها في كتاباته "تاريخ اليمن القديم" وكتابه الموسوعي "توحيد اليمن القديم"، والعشرات من الكتب والابحاث.

عالم كبير أدرك معنى اليمن ومكانته في التاريخ. إنسان بسيط متواضع شأن العلماء، والعظماء في التاريخ، الذين لا ينتظرون مجداً شخصياً على أي مستوى كان.

رحـل عنَّـا جسـداً، وبقـى أثـره المعـرفي والفكـري والثقـافي التاريخـي حـاضراً بيننـا، رحـل دون انصـاف مـن الجميـع، ومـن حقـه علينـا أن تسـمى جامعـة أو متحـف باسـمه. لروحه الخلود والمحبة والسلام.

(1) في معنى الهُوية

إن علاقـة اليمـن واليمنيـين بالتاريـخ متشـابكة ومتوحـدة، يتبـدى اليمـن وكأنـه واحـدٌ مـن تمظهـرات التاريـخ، لشـدة حضـوره فيـه، والتصـاق المعـنى التاريخـي بـه. ولـن نطيـل الحديـث حـول صلـة اليمـن بالتاريـخ، ففـي الكتـب السـماوية يـرد ذكـر اليمـن: في التـوراة، وفي القـرآن الكريـم: ذِكْـر، لسـبأ والأحقـاف.. عـلى أننـا هنـا سـنقف هنيهـة معرفـين بالدلالـة اللغويـة (القاموسـية)، لمفهـوم الهُويـةَ، وكـذا المعـنى الـدلالي الفلسـفي/ السوسـيولوجي.

الهُويةُ لغة:

تعـني "حقيقـة الـشيء أو الشـخص المطلـق، عـلى صفاتـه الجوهريـة وذلـك منسـوب إلى هـو"(1). وفي القـول هنـا "منسـوب إلى هـو"، إنمـا يعـود إلى الـذات المعنيـة والمعينة هنـا، والـتي هـي اليمـن إذ تمثـل وتجسِّـد الإطـار المشـترك الجامـع، أو الهُويـةَ الموحدة لجميـع اليمنيـين عـلى اختـلاف مذاهبهـم، ومللهـم السياسـية، ودولهم.

إن اليمـن، مثـل العروبـة، ليسـت هُويـةَ عرقيـة "إثنيـة"، فهـي هُويـةٌ سياسـية ثقافيـة اجتماعيـة حضاريـة تاريخيـة، مفتوحـة عـلى فضـاء التقـدم الوطـني والقومـي والإنسـاني. هكـذا نفهـم الهُويـةَ اليمنيـة، بعيـداً عـن حالـة التنابـذ العـرقي: قيسـية، يمنيـة، قحطانيـة، عدنانيـة، حـتى تداعياتهـا المتأخـرة في صـورة زيديـة، شـافعية، وإلى شـمال وجنـوب، وصـولاً إلى الظاهـرة الإماميـة كـرة ثانيـة.

إن حديثنـا عـن الهويـة الكلية/الجامعـة (الوطنيـة)، لا يلغـي مـن أن لـكل فـرد أو جماعـة، هويـات متعـددة، ذاتية/خاصـة: مذهبيـة، دينيـة، قبليـة، لغويـة، ثقافيـة، جهويـة لغويـة، المقصـود هنـا اللهجـات المحليـة، باعتبـار اللغـة العربيـة، هـي لغـة جميـع العـرب.. هويـات محليـة لهـا كل التقديـر والاعتبـار، فالتعـدد، إثـراء وإغنـاء للهويـة الكلية/الجامعـة.

فالهُويـةَ اليمنيـة هـي الجامعـة لـكل تلـك الهُويـاتَ الفرعيـة، باعتبارهـا هُويـةَ مفتوحـة عـلى جميـع مكونـات المجتمـع، وليسـت هُويـةَ تتحكـم بهـا رابطـة العـرق،

أو الـدم، ونظريـة الأنسـاب، الـتي تفتـح البـاب واسـعاً أمـام تفكيـك المجتمعـات أو تدمـير الـدول، وتمنـع قيامهـا لمـدى زمـني طويـل، وهـو مـا اشـتغل ومـا يـزال يشـتغل عليـه الاسـتعمار الغـربي في جعلـه التجزئـة والتقسـيم "فـرق تسـد"، قاعـدة، والوحـدة والتكامـل اسـتثناء، باعتبـاره الهُويـةَ اليمنيـة بنيـة أنثروبولوجيـة مغلقـة عـلى ذاتهـا، لأن أساسـها إثـني، أو مذهـبي، أو ديـني، أو قبـلي، أو قـروي، أو مناطقـي (جهـوي)، بهـدف حـرف حركـة ونشـاط المجتمعـات وصراعاتهـا عـن مدارهـا السـياسي، والاقتصـادي الواقعـي، وتحويلهـا إلى حـروب أصوليـات هوياتيـة صغـيرة، مغلقـة لا تنتهـي.

ليـس هنـاك مـن هويـة نهائيـة لأي شـعب، كمـا ليـس هنـاك تاريـخ نهـائي، ضـداً عـلى مـا ذهـب إليـه "فوكوياما" حـول نهايـة التاريـخ، التاريـخ صـيرورة، تدخـل فيهـا الإرادة والحلـم، والفعـل المغـير هـو الـذي يقـوم بتحويـل الحلـم إلى واقـع، وإلى تغيـير نوعـي.

أي أن الهويـة في التحليـل الأخـير هـي حالـة اجتماعيـة تاريخيـة. وبهـذا المعـنى فـإن الهُويـةَ اليمنيـة ليسـت منجـزاً كامـلاً نهائيـاً، وجـد في التاريـخ دفعـة واحـدة، مـع "كـرب إل وتـر"، أو "شـمر يهرعـش"، أو "سـيف بـن ذي يـزن"، أو غيرهـم، ومـا علينـا سـوى إعـادة تلـك الهُويـة الـتي كانـت.

الهويـة كمـا نفهمهمـا كائـن حـي متحـرك، تغتـني أبـداً بالجديـد في سـياق الممارسـة والتجـارب الحياتيـة للنـاس. التجـارب والتراكمـات المعرفيـة والفكريـة والسياسـية والثقافيـة، ويمكـن للهويـة أن تعيـش لحظـات انكسـار وأزمـة بفعـل تطـورات الـصراع السـياسي والاجتماعـي في هـذه المرحلـة أو تلـك، عـلى أن الهويـة تبقـى هـي الإطـار الجامـع والموحـد للجميـع، بـصرف النظـر عـن الـشرط السـياسي، أو تبـدلات حالـة السـلطة.

وكجملـة اعتراضيـة هنـا، فأنـا أعتـبر حـرب 1994م تحديـداً وخصوصـاً، ومعهـا كل الحـروب العبثية/الأهليـة: المذهبيـة، والدينيـة، والعرقيـة، والقبليـة، والجهويـة، في تاريخنـا الحديـث والمعـاصر، تشـكل حالـة انفصـال وقطـع مـع تاريـخ الهُويـة اليمنيـة الجامعـة.

فالهُويـة كمـا يعرفهـا السـيد/ عـلي بـن محمـد الجرجـاني، هـي "الحقيقـة المطلقـة المشـتملة عـلى الحقائـق، اشـتمال النـواة عـلى الشـجرة في الغيـب المطلـق"، وهـي كذلـك "الهويـة الساريـة في جميـع الموجـودات" مـا إذا أخـذ حقيقـة الوجـود، لا بـشرط

شيء ولا بشرط لا شيء(2) على قاعدة الاعتراف من أن للإنسان (كل إنسان)، هويات متعددة، (أصلية/كلية، جامعة)، و(فرعية)، لا غنى عن كل منها، ولا إقصاء لأي منها، فكل منها يقود إلى الآخر ويكمله، في علاقة تضامن وتكامل وتوحد، وليس نفياً وصراعاً وتناقضاً.

(2) اليمنيون وبناء الدول والممالك في التاريخ السياسي القديم

التاريخ في كليته (مجموعة) سيرة ذاتية/ موضوعية تنظم حياة الأفراد والجماعات، مسيرة تجمع في سرديتها بين المنطقي والعقلاني، والتاريخي، ولا يمكننا اختصارها في جملة خبرية من هناك أو هناك أو في سيرة هذا الملك أو تلك المملكة/ الدولة؛ فالتاريخ في كل مرحلة من مراحل حركته، وتطوره بنية ذاتية، فكرية سياسية اجتماعية اقتصادية، ولكل مرحلة من مراحل تنزيله، أسباب خاصة بكل حالة على حدة، تفسره وتحلله. هذا ما تقوله سرديات التاريخ في تحولاته المختلفة العابرة، والعاصفة، وكل مرحلة تحتاج إلى عصف ذهني/ تاريخي يصاحبها، ومن هنا تبرز صعوبة بل استحالة قراءة التاريخ بأثر رجعي وفقاً لمقولات أيديولوجية/ ذهنية -لاحقة- نكونها نحن عن أنفسنا وعن واقعنا، وعن التاريخ، وكأنها البديل للتاريخ، الذي كان، وكلما تقادم بنا الزمن مع صفحات التاريخ لتلك الدولة أو الدول كانت المهمة أكثر صعوبة، وهو ما يستدعي من قارئ التاريخ بمستواه العام، ومستواه الاختصاصي قدراً من الموضوعية والعقلانية في التعاطي مع ذلك التاريخ.

فاليمنيون من الشعوب الأولى المبكرة في التاريخ الذين ارتبط اسمهم ببناء الممالك والدول، إلى جانب دول ما بين النهرين، ومصر والشام". وتعود أول إشارة إلى العرب إلى السنة السادسة من حكم "سلمنز" أو "شلمنصر" الثالث ملك الآشوريين الموافق سنة 853 ق.م؛ ففي معركة "قرقر" واجه هذا الملك تحالفاً فيه "جندبو" العربي ومعه ألف جمل - واليمنيون أول من استخدم الجمل كما في النقوش- ويتضح أن للمفردة "عرب" استخدامين، حيث تطلق للدلالة على: أشخاص، أو جماعة لغتهم العربية، أشخاص أو جماعة تسكن شبه الجزيرة العربية(1).

وحول هذا الموضوع رؤى تاريخية مختلفة في المصادر، وفي الكتابات الآشورية إشارة واضحة لذكر اليمن، وملك اليمن، فقد أشار ملوك (آشور) في نقوشهم إلى

ملك سبأ كدليل على قدم هذه الدولة وعلى نشاطها وعلاقتها بالعالم الخارجي 715 ق.م (2).

ومن المفيد هنا الإشارة إلى إنه "من الغريب أن نكتشف أن النقوش اليمنية لا تشير إلى العرب إلاَّ ابتداء من القرن الأول الميلادي بعد حوالي 900 سنة من أقدم ذكر آشوري لهم، ولا يعود سبب هذا النقصان إلى فقر التوثيق الغزير نسبياً بخاصة في المملكة المعينية(3)، بل يجب البحث بالأحرى في نموذجية النقوش: نصوص، نذور، ومراسيم احتفاء بمنشأ ...إلخ، وكلها لا تشير إلى العالم الخارجي"(4).

قد لا تجيب أو تقدم لنا النقوش المكتشفة والمصادر الاخبارية التحقيب التاريخي لقيام وظهور الدولة في اليمن القديم بصورة واضحة ودقيقة. فبعد أن كانت المصادر التاريخية القديمة تضع الدولة المعينية من أقدم الدول، جاءت الكتابات الاستشراقية، وحتى بعض النقوش اليمنية "نقش النصر" لتقول غير ذلك، ولا يرد فيها ذكر للدولة المعينية، كأقدمية في تاريخ بناء الدولة. "فنحن نعرف من خلال النقوش أن دولاً مثل أوسان وقتبان وحضرموت كانت موجودة جنباً إلى جنب مع دولة سبأ في القرن الثامن ق.م، وهي الفترة التي تعود إليها أقدم النقوش المكتشفة حول البداية التأسيسية الزمنية التي تحدثنا عن الدول اليمنية القديمة، ويمكن أن نقول من خلال شواهد استئناس الجمل الذي ارتبط به طريق البخور القديم، بأن البدايات الأولى لطريق البخور تعود إلى بداية الألف الثاني ق.م، وطريق دولي مثل هذا لا يمكن أن تنظمه وتنسق التجارة عليه إلا كيانات سياسية معتبرة (دول)، وذلك يجعلنا نقول: إن الدولة في اليمن القديم يعود ظهورها على الأقل إلى تلك الفترة، وليس إلى القرن الثامن أو أواخر القرن التاسع ق.م، كما يرى عدد من الباحثين الأوروبيين"(5).

ودون الدخول في تفاصيل سياسية ومادية/ اقتصادية وتاريخية، حول نشوء الدول في التاريخ القديم (الحضارات القديمة)(6). يمكننا القول وفقاً للاستخلاصات من الكتابات التاريخية: إن المِلكية (بكسر الميم)، والتأسيس لها في تشريعات وأنظمة وقوانين، ثم بداية الاستقرار الزراعي، وتنظيم مِلكية الأرض الزراعية، ولذلك "فقد ظهرت الملكية في اليمن القديم في جوانب الحياة كافة، وكانت من أهم المواضيع التي تناولتها النقوش المسندية، والخشبية (الزبور) بصورة مباشرة أو غير مباشرة،

ضمن مواضيع أخرى من ذلك، فالحروب، وما ينتج عنها من امتلاك وتقسيم للأراضي وما تحمله على أرضها من محاصيل أو أفراد، والتي تم الاستيلاء عليها بعد انتصار مملكة على أخرى، وإعادة تقسيمها لأكثر من مرة، بالإضافة إلى ما ذكرته النقوش من تشريعات قانونية سنها اليمنيون للحفاظ على تلك الملكيات -العامة والخاصة- وعدم التعدي عليها، وفرض العقوبات على ذلك"(7)، كلها تدل على حضور الدولة، والذي لا يقل عن معنى وجود الدول في العالم القديم.

ومن قراءاتي المتواضعة للعديد من نتاج أو أبحاث المختصين اليمنيين والعرب، والأجانب أرجح ما يذهب إليه البروفيسور/ عبدالله أبو الغيث، في الإشارة السابقة من بحثه التي تم إيرادها في موضوعنا هذا، وهو ما صار اليوم متداولاً ومؤكداً إن دولة سبأ - وكذلك أوسان وقتبان - من الدول الأقدم في التاريخ وهو ما تقوله شواهد بناء وعمران سد (مأرب)، الذي تؤكد جميع المصادر أنه من أقدم البنى العمرانية المرتبطة بتنظيم الري، والحياة الزراعية المستقرة، هذا العمران الذي لا تشيده، سوى دولة حقيقية قائمة في حقيقتها كبنية مادية/ مؤسسية/ أي كدولة، وكما سبقت الإشارة إلى إنه تعاصرت مع دولة سبأ دول يمنية عديدة انتشرت على الأرض اليمنية، فيما نطلق عليه اليوم في المسمى السياسي، شمال وجنوب، على اختلاف الباحثين في تقدير بداية تأسيس مملكة سبأ واتحادها السياسي بقيام حكم المكاربة السبئيين، لما اكتنفه من غموض في تفاصيله، وبدايته التاريخية ونهايته، فمنهم من أعاده إلى القرن العاشر، أو القرن التاسع ق.م، وغيرهم جعل تاريخ حكم المكرب الأول في حوالي نهاية القرن الخامس ق.م، والقرن الثاني، أما "ملاكر" فقد قدر بداية ونهاية فترة حكم المكاربة بحوالي "650-800 ق.م"(8).

ظاهرة تسمية الملك، والمكرب، والمملكة علامة على قيام الدولة:

تلقَّبَ الملوك اليمنيون في الممالك، والدول اليمنية القديمة، باسم المكرب، وباسم الملك، لقرون طويلة، وهو ما يعني أننا أمام حكام لدول وممالك مستوفية لأركان وشروط بناء ووجود الدولة، في ذلك الحين الدولة بكل مظاهرها، وملحقاتها، (مؤسساتها): القصر، والدواوين، والجيش، والبيروقراطية، التي تعكس وتجسد أهم ابعاد حضور ووجود الدولة، الدولة المعبرة عن نظام اجتماعي/ سياسي، في صورة هذه القبيلة (الشعب)، أو اتحادات القبائل، في وحدتها، وتحالفها،

أو صراعها، على طريق امتلاك السلطة والثروة، وحول تداخل أو أسبقية أحدهما على الآخر (الملك/ أو المكرب)، فإن ما تحكيه النقوش اليمنية القديمة هو القول الفصل في ذلك. أي أسبقية المكرب، وهناك من يقول: إن لقب مكرب وملك قد ترافقا زمنياً وفي تقديري إن ظاهرة ارتباط وتوحد الملك والمكرب في أحدهما إنما كان دليل على الجمع بين السلطتين الزمنية، والدينية، وهو ما يشير إليه في أبحاث مميزة المستشرق الروسي (لوندين) حول تاريخ حضارة اليمن القديم، وحول دولة مكربي سبأ في أكثر من موضع في كتاباته التاريخية الرائدة حول دور دول اليمن القديم(9).

لقد أطلق على أوائل حكام سبأ لقب مكرب مع الاختلاف في تفسير كلمة "مكرب": فمنهم من يرى أنه "المقرب" من الإله ومنهم من يرى أنهم أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب حين كانوا يجمعون بين السلطة الدينية والزمنية، وكذلك الإشارات العميقة الموسعة للمستشرق الروسي (لوندين) كما سبقت الإشارة.

إن علاقات (القوة/ التغلب)، أي علاقات السيطرة والهيمنة بين هذه الدول في التاريخ السياسي، أي سيطرة وهيمنة دولة على الأخرى، أو حتى اقتسام النفوذ السياسي مع هذه الدولة أو تلك الدول، كانت تحكمه توازنات علاقات القوة فيما بينها. هذا ما يقوله التاريخ السياسي في ذلك الحين، ولذلك حكمت علاقة سبأ بحضرموت، وحمير "الدولة الفتية" في ذلك التاريخ هذه القانونية من السيطرة حتى اقتسام النفوذ السياسي. فليست دولة سبأ -كما تقول د. اسهمان سعيد الجرو- من كانت تتطلع إلى حضرموت، بل إن حضرموت كانت تتطلع إلى الهضبة الغربية وهو ما أدخلها في مشكلات كبيرة مع سبأ وحمير مما سبب لها متاعب لا حصر لها ولا عد"(10). حتى وصلت حالة التحالفات السياسية في فترة لاحقة إلى تحالف سبأ وحضرموت مع الحبشة ضد التوسع الريداني (اليمني)، وهو ما تحكيه جميع المصادر التاريخية، ولعل أهمها النقوش اليمنية، وهو ما جعل للحبشة بعد ذلك موطئ قدم في تهامة اليمن(11).

إن حالة الوحدة السياسية، والتحالفات المؤقتة (الصراع والوحدة والتكامل) بين دول اليمن القديم – فيما بينها وكذا مع غيرها من الدول الأخرى- هو ما تشير إليه معظم المصادر التاريخية، أي أن تاريخ الوحدة بالحرب والتغلب، هو ما كان يفسر ظاهرة الاتصال والتقارب والتوحد السياسي، في صورة العلاقة الصراعية

أو الاتحادية أو التحالفية القديمة بين سبأ وحضرموت، منذ عهد المكاربة. وبين غيرهما من الدول في ذلك التاريخ، وإلا كيف نفهم ونفسر تحالف سبأ وحضرموت مع الحبشة ضد التوسع الريداني لاحقاً(12)؛ فعلى سبيل المثال "تعرضت دولة قتبان لغزو حضرمي في بداية القرن الأول الميلادي، واحرقت عاصمتها "تمنع"، ولكن الوجود القتباني لم ينته، فقد ذكرهم بطليموس الجغرافي (...) وهناك فترات خضعت دولة حمير لدولة قتبان، فقد كان يطلق عليهم أولاد "عم" وعم إله قتبان الرئيس، ولكن هذه القبائل استقلت في فترات ضعف قتبان"(13). وهذه الوقائع والحيثيات السياسية والاجتماعية تحكي قضية وحدة العلاقة بين أبناء اليمن، في صيغ الوحدة والصراع، على قاعدة التغلب بالقوة، الحرب، وهي القانونية التاريخية التي حكمت علاقات العالم القديم، بما فيه علاقة اليمن القديم ببعضه. وجميعها مظاهر وظواهر عرفتها دول اليمن القديم، -وغيرها- بما في ذلك التعاون والتحالف مع الخارج ضد الداخل اليمني (الأحباش)(14).

وحول نظام المكاربة فإن حضرموت عرفت نظام المكاربة، كما عرفته دولة قتبان (أي النظام المكربي)(15)، وهو ما يدل على حالة التكامل والتشابه في بنية النظام السياسي، فتشير إلى حالة من الوحدة الثقافية الحضارية فيما بين دول اليمن القديم، الوحدة في إطار الصراع، الذي تهيمن علية ظاهرة أو طابع التغلب بالقوة، وهي القانونية الموضوعية، التي حكمت وتحكمت بأنظمة ودول العالم القديم كله .

وفي نقش "النصر" الذي يعود إلى مطلع القرن السابع ق.م. فيه إشارة واضحة إلى دولة "أوسان" وسقوطها، ونقرأ في النقش المذكور أن دولة أوسان امتدت من أراضي شبوة الحالية حتى أراضي محافظة (تعز) (المعافر) غرباً.

ويحدثنا كتاب "دليل البحر الأريتري"، الذي تم تأليفه في القرن الثالث الميلادي بأن سواحل شرق أفريقيا (في تنزانيا وكينيا الحاليتين) كانت تسمى بالساحل الأوساني، ما يدل على أن دولة أوسان قبل سقوطها كانت قد تمكنت من مد نفوذها إلى هناك، حيث ظل هذا الساحل يحمل اسمها بعد سقوطها بحوالي ألف عام".(16)

ومن المهم هنا الإشارة إلى تبادل وحدة الألقاب بين ممالك اليمن القديم بصرف النظر عن الدواعي لذلك (سياسياً أو غيره)، فقد عرفت سبأ لقب ومسمى

الملـك والمكـرب، وهنـاك مـن يـرى مـن خـلال النقـوش أن دولـة حضرمـوت عرفـت نظـام المكاربـة، وهنـاك مـن يـرى أن لقـب مكـرب ظهـر في دولـة قتبـان في نفـس الفـترة. (17)

دول اليمن القديم والتشريعات والقوانين والنظم:

يعـد ظهـور التشريعـات والقوانـين الناظمـة لحيـاة الـدول، والممالـك اليمنيـة القديمـة مـن العلامـات المميـزة لتلـك الـدول، وهـو مـا تقولـه المصـادر التاريخيـة فيهـا، والنقـوش اليمنيـة في ذلـك الحـين. وحـول ذلـك قدمـت العديـد مـن الرسـائل الاكاديميـة الماجسـتير/والدكتوراه، الـتي تفصـل بعمـق أكـبر حـول النظـم التشريعيـة، والقوانـين الناظمـة لحيـاة الـدول والممالـك اليمنيـة القديمـة بصـورة تذهلنـا اليـوم لمـا فيهـا مـن الدقـة وموضـوع العدالـة، والأهـم دسـتورية وقانونيـة تلـك القوانـين والتشريعـات الـتي كانـت سـارية، وناظمـة لحيـاة الأفـراد والمجتمـع والـدول في التجـارة، والزراعـة، والاقتصـاد، وفي العمـران، تنظيـم العلاقـات الاجتماعية(العلاقـات الاسريـة، والزوجيـة)، وكذلـك في أشـكال نظـم الجبايـات القانونيـة المنظمـة الـتي تحـدد علاقـات الدولـة بالنـاس وبمعاشـهم واقتصادهـم، فضـلاً عـن سـنِّ قوانـين وتنظيـم أصـول الملكيـة، العامـة والخاصـة في صـورة تشريعـات ونظـم إداريـة ومالية وقانونيـة قـل نظيرهـا اليـوم في حيـاة بعـض دولنـا الحديثـة والمعـاصرة (18)، فقـد عـرف اليمـن القديـم النظـم والتشريعـات القانونيـة المنظمـة لحيـاة المجتمـع والدولـة، كمـا عـرف نظـام تقسـيم وتوزيـع السـلطات حـتى في وجـود الملـك.(19)

والأهـم هنـا هـو دور وحضـور الجيـش المنظـم،" الرسـمي" للدولـة، الجيـش بزيـه ولبسـه الرسـمي وأسـلحته المختلفـة وفروعـه القتاليـة الملتحقـة بالجيـش (القـوات المسـلحة) المعـبرة عـن المملكـة ودولـة الملـك في ذلـك الوقـت المبكـر مـن تاريـخ العالـم القديـم. ونجـد كل تلـك التفاصيـل الدقيقـة حـاضرة في جيـش/ جيـوش دول اليمـن القديـم: قواتـه محـددة، بعتـاده، وعـدده مـن الوحـدات العسـكرية فيـه، ودرجاتـه، ونظـام الاجـور للجنـود، وللقيـادات المختلفـة فيـه، وكـذا نظـام الرتـب العسـكرية المشـكلة للجيـش، وصناعـة الأسـلحة المعنيـة بتزويـد جيـش الدولـة بـكل مـا يحتاجـه، وكلهـا علامـات عـلى طبيعـة الدولة/الـدول مكتملـة الأركان في تاريـخ اليمـن القديـم الـذي سـاد كل أرض ممالـك دول اليمـن مـن الجبـل إلى السـاحل مـن سـبأ إلى

أوسـان إلى قتبـان إلى حضرمـوت إلى حمـير(20).

"وبنـاء عـلى بعـض المكتشـفات يُعتقـد بـأن البدايـات الأولى لاسـتيطان الإنسـان في جنـوب جزيـرة العـرب اليمـن القديـم كانـت في مشـارق اليمـن، حيثمـا قامـت دولـة حضرمـوت بعـد ذلـك، ومـع ذلـك فنحـن نجهـل البدايـات الأولى لنشـوء هـذه الدولـة (...) ويحسـب لدولـة حضرمـوت أن اسـمها مـن بـين كل أسـماء الـدول القديمـة ظـل مسـتمراً عـبر عصـور التاريـخ اللاحقـة لسـقوط دولتهـم إلى يومنـا هـذا مـع تغيـير في المسـاحة الجغرافيـة الـتي كان يطلـق عليهـا بطبيعـة الحـال".(21)

وهـذا يذكرنـا باسـم اليمـن الـذي مهمـا تعـددت تسـمياته المكانيـة الجغرافيـة (الممالـك والـدول)، - كمـا سـيأتي في الفقـرة الرابعـة مـن موضوعنـا - بقـي اسـم اليمـن حـاضراً ومنتـشراً وموحـداً للجميـع. سـقطت الحـدود وتمزقـت السياسـات شـمالاً، وجنوبـا، وشرقـا، وغربـاً، وبقـي اسـم اليمـن، وهنـا تكمـن وحـدة اليمنيـين مـن صعـدة، للمهـرة إلى حضرمـوت، إلى صنعـاء، إلى عـدن، إلى شـبوة، وأبـين وتهامـة السـاحل، وتهامـة الـسراة، وسـقطرى ويافـع إلى المعافـر (تعـز). هـؤلاء هـم اليمنيـون بنـاة الـدول في تاريـخ اليمـن القديـم والإسـلامي، وهـو مـا يجـب ان نسـتنجد بأنفسـنا / ذواتنـا لاسـتعادة ذلـك المجـد وفـق شروط العـصر وليـس الاسـتنجاد بالخـارج وفـق منطـق التغلـب القديـم الوحـدة بالحـرب، بـل في اسـتعادة روح الوحـدة السياسـية السـلمية التعدديـة الديمقراطيـة، وفقـاً لاختيـارات النـاس السياسـية الشـعبية الحـرة، وليـس بعقليـة الوحـدة والحـرب والضـم والإلحـاق، وعـودة "الفـرع" للأصـل، مأسـاتنا السياسـية المعـاصرة الـتي لا نـزال نجـر أذيالهـا السـلبية المدمـرة معنـا، ونحـن ندخـل العقـد الثالـث مـن الألفيـة الثالثـة.

الدولة والدستور والنظام السياسي في حضارة اليمن القديم:

عـرف اليمنيـون نشـأة الدولـة وقيامهـا وفق أصول نظـام الملـك/ والمكـرب والمملكة/ الدولـة، وظاهـرة بنـاء القصـور الملكيـة، والمعابـد، والسـدود، وكل ذلـك دليـل عـلى تاريـخ بنـاء الدولـة في تاريـخ اليمـن القديـم. وقـد انتظمـت هـذه الـدول مـن السـبئية إلى القتبانيـة والأوسـانية والحضرميـة والحميريـة أنظمـة حكـم سياسـية قامـت عليهـا تلكـم الدولـة/ الـدول أنظمـة حكـم عرفـت القوانـين، والتشريعـات المنظمـة لحيـاة المجتمـع والدولـة، وأُقـرّتْ وسُـنَّتْ فيهـا دسـاتير (دسـتور قتبـان)(22).

فالنظـام الدسـتوري / القانـوني في صـورة "م س و د" (المُسَـود)(23)، كان سـلطة نيابيـة وانتخابيـة مـن القبائـل / اتحـاد القبائـل يُديـر ويُنظـم أمـور الدولـة والحكـم وكان "المُسـوَد" بمثابـة سـلطة عليـا يقـف عـلى رأسـها الملـك، الـذي بـه ومـن خلالـه تنظـم وتنتظـم أمـور الحكـم/ الدولـة وهـو القائـد العـام للجيـش (الخميس/القـوات المسـلحة)، تمـر القـرارات والقوانـين والنظـم الـتي يصدرهـا مجلـس الحكـم (المُسـوَد) عـبر توقيعـه النهـائي عليهـا لتصبـح معتمـدة، (حالـة مـن نظـام توزيـع السـلطات) وهـو ذات النظـام السـياسي الدسـتوري القانـوني الـذي عرفتـه شـعوب العالـم المتحـضرة في العالـم القديـم/ وكـذا الشـعوب والـدول في العصـور اللاحقـة، وهنـا نقـرأ ونفهـم معـنى نشـأة الدولـة، والدسـتور الناظـم لهـا في حيـاة اليمنيـين في حضـارة اليمـن القديـم، حـتى كانـت لحظـة القطـع العبثيـة والعدميـة مـع الربـع الأخـير مـن القـرن الرابـع الهجـري الـذي عدنـا معـه القهقـرى عـن كل مـا كان مـن تاريـخ بنـاء الدولـة في حيـاة اليمنيـين في صـورة كل مـا نـراه يجـري في المجـال السـياسي العـام في حياتنـا اليوم وكأننـا في حالـة قطيعـة عدميـة وعبثيـة مـع مـا كان في تاريـخ الـدول (قطعـاً باسـتثناء الـدول: الصليحيـة، والرسـولية، والطاهريـة)، في حيـاة اليمنيـين قبـل قـرون سـحيقة في القـدم، الـتي كانـت الدولـة فيهـا، هـو العنـوان البـارز لحضـارة اليمـن القديـم.

.....

الهوامش.

<1>

{1) سقط سهواً على الكاتب

(2) سقط سهواً على الكاتب

<2>

-1 (عنـوان الدراسـة)، كريسـتيان روبـان، تـر/ د. عـلي محمـد زيـد، مجلـة دراسـات يمنيـة، مجلـة فصليـة تصـدر عـن مركـز الدراسـات والبحـوث اليمـني صنعـاء، العـدد رقـم (27) ينايـر، فبرايـر، مـارس 1987م، ص85.

-2 الحيـاة العسـكرية في دولـة سـبأ، دراسـة مـن خـلال نقـوش محـرم بلقيـس، نبيـل عبدالوهـاب عبدالغـني الـسروري، رسـالة ماجسـتير جامعـة صنعـاء، ط1، 2004م، ص16. ويُنظـر: "الطـواف في البحـر الأحمـر"، إشـارة لكـرب إيـل، وللملـك الشرعـي لقبيلة سـبأ، ويدعـى "صديـق الأباطـر" ولأنهـا عـلى صلـة دائمـة بهـم عـن طريـق السـفراء

والهدايا المرسلة)، أنظر: مؤلف مجهول، تعليق وترجمة، حسين علي الحبيشي، ونجيب عبدالرحمن الشميري الهيئة العامة، صنعاء، ط2، 2008م، وكذا نقلاً عن كتاب "الطواف في البحر الأحمر" ودور اليمن البحري، مركز عبادي للدراسات، ص16. وتشير (الجرو) كذلك إلى هذا المعنى، يُنظر: التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية، اليمن القديم، د. اسمهان سعيد الجرو، مؤسسة الخدمات والدراسات الجامعة الأردن، ط1996م، ص14.

-3 ذلك أن معظم النقوش اليمنية القديمة سبئية وهي كثيرة تغطي التاريخ السبئي.

-4 (عنوان الدراسة) كريستيان روبان، ص87. ويُنظر حول هذا المعنى د. اسمهان الجرو، ص248 مشيرة إلى أنها نقوش نذرية.

-5 أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، د. يوسف محمد عبدالله، دار الفكر دمشق، ط2، 1990م. حيث يذكر أن دولة معين ليست من الدول القديمة في تاريخ اليمن القديم "وأن ما يعرف من معلومات نقشية عن ازدهار دولة معين لا تتعدى القرن الرابع ق.م، وأن أكثر ما نعرفه عن حضارة تلك الدولة يعود إلى القرنين الثالث والثاني ق.م". ص214-213. وترى د. نورة عبدالله العلي النعيم "إن الفترة من القرن الثالث ق.م، إلى القرن الثالث الميلادي، هي بداية تشكل النظم السياسية والدولة، وأنها من أزهى فترات تطور النظم السياسية، وتشكلت فيها دول مستقرة ذات كيان سياسي مستقل خاصة في جنوبها الغربي، وأهمها: معين وحضرموت وقتبان وسبأ بدوريها السبئي، والحميري، وقد شغلت هذه الدول مدة طويلة في تاريخ الجزيرة". يُنظر: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، في الفترة من القرن الثالث ق.م، وحتى القرن الثالث الميلادي، د. نورة عبدالله علي النعيم، دار الشواف للنشر والتوزيع - السعودية، ط1، 1992م، ص12-11.

-7 خلاصات استقرائية حول تاريخ الدول اليمنية القديمة، أ. د عبدالله أبو الغيث، بحث منشور في النت، ص1.

8 - الملكية في اليمن القديم - دراسة تطبيقية على دولة سبأ، د. ليبيا عبدالله ناجي دماج، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 2017م، مقدمة الرسالة. وهناك تفاصيل عميقة ووافية حول قضية الملكية، وارتباطها بالدولة واستقرارها في متن لأطروحة، حيث تؤكد الباحثة على علاقة الاستقرار بالدولة، ونظام الملكية

والتشريعات في هذا الاتجاه، وهو ما نجده كذلك عند د. نورة النعيم.

-9 د. ليبيا عبدالله ناجي دماج، ص11. والحديث حول الدولة اليمنية القديمة سبأ أو غيرها وعلاقتها بالزراعة والملكية، والاستقرار دليل على قدم بناء اليمنيين للدولة في تاريخ الحضارة العالمية القديمة ومن أهم ملامح هذه الدول الحضارية القديمة هو حضور البعد الطبقي فيها، شأنها شأن حضارات الرومان والإغريق إلخ وهو ما يشير إليه بوضوح المستشرق الروسي "لوندين" في كتابه "دولة مكربي سبأ".

-10 يُنظر: د. اسمهان سعيد الجرو، ص89.

-11 د. أسمهان سعيد الجرو، ص113-112.

-12 يُنظر: حول هذا المعنى (عنوان الدراسة)، د. محمد عبدالقادر بافقيه، مجلة دراسات يمنية، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني- صنعاء، العددان (25/ 26)، لسنة 1986م، ص90. وكذلك د. اسمهان سعيد الجرو، ص115-113.

-13 د.نورة النعيم، ص39-35.

-14 د. أسمهان سعيد الجرو، ص115-111".

-15 د. نورة النعيم، ص36-35-34

-16 يشير د. جواد علي: إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ويُنظر: د. أسمهان الجرو، ص180. وكذلك د. نورة النعيم، ص31.

17 – أ. د.عبدالله أبو الغيث، ص4. وللدكتور عبدالله أبو الغيث رأي قد يخالف فيه العديد من الكتابات التاريخية، حيث يرى أن لقب ملك أقدم من لقب مكرب .. وأن المكرب كان أكبر من ملك، وكان لا يتخذه إلا حاكم الدولة الأول في اليمن القديم، ولذلك لقب الملك هو الأقدم من مكرب لكن هذه المعلومة لا زالت بحاجة لإبرازها. وهي في الأصل للباحث الفرنسي كريستيان روبان، وليست لي، -كما قالها بالحرف د.عبدالله أبو الغيث- ستجد تفاصيلها - والحديث له- في روبان (المنشور ضمن كتاب (اليمن: في بلاد ملكة سبأ) والفرق بين هذه النظرية الجديدة والنظرية القديمة، أن النظرية القديمة تعتبر أن المكرب هو الحاكم الذي يجمع بين السلطتين السياسية والدينية، بينما النظرية الجديدة تتعامل معه على أنه (الموحد) الذي تتمتع دولته بهيمنة على بقية الدول، وفي البداية "أي اللقب" حمله حكام سبأ ثم انتقل إلى حكام قتبان وبعدها إلى حكام دول

حضرموت، ولأن الرأي الجديد ولا يزال يشق طريقه بين الباحثين المتخصصين، وما تزال الرؤية القديمة هي السائدة أو المنتشرة. والايضاح الوارد هنا في هذا الهامش للدكتور/ عبدالله أبو الغيث.

18 – يُنظر: د. نورة النعيمر، ص 38-37-16، فرسالة الدكتوراه مكرسة عن وحول تشريعات اليمن القديم.

19- د. نورة النعيمر، ص90. فالتشريعات والقوانين التي يوردها الكتاب تقول بنظام توزيع السلطات، وإلى أن الملك هو القائد الأعلى للجيش، وهو من يصدق على القوانين والمراسيم في النهاية لتصبح معتمدة.

20- يمكن العودة إلى الكتابات التالية: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، د. يوسف محمد عبدالله، ص95. حيث يورد أيضاً نصاً وافياً عميقاً حول اليمنيين والحرب جاء فيه "كان اليمنيون كغيرهم يلجأون إلى الحروب لأسباب عديدة منها حب التوسع والغزو أو الرغبة في كسب أمجاد، أو الأسباب دفاعية أو شخصية وانتقامية ويسجلون بعد عودتهم من تلك الحروب نقوشاً نذرية تقدم إلى الآلهة، يحمدونها على أن عادوا سالمين غانمين (...) وتعتبر النقوش الكثيرة التي عثر عليها في مدخل معبد أوام "محرم بلقيس" في مأرب مادة خصبة لمعرفة فن الحرب في اليمن القديم، حيث يمكن أن يعرف منها تشكيلات الجيش وفيالقه وأسلحته". ويُنظر: نبيل عبدالوهاب، ص39-38، حول دور الجيش، الذي اتخذ في الكتابات النقشية والمصادر الكلاسيكية مسمى مفردة "الخميس"، ومن أنه جيش (محترف)، ويُنظر: حول عملية نظام التجنيد في الجيش، ص66، وحول التجهيزات العسكرية، وكيف تتم، ومنها، الزي العسكري، انظر، ص 105، وحول نفس القضايا المشار اليها، حول الجيش وطبيعته، وطرق تنظيمه في دول اليمن القديم، يمكن العودة لكتاب: جيش اليمن قبل الاسلام، صالح احمد الحارثي، مطابع دائرة الصحافة والطباعة والنشر، 1991م، ص56-47. وحول الزي العسكري للجيش الرسمي، يُنظر: ص64.

21- أ. د عبدالله أبو الغيث، ص6.

22- انظر دستور" دولة قتبان"، د. نورة النعيم، ص156-150.

23- د. نورة النعيمر، ص 124-123. وقد قدمت الباحثة عرض ومناقشة معمقة لمفهوم (المسود).

أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية

(صعوبة المسار وصواب الخيار في اليمن) (*)

(الجزء الثاني)

أ.عبدالجبار عبدالله سعيد الصلوي
كاتب وباحث في الاقتصاد السياسي والعلوم الإنسانية، وخبير سياحي

تناول الجزء الأول من البحث حول أسس التوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية في اليمن بتركيز واضح المفاهيم والمصطلحات الرئيسة للثروة الوطنية، والموارد والإيرادات المالية العائدة منها في الدولة الاتحادية الفيدرالية، والأسس والمبادئ والمعايير لتوزيعها العادل والمنصف رأسياً في المستويات المحددة لهذه الدولة، وأفقياً في أجزئها المكونة كوحدات سياسية: تشريعية ولإدارية- تنفيذية وقضائية في الدولة الاتحادية. ويستكمل في هذا الجزء مبحثان، هما:

المالية العامة للدولة الاتحادية، وتحقيق التوازن وإصلاح العجز الناجم فيها، بما يحقق تصحيح ومعالجة الاختلالات اللاتوازنية الرأسية، أو الأفقية من خلال آليات الفيدرالية المالية المتمثلة في المالية أو الموازنة العامة للدولة والخطط والبرامج التنموية لها، والمنفذة للسياسات الاقتصادية العامة للدولة الاتحادية الفيدرالية في الواقع.

الدولة الاتحادية الفيدرالية في اليمن: صعوبة المسار وصواب الخيار، مستشرفاً المكانة، والأهمية المحورية العالمية معرفياً وعملياً لهذه النموذج بما يناسب واقع

الاختيار والمشروع الوطني المستقبلي لليمن، للخروج من دوامة الحروب والإشكاليات المتراكمة، والمركبة، والشاملة، التي تعيق الوحدة والتنمية، وبناء وإدارة الدولة الوطنية المدنية الجديدة، كدولة فيدرالية اتحادية الشكل والمضمون.

المبحث الثالث

(المالية العامة للدولة الاتحادية وتحقيق التوازن وإصلاح العجز فيها)

المالية العامة (الموازنة) هي المجسدة للفيدرالية المالية والسياسات الاقتصادية: النقدية والمالية والتنموية للدولة الاتحادية من جانب، وهي الصورة المعبرة لعكس حالة الاقتصاد، والحياة السياسية، وظروفهما في الدولة لفترة زمنية معينة من جانب آخر، وتنصب الجهود في النظام المالي الاتحادي دائماً على ثلاثة جوانب رئيسة، هي: كيفية الحصول والجمع للأموال، وتوزيعها رأسياً وأفقياً، وكيفية استخدام الأموال، وحل وتصحيح الاختلالات المالية الناشئة بين الجانبين، والمعادلة العامة لمالية الدولة الاتحادية، تعكس الإجماليات العامة لكيفية التقسيم الأفقي والرأسي للمكونات الثلاثة للمعادلة: قيمة الإيرادات حسب مصادرها، وحجم الإنفاق/ النفقات بحسب أوجه استخدامه، والنتيجة المتوخاة (تطابق/ توازن، أو فائض، أو عجز)، ويأخذ الشكل التالي:

الحالة	(١) قيمة الإيرادات العامة	(٢) حجم الإنفاق الحكومي	(٣) النتيجة
الأولى	حصيلة الإيرادات	إجمالي الاستخدامات	تطابق (=)
الثانية	حصيلة الإيرادات (+)	إجمالي الاستخدامات (-)	فائض (+)
الثالثة	حصيلة الإيرادات (-)	إجمالي الاستخدامات (+)	عجز (-)
النتيجة	**جملة الإيرادات**	**جملة الإنفاق**	**تعادل/ صفر**

ففي الحالة الأولى الخاصة بالتطابق (التعادل) بين جانبي المعادلة نادرة، أو قليلة الحدوث بشكل عام لكل مستوى من مستويات الحكم في الدولة الاتحادية، بسبب الترتيبات المالية التي يطلبها تحقق التعادل، والعوامل والقيم المتغيرة في المصادر الإيرادية، وأوجه الإنفاق، التي عادة تكون "أقل ثباتاً واستقراراً لأن حصص مصادر الإيرادات، وأولويات الإنفاق العام والفائض، أو العجز الحكومي من الممكن أن يتغيران باستمرار كلاهما خلال فترات قصيرة"(1)،

فإن الجهود والاهتمامات تنصب بالتركيز على معالجة حالات الاختلالات اللاتوازنية رأسياً وأفقياً، عبر العمل التشريعي والتخصصي: الفني والمالي والبشري في المكونات للمعادلة العامة على النحو التالي:

أولاً: مصادر عائدات الموارد المالية (كيفية الحصول والجمع للأموال)، بالعمل على الآتي:

1 - تخصيص وتحديد الأنواع المختلفة من المصادر الإيرادية للدولة بشكل دستوري وقانوني وفقاً لمبادئ التوزيع.

2 - تحديد السلطات المختصة بفرض قيم الضرائب والعوائد من الموارد المختلفة دستورياً وتشريعياً.

3 - التوزيع النسبي العادل الرأسي، والأفقي للحصص المحددة لكل مستوى من المستويات، والوحدات المكونة وفقاً لمعايير ومعادلات التوزيع، وإعادة التوزيع عند الاقتضاء.

4 - القيام بجمع وتحصيل الأموال وإنفاقها (الإدارة المالية).

ولما كانت السلطات القانونية للعائد المالي وجمعه وكيفية توزيعه يعد عنصراً رئيسياً في حياة كل الدول والحكومات وضمنها معمولاً به في أغلب الدولة الاتحادية، فإن المصادر الإيرادية والعائدات المالية المختلفة في الدولة الاتحادية المستهدفة، وواقع الخصوصية في اليمن، يقترح توزيعها الرأسي بين مستويات الحكم الثلاثة الاتحادي - المركزي والإقليمي والولايات، وهو ما يجب أن يتضمنه الدستور الجديد والتشريعات القانونية بموجبه بدرجة قاطعة، لتشمل على الآتي:

1 - الضريبة والرسوم الجمركية: للصادرات والواردات من: المنافذ البرية، والمطارات الجوية، والموانئ البحرية، وتخضع غالبا للسلطة الاتحادية، لاعتبارات الفعالية وتحقيق الوحدة الاقتصادية للدولة، ويمكن أن تجمع بشكل مشترك على مستوي الإقليم، والولاية بإعطائهما نصيب (نسبة) محددة منها.

2 - ضرائب دخل الشركات الصناعية والتجارية: في الغالب تخضع للسلطة الاتحادية، لارتباط أرباحها بتجاوز حدود الوحدات الإقليمية الداخلية، ومقراتها لا تعكس المصادر الجغرافية للدخل، وأحياناً تكون مشتركة (متلازمة) مع مستويات الحكم الإقليمي، وفي الولاية بإعطائهما نصيب (نسبة) محددة منها.

3 - ضرائب الدخل الشخصي للأفراد: في الغالب تكون مشتركة بتخصص نسبة محددة لمستويات الحكم الاتحادي، أو الاقليمي، أو الولاية كونها ترتبط بمكان إقامة أو عمل الأفراد.

4 - ضرائب المبيعات الاستهلاكية للسلع والخدمات (القيمة المضافة): مشتركة بين السلطة الاتحادية، والإقليمية، وللولاية.

5 - ضرائب الرواتب والأجور والتأمين الاجتماعي للعاملين: ذاتية لكل مستوى من

الحكومة شأنها شأن ضرائب الأفراد المقيمين كل فيما يخص وحدته المكونة.

6 - الضريبة العقارية وعوائد بيع وتأجير الأراضي: ذاتية محلية للولاية، لأن العقارات والمنشآت ثابتة في المكان.

7 - عائدات الموارد الطبيعية: نتيجة للسمات الخصوصية للنفط، والغاز، والمعادن، والمياه، والطاقة، والأسماك وغيره، فإنه يتم تقاسمها بحصص عادلة بين الوحدة المنتجة (الولاية)، والأقاليم غير المنتجة، والحكومة الاتحادية.

8 - رسوم المنافع والاستخدامات العامة: للخدمات والمعاملات (كالمطبوعات ذات القيمة) قد يتم تبينها على جميع المستويات للحكومة، وخاصة في المستوى الذي يقدم الخدمة المباشرة كرسوم الجوزات، والبطائق، والتراخيص.

9 - أرباح الشركات والمشاريع والمؤسسات العامة والمساهمة وبيع أصولها: مفتوح لمستويات الحكم حسب طبيعية وجغرافية نشاطها وملكيتها وحجم أرباحها.

10 - الاقتراض (الدين العام) الخارجي والداخلي: في الغالب اتحادي، وقد يكون مفتوح لجميع مستويات الحكم، إلا أنه غالباً يخضع لتنسيق (عبر مجلس قروض) على المستوى المركزي والإقليمي والمحلي في عدد من الدول.

11 - المنح والمساعدات: اتحادية وتمنح جزء منها للأقاليم والولاية.

12 - المصادر الأخرى: كالضرائب البيئية، قد تكون من الأفضل اتحادية، لآثار التلوث غير المحدودة، ورسوم النقل الخارجي (الدولي)، والبيني (بين الأقاليم) اتحادية، والزكاة تكون محلية، ويخصص نصيب منها للإقليم. أما رسوم الخدمات (النقل الداخلي – المحلي، والسياحة، والصناعات والحرف والمهن الصغير والنظافة تكون محلية للولاية، (جبر – موقع إلكتروني، وأندرسون، 2013م:43-30). بشكل عام فإن ما تجمعه الحكومة المركزية من إيرادات مقارنة بالإيرادات حكومات الوحدات المكونة في الدولة الاتحادية يتراوح بين نسبة (45%) في كندا و(75%) في سويسرا، وأمريكا وأعلاها (80%) كما هو الأرجنتين، ماليزيا، المكسيك، نيجريا، روسيا...الخ (2).

إلا أن هناك تحديات شاملة، كما هو الحال في اليمن، تحد من التحصيل الكفؤ والفعال للعائدات المالية، أهمها:

ا) التهرب الضريبي للتلاعب بالتحصيل، والاعفاءات الأوامريه(غير القانونية) ، والتهرب الجمركي.

ب) التهريب الوافد والمعاكس، بسبب اتساع وعدم ضبط الحدود البرية والبحرية، وتحولها إلى تجارة رابحة ومحمية من مراكز النفوذ.

ج) عدم وجود عدالة ضريبة تصاعدية على الدخل.
د) عدم الاستغلال/ والاستخدام الكفؤ للموارد الطبيعية المتاحة.
ه) انتشار الفساد في تحصيل وإدارة الموارد الإيرادية.
وسنتطرق للحالتين الأخيرتين بعد توضيح أوجه الانفاق للأموال المحصلة.

ثانياً: أوجه الإنفاق الحكومي للأموال وفقا لاستخداماته المختلفة في الدولة الاتحادية، وتتم وفقاً للتالي:

_1_تحديد ما هو اختصاص وسلطة حصرية مركزية، أو إقليمية، أو ولائية، أو سلطة مشتركة (متلازمة) بينية (بينها) بشكل عملي منصف، ومحدد في الجوانب التشريعية والإدارية والمالية والخدمية للمستويات الثلاثة.

_2_ تخصيص السلطات والمسؤوليات المؤسسية الواضحة لأوجه الإنفاق والاستخدام للأموال على أساس التطابق بين المسؤوليات التشريعية والإدارية والمالية وبين حجم الإنفاق المخصص لكل مستوى، لأجل الوفاء بالاحتياجات ذات الأولوية، ومتطلبات الاستخدام لتوفير السلع والخدمات العامة، والشبة العامة بشكل مناسب ومتساوي للمواطنين.

_3_تحديد وتنصيف/ توصيف دقيق ومبوب (متكامل) بأهم مجالات الاختصاصات والواجبات النوعية الفنية المعبرة عن الوظيفة التخصصية، والدور العام الواجب على سلطات الدولة في الجوانب المختلفة لحياة المجتمع، في مجموعات رئيسة خمس للسلع والخدمات والمنافع: (الأساسية 25%)، و]الجماعية العامة 20% [و}الخدمية الاجتماعية 20%{ ، و ((الاقتصادية 20%))، والأخرى <غير المصنفة 15%>، وتأخذ عادة أوزان ترجيحية مقدرة (بدرجات+) كنسبة من (100%) وفقاً لمعايير الأمم المتحدة بهذا الشأن، وهو ما نقترحه أن يكون عليه الأمر في الدولة الاتحادية في اليمن كما يلي:

أ- الاختصاص الحصري الاتحادي-المركزي، بنسبة وزن (16%): موزعة على (الدفاع2+، الأمن والاستخبارات1+، العلاقة الخارجية والمهاجرين2+، والطوارئ والكوارث1+) و((العملة1+، السياسات: المالية1+ والنقدية والائتمانية 1+، والتجارة العالمية والموانئ 2+))، و< المنظمات الدولية والإقليمية -التعاون والمساعدات 3+، الاتصالات والمعلومات الخارجية2+>.

ب- الاختصاصات المشتركة للمستويات الثلاث، بنسبة وزن (39%): على (أجهزة الحكم: التشريعية2+، الإدارية2+، القضاء2+، الخدمات العامة4+، تنظيم الانتخابات، والأحزاب والمنظمات3+، الحدود والمساحة3+، الإحصاء1+)، و] المواصفات والمقاييس3+،

الأشغال: تخطيط، بناء وطرق3+، المهن العامة: إعلام، شباب، محاماة.. الخ 3+[، و} التأمين: المعاشات2+، التقاعد2+، الدعم الحكومي والرعاية2+{و((الموارد المالية2+، الثروات: المعدنية والنفطية2+))، و< سداد القروض والفوائد3+>

ج- الاختصاص الحصري الإقليمي كل في نطاقه بنسبة وزن (22%): (الأمن 1+)، و] الكهرباء والطاقة2+، الدفاع المدني1+، البحث العلمي والتعليم العالي4+، النقل الخارجي والبيني.. الخ1+[، و} الضمان الاجتماعي 2+{، و((التنمية الاقتصادية للثروة: المعدنية1+، السمكية1+، الصناعية 1+، التجارة والتموين البيني1+))، و<الاتصالات البينية 1+، الثقافة والفنون والآثار 2+، السياحة 1+، البيئة 1+، الإعانات والمساعدات1+، الأرصاد 1+>.

د- الاختصاصات الحصرية للولايات (محلي) والسلطات المتبقية بنسبة وزن (23%) موزعة: (الشرطة بفروعها 1+)، و] المياه 1+، الصرف الصحي1+، النقل والمواصلات الداخلية 1+[، و} التعليم والتدريب 3+، الصحة 3+، الرعاية 4+، الأوقاف 1+، الزكاة والإفتاء 1+{، و((الأراضي 2+، الثروات: الزراعية1+، الحيوانية1+، الصناعات والحرف الصغيرة1+، والتعاونيات والجمعيات 1+، والتجارة الداخلية1+))، و<الفروع المختلفة للمستوى الإقليمي: لها نسبة وزن من حصة كل الإقليم> (3).

_4_إجراء التوزيع وإعادة التوزيع والتعديل العادل للموارد المالية على أوجه الاستخدامات، الملبية للحكم الرشيد على أساس الاختصاصات بين المستويات وبرامج ومشاريع التنمية والخدمات، وعادة تتصف هذه البرامج والمشروعات بالآتي:

برامج الإنفاق على مشاريع الخدمات العامة المختلفة، ويتضمن عناصر قوية لإعادة توزيع الدخل من دافعي الضرائب (الأغنياء) إلى مستهلكي الخدمات (الفقراء).

مسئولية الإنفاق على برامج الخدمات والبنى التحية، تحدد في:

_أن تكون الحكومة الاتحادية مسئولة عن البرامج الرئيسة والأساسية كالدفاع والخارجية والطوارئ، التي من شأنها إعادة التوزيع للثروة بين أفراد المجتمع.

_أن تكون الحكومة المكونة الإقليمية /الولايات مسئولة عن إدارة البرامج والإنفاق عليها في مجالات المسئولية المشتركة التشريعية والإدارية كبرامج الخدمات والمساعدات الاجتماعية، لاستجابتها الأكثر، ولقربها من المواطنين.

_أن تكون مشتركة بين المستوى الأعلى والأدنى في المشاريع الإستراتيجية على المستوى الوطني بين الأقاليم والولايات للمشاريع البنية التحتية.

_5_يأخذ الإنفاق الحكومي في الموازنات العامة شكل (أبواب/ أنواع/ بنود) محددة للنفقات الجارية والتشغيلية والرأسمالية (الاستثمارية) والالتزامات.

وبالعمـوم فـإن نسـبة إجمـالي الإنفـاق للحكومـة المركزيـة مقارنـة بإجمـالي الإنفـاق في الأنظمـة الفيدراليـة، يكـون في مسـتويين: قليلـة بنسـبة (30-40%) كمـا هـو الحـال في سـويسرا، كنـدا، بلجيكا وألمانيا (4)، متوسـطة بنسـبة (45-60%) في معظـم الـدول الاتحاديـة الفيدراليـة. والقاعـدة العامـة هـي أنـه مـن يجمـع أمـوال أكـبر ينفـق أكـثر (5).

ثالثا: آليـات التعامل مع الفائض وإصلاح العجـز اللاتوازني للمالية العامة:

في الحالـة الثانيـة لشكل وقيمـة المعادلـة العامـة يظهـر فائضاً، كزيـادة في عائـدات مـوارد المصـادر الإيراديـة عـن حاجـة المسـئولية، واسـتخدامات الإنفـاق، فـلا بـد مـن القيـام بالتعديـل، ونقـل هـذا الفائـض في إطـار المسـتويات الرأسـية لسـلطات الدولـة، أو المكونـات الأفقيـة لوحـدات الدولـة، خاصـة وأن هـذا الفائـض عـادة قـد يكـون عـام في كل المسـتويات، والمكونـات كاختـلال إيجـابي (فائـض) في مسـتوى، أو مكـون مقابـل اختـلال سـلبي (عجـز) في مسـتوى، أو مكـون أخـر، أو عـدة منهـا في الدولـة.

لهـذا فـإن الآليـة المتبعـة للتعديـل والتعامـل مـع هـذا الفائـض كترتيبـات معالجـة، وتصحيـح وفقـا للتـالي:

-1 إن أحـداً أو عـدداً لمسـتويات الحكومـة الرأسـية يجمـع إيـرادات ماليـة مـن عائـدات المـوارد تفـوق الاحتيـاج المطلـوب لتمويـل مسـئولياته، وبرامجـه الخاصـة بالخدمـات المختلفـة، فالترتيبـات للمعالجـة والتصحيـح تتـم بإعـادة توزيـع عمـودي للفائـض بطريقتـين:

أ- تحويلات حكومية من المستوى الأعلى إلى الأدنى بمنح مشروطة، أو غير مشروطة.

ب- إتباع برامج إنفاق توسعية كمية ونوعية (للرفاه) على مستوى الدولة.

-2 وإن الزيـادة أفقيـة لعائـدات المـوارد مـن مصـادر الـثروة: عـدم التـوازن بـين بعـض الأقاليـم /الولايـات الأغـنى مـع أخـرى الأفقـر، أو هـو: فـارق عائـدات المـوارد الطبيعيـة، الـتي تفـوق حاجـة المسـئولية والتنميـة للاحتياجـات في الولايـات/ الأقاليـم المنتجـة، فيجـرى إعـادة توزيـع أفقـي للفائـض، بطريقتـين:

أ- تحويـلات التعـادل (التضامـن) الأفقيـة لامتصـاص الأموال مـن أجـزاء (الأقاليم/الولايات) الثريـة إلى المكونـات الفقـيرة (الأشـد فقـراً) كتحويـلات بينحكوميـة، أو عـبر المسـتوى الأعلى.

ب- تحويـل صـافي الفائـض مبـاشرة أفقيـاً مـن الوحـدات إلى بعضهـا، كمسـاعدات مشروطـة أو شـبة مشروطـة أيضـاً.

أمـا في الحالـة الثالثـة للمعادلـة العامـة: فالاختـلالات اللاتوازنيـة، نتيجـة للعجـز بـين عائـدات المـوارد عـن مطابقـة المسـئوليات والواجبـات الدسـتورية لـكل مسـتوى من مسـتويات الحكـم، فتكـون آليـات وترتيبـات المعالجـة والتصحيـح مختلفـة ومكلفـة، وفقـاً لتـالي:

1 - إذا العجـز رأسي لإيـرادات مـوارد الحكومـة الاتحاديـة المحـددة دسـتورياً عـن مطابقـة إنفاقهـا المحـدد دسـتورياً أيضـاَ، ويمكـن أن ينشـأ مثـل هذا العجـز في أي مسـتوى للحكومات، بسـبب نقـص واضـح وحـاد في قيمـة (مجمـع حصيلـة) الإيـرادات عـن مطابقـة تكلفـة الإنفـاق، أو لشـحة المـوارد الماليـة والطبيعيـة الحقيقيـة، فالترتيبـات لتصحيـح وتغطيـة العجـز تتـم بعـدة طـرق: :

أ- اللجوء للدين العام بالاقتراض الداخلي، أو الخارجي وله تبعات مالية وسياسية.

ب- اللجوء إلى المنح والمساعدات (أعباء).

ج- زيـادة القـدرة الجبائيـة، ورفـع مسـتوى الجهـد الضريـبي، ومكافحـة الفسـاد والتهريـب' والتهريـب الضريـبي.

د- تغيير قيم ومصادر الإيرادات الضريبية (زيادة أعباء على المواطنين والمستثمرين)

هـ- زيادة الاستكشافات للثروات.

وتشجيع الاستثمارات الخاصة..

2 - أما العجز الأفقي للإيرادات، وينشأ نتيجة:

أ- اختـلاف (تبايـن) القـدرات للعائـدات لـدى الوحـدة المكونـة (إقليـم / ولايـة) إلى حـد يجعلهـا غـير قـادرة عـلى الإنفـاق لتقديـم الخدمـات لمواطنيهـا عـلى نفـس مسـتوى الضريبة،

ب- عجـز الإيـرادات، واختـلاف اسـتخدامات الإنفـاق عـلى المسـؤوليات والاحتياجـات للوحـدة المكونـة بسـبب: تنـوع الخصائـص الاجتماعيـة الديمغرافيـة (السـكان /المسـاحة/ الحرمـان/ الحاجـة)، والعجـز الناتـج عـن زيـادة حتميـة في الإنفـاق والمسـئولية الباهظـة، أو لاختـلال ومبالغـة بكلـف الخدمـات في الوحـدات، فتتـم المعالجـة بإعـادة النظـر في التوزيـع عـلى جوانـب الإنفـاق بتقليصـه عـبر: :

- التركـيز عـلى حتميـة الأولويـات للاحتياجـات، والاسـتخدام الكفـوء والرشـيد للإنفـاق، وخفـض وتعديـل تكاليفـه، وتحسـين الإدارة الاقتصاديـة: الماليـة والنقديـة والتنمويـة، وإعمـال المسـاءلة والمحاسـبة ومكافحـة الفسـاد.

- التحويـلات الماليـة الناجمـة عـن العوائـد مـن الديـون والمسـاعدات ورفـع القـدرة، مـن أحـد المسـتويات الأعـلى للحكومـة إلى المسـتوى الأدنى لـ (تسـوية وإصـلاح عـدم التـوازن المـالي) وتأخـذ شـكلين:

+ تقديـم منـح مسـاعدة مشروطـة أو شـبة مشروطـة بقيـود أو غـير مـشروط عـلى أوجـه الإنفـاق.

+ دعـم إضـافي كجـزء مـن حصـة بعـض الضرائـب، أو عائـدات المـوارد المشـتركة لصالـح

الأقاليم /الولايات، وهي غير ثابتة (متأرجحة) بين الزيادة والنقصان بمرور الزمن ومستوى النمو في الخدمات والمعيشة.

وبشكل عام التحويلات المالية في الأنظمة الاتحادية لا تتجاوز نسبة (10-30%) من مجموع إيرادات كثير من الدول (6).

النتيجة الحتمية، مما سبق للترتيبات والآليات المالية في الدولة الاتحادية، لابد من تحقيق الوصول إلى توازن عام (معادلة متساوية/صفرية) لجانبين المعادلة العامة لمالية الدولة (الإيرادات = الإنفاق)، عن طريق إعادة التوزيع لعائدات الموارد وأوجه إنفاق وفقاً لمعادلات ونسب التوزيع/ إعادة التوزيع الرأسي والأفقي، التي تختلف في معاملاتها المكونة وقيمها مع مرور الزمن ومستوى التحسين /التطور والنمو.

ولما كانت الفيدرالية المالية تقوم على أسس واضحة، ومحددة وثابتة من المبادئ والمعايير العادلة، وعلى ترتيبات ومعادلات مالية متغيرة دورياً في قيمها وكلفها، فإن التعديل فيها يخضع لمعايير تقييمية تشمل: الكفاءة (الفعالية) الاقتصادية، والسهولة (الاستجابة) الإدارية، وحوافز الابتكار (الكفاءة والجدية)، والإنصاف العادل (المساواة)، والتوازن المعقول بين المسؤوليات والإمكانيات، والقدرة على التنبؤ والاستقرار، والمساءلة (الشفافية).

المبحث الرابع
(الدولة الاتحادية الفيدرالية في اليمن: صعوبة المسار وصواب الخيار.)

إن الواقع التاريخي لمسار التطور المتعثر، والأحداث الكبيرة في اليمن تضعنا بجلاء تام أمام إشكاليات وصعوبات وتحديات تواجه آفق المشروع الوطني، ليس كحلم اختيار وحسب، بل وصواب خيار أيضاً، لتحقيق يمن اتحادي فيدرالي ديمقراطي، وكأساس للحل النهائي، في بناء وإدارة الدولة الفيدرالية الاتحادية الحديثة/الجديدة، لأن أسس ومبادئ العدالة والانصاف والمساوة في توزيع الرأسي والأفقي للسلطة السياسية ولعائدات الموارد المالية من الثروات الوطنية الطبيعية، وأوجه إنفاقها نظرياً وعملياً لا تطبق بشكل مؤكد ومرض وسليم، إلا في تجارب الدول الاتحادية الفيدرالية القائمة في العالم، وبأقل السلبيات والتجاوزات في السياسات والترتيبات العملية المختلفة، ولأن الدول الاستعمارية الإمبريالية لن تسمح بتحقيق التحديث، وبأسسه كما تحقق تاريخيا فيها، هذا عوضا عن ممانعة القوى المرتهنة التقليدية المحلية لهذا المسار المتعثر والمكبوح.

والدولة الاتحادية الفيدرالية تعد نموذجاً عالمياً متقدماً، تم هندسته وبنائه وفقاً لفهم خصائص الواقع لكل بلد على حدة، والتطبيق والبناء الحقيقي لهذه الدولة في اليمن، هو الخيار الصائب والأوحد المتبقي، الذي لم يجرب بعد عمن سواه، منذ تاريخ السيطرة والتفكيك الاستعماري والسلاطيني في الجنوب، والإمامي الكهنوتي المنغلق في الشمال، والتجزئة وعلاقاته المتوترة والمسدودة بين دولتي الشطرين، ثم الوحدة " الاندماجية المغدورة، مما يتطلب فهماً عميقاً، واستيعاباً كاملاً، وتعاملاً إيجابياً, وتجاوزاً جاداً وصادقاً للوعي الناقص، أو المغلوط عن هذا الخيار، ونماذجه العالمية، والخصوصية الوطنية، والظروف المحلية للواقع في اليمن، خاصة في ظل وجود فهم نخبوي خاطئ متراوح بين "الغموض" العام أو "التشويش" السياسي، أو "المعادي" صراحة من أصحاب المصالح ومركز القوى والنفوذ للسلطة والثروة، وكونه خياراً سيضع حداً للمركزية والأوامرية الشديدين، والهيمنة والسيطرة والإقصاء والاستجداء، وسيتحقق بهذا الخيار وعبره تطلعات ومصالح أبناء الشعب في التشارك والمشاركة السياسية والمالية المؤكدة، والمواطنة المتساوية، وتحقيق التنمية المتوازنة، وإنهاء احتكار السلطة السياسية والاستحواذ على الثروة الوطنية.

فحينما كان اليمنيون يريدون الفكاك والخروج من مأزق نزاعاتهم واحترابهم المتكررة بالأصالة، أو بالوكالة، وحل مشاكل واقعهم المتخلف بالتطلع نحو المستقبل، اكتسبوا تجربة طويلة ومريرة وصعبة في مراحل الحوار المختلفة، قبل الوحدة، واثنائها، وما بعدها لإيجاد حلول ناجعه للأزمة والقضية الوطنية اليمنية الكامن فيها أيضاً القضية الجنوبية وقضية الوحدة والدولة، وكان المختلفون والمتحاربون في هذه الفترات من مسار التاريخ الحديث، يجلسون في النهاية إلى الطاولة معاً بشكل ثنائي أو مشترك مباشرة أو بوساطة، ليناقشون وليتحاورون حول قضايا ومصالح الوطن المختلفة وتطوره اللاحق، ويحكمون العقل والمعرفة في النهاية للتوصل إلى حلول نظريه رائدة بآفق مستقبلي قابلة للتطبيق والتنفيذ، وكان أبرزها: وثيقه العهد والاتفاق (1994) ونتائج الحوار الوطني الشامل (2014)، والحوار الوطني الجنوبي في القاهرة (منذ2011)، إلا أنها في الأخير تفشل عملياً وتصطدم بممانعة وتصلب وحرب القوى التقليدية المسيطرة، وداعميها من الدول المجاورة والإقليمية والعالمية، المعادية لاستقلال وحرية وتقدم اليمن، والطامعة بموقعه وثرواته والمكرسة للتبعية، وكانت الحلول المتخذة لا تبعد ولا تخرج في مضمونها عن خيار الدولة الاتحادية (الفيدرالية) الديمقراطية، بأسسها العادلة والمنصفة لتوزيع السلطة والثروة والفرص كجوهر للمشكلة اليمنية.

ففـي عـام 2014م كاد اليمنيـون قـاب قوسـين أو أدنى مـن "عبـور المضيـق" حسـب د. ياسـين سـعيد نعمـان، وحسـم خيارهـم التاريخـي ضمـن أهـم نتائـج أو مخرجـات الحـوار الوطـني الشـامل باختيـار "شـكل الدولـة الاتحاديـة"(7) القائمـة عـلى الوحـدات المكونـة بالأقاليـم المتعـددة، (بغـض النظـر عـن عـدد الأقاليـم: إقليمـين: جنـوب، وشـمال، أو ثلاثـة بإضافـة إقليـم الوسـط إليهمـا)، إلا أن الانقـلاب والحـرب عـلى ذلـك التوافـق السـياسي قـد بـددا وأضاعـا هـذا الاختيـار.

وبطبيعـة الحـال، إن خيـار الوحـدة والدولـة الاتحاديـة، ليـس سـهلاً في قبولـه وبنائـه، لأنـه لـدى اليمنيـون تجربـة مريـرة في خـذلان وامتهـان النمـاذج والنظريـات مـن النخـب والقـوى التقليديـة: العصبويـة المتنفـذة والمتمصلحـة، فهـي حاربـت وتأمـرت وأفرغـت مـراراً أحـلام، وتضحيـات الشـعب اليمـني في الجمهوريـة منـذ فجرهـا الأول (26 سـبتمتر1962 في الشـمال، و14 أكتوبـر 1963 في الجنـوب)، والاسـتقلال (30 نوفمـبر 1967) والوحـدة والديمقراطيـة (22 مايـو 1990)، وحولتهـا إلى مجـرد شـعارات جوفـاء دون مضمـون، أو معـنى يمـس حيـاة وكرامـة المواطنـين عامـة، ويرتبـط بسـيادة الوطـن وتقدمـه، فهـذه القـوى بداعميهـا ومموليهـا الخارجيـين (السـعودية وبعـض دول الخليـج العـربي وإيـران وأمريـكا وبريطانيـا)، تمانـع الدولـة الاتحاديـة الحديثـة /الجديـدة بجوهرهـا المـدني العـادل والضامـن، وبأساسـها الاقتصـادي التنمـوي الإنتاجـي، ولديهـا مقيـاس في قبولهـا، وهـو أن تكـون هـي الحاكمـة والمتحكمـة، والمسـتفيدة مـن السـلطة والـثروة، وهـذا مـا يـبرر محاولتهـم وحربهـم المسـتميتين والبأسـين بالتمسـك بوحـدة انهتهـا وأفشـلتها بالحـرب والمـوت، أو الارتـداد إلى مـاضي "التفكيـك والتجزئـة" الاسـتعمارية والسـلاطنية، والإمامـة السـلالية، والشـطرية دونـاً عـن تحقيـق الدولـة الاتحاديـة.

فعـبر المراحـل الماضيـة مـن التاريـخ الحديـث لليمـن عـانى الشـعب كلـه في اليمـن المـرارات الجمـة والطويلـة، وكابـد وجـرب لنحـو قـرن إلا ربـع مـن الزمـن، مـا أوصلتنـا إليـه القـوى المسـيطرة: القبليـة والعسـكرية والعصبويـة والدينيـة المذهبيـة، مـن حالـة الحـروب والضـم والإلحـاق، والإقصـاء والتهميـش، يبلـغ مكانـة "الاسـتعمار الداخـلي"- بحسـب قـول د. أبـو بكـر السـقاف، وتكريـس التخلـف والحرمـان مـن عائـدات الـثروة، وعـدم الاسـتقرار، والارتهـان والتبعيـة وانتقـاص وتـأكل السـيادة، وبالتـالي انهـاء وفشـل الوحـدة "بالقـوة والحـرب" منـذ حـرب 1994م وحـتى الانقـلاب والحـرب عـام 2014م إلى الآن، عـلى الشرعيـة التوافقيـة السياسـية ونتائـج الحـوار الوطـني، رغـم كل المأخـذ عليهـا، وصـولا لحالـة لا حـرب ولا سـلم " الهـدن" المسـكنة، بـل والانـزلاق نحـو التفـكك،.....

وبغـض النظـر عـن الجغرافيـة السياسـية الطارئـة والعابـرة والمتغـيرة لأنظمـة الحكـم والنخـب السياسـية المغذيـة لتلـك النزعـات الماضويـة والتابعـة، والـتي تتجـاوز وتجـافي

الحقائق الوجودية الواحدة للوطن اليمني: جغرافياً (الأرض) وديمغرافياً (السكان) وثقافياً (اللغة والدين والهوية) وتاريخياً (النضالات المشتركة ومرارتها)، والمتلازمة والمترابطة حاضراً ومستقبلاً، فلا آفق لها بغير القبول والتحول لخيار الوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية بأساسها وأسها: السيادية - السياسية والاقتصادية – المالية والاجتماعية - الثقافية.

إن الاختيار الصعب والخيار الصواب: الدولة الاتحادية الجديدة في اليمن هو الخيار المتبقي الوحيد للنجاة، إذا ما تجاوزنا الكونفدرالية، لم يكن من فراغ، بل جاء من ضرورة الحل التاريخي الوطني الجامع، للإشكاليات الراهنة القائمة موضوعياً، والعويصة حلها حاضراً ومستقبلاً:

_سياسياً: الحروب المتكررة، وعدم تحقيق الاستقرار والأمن، وانعدام السلام العادل والشامل، وعجز مراكز القوى والنفوذ ونخبها من القوى العصبوية التقليدية عن بناء دولة مركزية وطنية حديثة قائمة على النظام والقانون والمؤسسات الضامنة والمحايدة، وارتهان السيادة للخارج الإقليمي والدولي، وإفراغ الوحدة اليمنية من مضمونها ودولتها التشاركية، وتفكيك الدولة والوحدة والهوية الوطنية الجامعة، وتحويل الديمقراطية إلى أداة لبسط سيطرتها، واستبدادها ليس إلا.

_ اقتصادياً: إساءة استغلال الثروة الوطنية ونهبها، والاستحواذ على عائداتها لصالح القلة المهيمنة، وانتشار الفساد، وتزايد معاناة الفقر والبطالة والحالات الإنسانية للناس، وتقلص فرص تحقيق التحديث والتنمية -المنتجة والاستقرار الاقتصادي- الخدمي والمعيشي لعامة السكان، وتكريس حالة التخلف والتبعية.

_اجتماعياً وثقافياً: تكريس الدور السياسي السلبي للقبيلة والعشيرة على حساب دولة المواطنة المتساوية، والهوية الوطنية الجامعة، والاستخدام السياسي للدين، وتوسيع نطاق الطائفية السياسية والمذهبية على حساب الوطنية في التعليم والمعرفة، وإعلاء العسكرة والعنف والإرهاب والكراهية في الحياة الثقافية العامة، وإهمال وإقصاء التنوع والتعايش الثقافي المشترك.

إن الفترة الزمنية لحل القضية الوطنية والتحول نحو خيار الاتحاد الفيدرالي، وبناء الدولة الاتحادية، هي مرحلة صعبة البداية، وغير طبيعية وغير مستقرة المسار، كونها مرحلة انتقالية طويلة يحتاجها اليمن، وكما شدد عليها قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2140 (2014م)، والذي تضمن عدة تأكيدات واضحة، بوصفها:

*عملية انتقال سياسي سلمية وشاملة للجميع ومنظمة، ليتولى اليمن زمامها لتلبي مطالب الشعب اليمني وتطلعاته المشروعة لتغيير سلمي، وإصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي ذا مغزى، كما تنص عليه مبادرة مجلس التعاون الخليجي وآلية تنفيذها

ونتائج مؤتمر الحوار الوطني الشامل.

*عملية انتقال ديمقراطي مستمرة بقيادة يمنية، تقوم على الالتزام بالديمقراطية والحكم الرشيد وسيادة القانون والمصالحة الوطنية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية لأفراد الشعب اليمني قاطبة.

*إصلاح بنية الدولة لإعداد اليمن للانتقال من دولة وحدوية إلى دولة اتحادية (8).

خاصة وأن هناك تحديات حقيقية أمام تأسيس وبناء الدولة الاتحادية: حاضراً ومستقبلاً، ولعملية التحول والانتقال من احتكار السلطة والاستحواذ على الثروة وعائداتها إلى تحقيق التقاسم والشراكة الحقيقية والعادلة فيها، أهمها:

-1 تحدي مسار تحقيق السلام والاستقرار العادل والشامل والدائم، ومعالجة آثار وأضرار الحرب.

-2 تحدي معرفي لفهم الفرق والتغيير الجوهري المنشود للانتقال إلى الدولة الاتحادية المركبة، كبديل للدولة البسيطة والوحدة "الاندماجية"، والذي يظهر في "التشويش" والتحريض والعراقيل المختلفة القائمة ضد هذا الخيار، بفعل:

_أ،الممانعة والعرقلة الواضحة من مراكز القوى والنفوذ العصبوي (السياسي، العسكري، المالي والديني والمذهبي).

_ب،المورث التاريخي في الفكر والممارسة السياسية، والضبابية والكيدية للقوى الاستبدادية والنافذة والمتعيشين الفاسدين من مصالحها جراء ممارستها التاريخية، ومصالحها في الدولة البسيطة، ومنظومة حكمها الفاسد.

_ج،رفض حذر بالقبول من المحيط الإقليمي والدولي لخيار بناء وإدارة الدولة الاتحادية الجديدة المحققة للاستقرار والسلام، والتنمية، والاستقلال والسيادة، والاتحاد في اليمن.

_3.- تحدي عقدي وطني لصياغة الدستور والاستفتاء عليه، وصياغة القوانين التشريعية الرئيسة للدولة الاتحادية (الأقاليم، المال، الإدارة، الموارد.. الخ) الخاصة بهندسة النموذج الاتحادي في الواقع اليمني وفقاً للخصوصية الوطنية على أسس بناء الدولة الاتحادية لتحقيق التوزيع والشراكة في السلطة السياسية والمال الثروة الوطنية، بما ينعكس على حاجة ومصالح وخدمات المواطنين.

_أ.،تحقيق التوافق بين سلطة ومسئولية جباية (تحصيل) الأموال من المصادر المختلفة، مع مسئولية إنفاقها، وإيجاد التوازن بينهما عبر الترتيبات والآليات التعديلية والتحويلية لإعادة التوزيع الرأسي والأفقي للموارد وإنفاقها.

_ب، الصعوبات التي قد تفرضها تحديد حصص العائدات من الثروة الوطنية، وأوجه إنفاقها على المستويات العمودية والأفقية، كالهجرة الداخلية، حدة تفاوت

الحاجات والخدمات بين المناطق، الفساد المالي والإداري والخدمي في جانبي الإيرادات والإنفاق، والتأثيرات البيئية، والتوترات والصراعات المختلفة، ومعوقات وتخريب الموارد والمصالح الوطنية.

إن خيار بناء الوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية الجديدة في اليمن، وفقاً للتجربة التاريخية اليمنية، ولخصوصية وظروف الواقع الحاضر، التي أكدت عليها عدد هام من نتائج الحوارات الوطنية، يمكن بهما التغلب على التحديات الشاخصة للمسار الصعب حاضراً، وتحقيق الخيار الصواب في يمن اتحادي فيدرالي، كمشروع وطني مستقبلي قابل للحياة والتطور عمن سواه من الخيارات الماضوية - الارتدادية والكارثية القزمة، وهي سيحفظ لشعب اليمن شماله وجنوبه ووسطه وغربه وشرقه: أمنه واستقراره، وسيادته واستقلاله، وكرامته وعزته، ووحدته وديمقراطيته، وتنميته وتقدمه، عبر تكتل تاريخي اتحادي وطني عريض، لتحقيق السلام الدائم والشامل، والحوار السلمي الوطني الاتحادي الجاد حول الخيار الصواب والأفضل وهو تلازم مشترك للوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية "كحل تاريخي للمشاكل المتراكمة والممتدة إلى الوقت الحاضر كتحديات مستقبلية لليمن" (10).

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولاً: على أساس المنهجية المتبعة في موضوع البحث حول: أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية (صعوبة المسار وصواب الخيار في اليمن)، وفي نتاج المقاربة البحثية فيه يمكننا التأكيد على خلاصة هامة، مفادها: أن الأسس المبدئية والمعيارية للتوزيع العادل والمنصف للعائدات والإيرادات المالية والدخل من الثروة والخيرات الوطنية الطبيعية-المادية، والتي هندستها، وتبتها، وأكدتها تجارب الدول الاتحادية القائمة على الفيدرالية المالية، لا يمكن تحقيها إلا عبر وجود مسار وخيار سياسي دستوري حقيقي للفيدرالية السياسية، كضامن تشريعي، وإداري- مؤسسي، وقضائي، وبالتالي العمل الفني التخصصي وفقا لآليات وترتيبات محددة وواضحة، ومرنة لمعالجات وتعديل الاختلالات اللاتوازنية، التي تفترضها واقع متغيرات الزمن والظروف والحاجات الحياتية المستويات لحكم الرأسية: الاتحادية (الوطني)، والإقليمي، والولايات (المحلية)، وكمكونات أفقية لها في جغرافية الدولة الاتحادية، ولن يكون هذا أساساً وقاعدةً مؤكدين لواقع اليمن دون تحقيق خيار الصوب المستقبلي كتوجهات تشريعية معتبرة، وهذا ما تؤكده أيضاً محاولة استقراء حالة الإشكاليات الراهنة في ليمن، واستلهام تحقيق خيار الدولة الاتحادية الفيدرالية في ضوء نتائج الحوارات الوطنية،

كخيار قابل للتطبيق والاستدامة والتطور إذا ما تم تجارز تحدياته.

ثانياً: مما سبق دراسته وبحثه حول أسس التوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية، وما يربط بها من إشكاليات معرفية، وتطبيقية، ومصالح مختلفة في الواقع اليمني، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية: -

الأفكار المدروسة والمستنبطة حول المبادئ والمعايير والمعادلات للتوزيع العادل والتشاركي للعائدات المالية من الموارد المختلفة، ومنها الطبيعية، على المستويات الرأسية للحكم وللوحدات المكونة الأفقية في الدولة الفيدرالية الاتحادية، وأوجه استخدام إنفاقها، وحل الاختلالات اللاتوزيه الناجمة عنها، جديرة بالاستيعاب والاستفادة، لنجاحها في أغلب التجارب العالمية للدول الفيدرالية، وهي هنا تمثل مقترحات معتبرة جدير الأخذ بها عملياً عند التطبيق في هندسة، وبناء خيار الدولة الاتحادية الجديدة في اليمن، وفقاً لخصوصية وظروف الواقع، والتي أكدت على عدد هام منها مخرجات الحوارات الوطنية المتعددة.

المبادئ والمعايير والمعادلات، التي تسري على عائدات الموارد النفطية والغازية تسري الأنواع المختلفة لمصادر العائد من الموارد الطبيعية، مع المرونة، والخصوصية للعائدات الأخرى الضريبة المباشرة، وغير المباشرة من حيث كيفية جمعها، وتوزيعها على أوجه الإنفاق بنسب مخصصة على المستوى العمودي والأفقي، بما ينسجم مع التوزيع للسلطات الحصرية والمشتركة والمتبقية، السياسية (التشريعية والإدارية) والمالية (الإيرادات والنفقات) لكل مستوى من مستويات الحكم كما هو الخيار المستقبلي الأقرب لبلادنا.

عدم التحديد والتخصيص المؤسسي والتشريعي بشكل واضح، ومنصف، ومتوازن للعائدات للموارد، وأوجه اتفاقها، قد يؤدي إلى تباينات، وفوارق هيكلية، وبنيوية، وتنموية بين الوحدات المكونة للدولة، وأفراد المجتمع، وبالتالي نشؤ التوترات والصراعات المختلفة بين المكونات (الإقليم/الولايات)، وبين المستويات أيضاً، بسبب تولد وفر الموارد في الوحدات المنتجة للموارد الطبيعية، أو لتميزها بقدرات مالية أكثر، وأغنى مقارنة بالوحدات غير المنتجة، أو الفقيرة، مما يستدعي امتصاصها (تحويلها) لصالح حاجيات وخدمات الوحدات الأشد فقراً، وتخلفاً.

الأسس المحددة كمبادئ ومعايير وقواعد (معادلات) للتوزيع العادل والمنصف لعائدات الثروة الوطنية رأسياً وأفقياً، وكما توضيحها الملامح الرئيسة لجوانب الفيدرالية المالية في الدولة الاتحادية، والمحققة أساساً للعدالة والشراكة الوطنية الاتحادية، ينبغي أن تحدد بالدستور وتفصيلاً في القوانين الاتحادية: الأقاليم، الموارد الطبيعية، والمالي، والعمل والجهد المالي المستمر والحثيث والمرن في صنع السياسات والقرارات المالية

كترتيبات مشتركة بين مستويات الحكم التشريعية والإدارية (التنفيذية).

ثالثاً: تبرز الحاجة إلى الاستفادة من نتائج البحث العلمي التخصصي والسياسي، لما من شأنه تبني توصيات مقترحة محددة وكموجهات للجهات المختصة المسؤولة والعلمية للتغلب على التحديات الشاخصة للاتحاد الفيدرالي:

الدراسة المتواصلة والمتكاملة للقضايا المعرفية والعملية التي يتضمنها البحث، والتثبيت للأسس، والمبادئ، والمعايير المرتبطة بالتوزيع المنصف والعادل والتشاركي للسلطة والثروة في إطار الدستور الاتحادي الجديد، والقوانين المنبثقة عنه، وبالذات قانون الموارد النفطية والمالية.

البحث المستمر، والمعالجة للمشكلات الناشئة في الواقع، الناجمة عن التطبيق للمبادئ، والمعايير، والمعادلات الخاصة بتوزيع السلطة والثروة رأسياً وأفقياً، وقيمها، واعتمادها على عوامل، ومكونات متغيرة مع مرور الزمن، وتغير الظروف عبر توصيف وظيفي تخصصي (فني – إداري – مالي) يقوم على ترتيبات مستمرة لتحقيق مبادئ ومعايير ومعادلات التوزيع، وإعادة التوزيع العادل.

العمل المستمر لحل مشكلات تباين واختلاف توزيع الثروة وعائداتها، وامتصاصها بالتحويلات المالية كمنح، ودعم مشروط، وبالتحويلات التعادلية (التضامنية) بين وحدات المكونة الأفقية للدولة الاتحادية من خلال:

خلق مصالح وفوائد معيشية، وخدمية لسكان مناطق الثروة، واشراكهم في الإدارة، والخدمات المحلية، وتخصيص نسبة عادلة من عوائد الموارد في إدارة وخدمات مناطهم المحلية، وتخصص نسبة عادلة من عوائد الموارد الثروة لصالح احتياجاتهم، وخدماتهم.

فرض ضرائب تعويض للحرمان، والتأثيرات البيئية الناجمة عن استخراج وإنتاج الموارد الطبيعية على المناطق المنتجة، والمجاورة لها عبر صناديق الاستقرار، والادخار والتنمية.

إعمال المساءلة، والمحاسبة الدائمة عن مسئولية وسلطة مصادر وقيم الإيرادات، وأوجه استخدامها وفقاً لقواعد، وأسس الحكم الرشيد.

تشجيع الاستكشافات والاستثمارات للموارد، واستخدامها الكفء.

إدراج مفاهيم وأسس بناء الدولة الاتحادية بجوانبها السياسية (التشريعية والإدارية – التنفيذية) والمالية كمادة تخصصيه في العلوم الإنسانية والاقتصادية والسياسية والإدارية في الجامعات، ومراكز، ومؤسسات البحث المختلفة في اليمن.

التوعية والتنوير المستمرين بالقضايا الدولة الاتحادية المدنية الجديدة في اليمن للعامة والنخب.

المراجع والمصادر:

(*) أجـزاء مـن هـذا البحـث هـي تحديـث وتطويـر لورقـة عمـل بعنـوان "التحديـات الاقتصاديـة أمـام تنفيـذ مخرجـات الحـوار الوطـني" مقدمـة للنـدوة العلميـة حـول: التحديـات الماثلـة أمـام تنفيـذ مخرجـات الحـوار الوطـني الشـامل، منتـدى الحـوار الفكـري وتنميـة الحريـات، صنعـاء منتصـف 9/2014م.

أندرسـون، جـورج: الفيدراليـة الماليـة مقدمـة مقارنـة، منتـدى الاتحـادات الفيدراليـة، مؤسسـة فريـد ريـش، بـيروت، صنعـاء 2013م، ص: V.

جـبر، حافـظ غانـم: الفيدراليـة الماليـة وآثرهـا عـلى قسـمة وتخصيـص المـوارد بـين مسـتويات (مـن منظـور التجربـة السـودانية وبعـض التجـارب العالميـة الأخـرى) (1991-2009م)، ص:43-30، وموقـع إلكـتروني رابطـه:

http://www.iua.edu.sd/iua_magazine/africa_studies45/45index

أندرسـون، جـورج: مقدمـة عـن الفيدراليـة، منتـدى الاتحـادات الفيدراليـة، 2008م، ص: 30.

جـبر، حافـظ غانـم: الفيدراليـة الماليـة وآثرهـا عـلى قسـمة وتخصيـص المـوارد بـين مسـتويات (مـن منظـور التجربـة السـودانية وبعـض التجـارب العالميـة الأخـرى)، مرجـع سـابق، ص:234-230.

سـعيد، عبـد الجبـار عبـد اللـه، الفيدراليـة الماليـة كآليـة لتوزيـع المـوارد الاقتصاديـة (مـارس2013 مرجـع سـابق، ص: 16، ربـط الإلكـتروني:

https://www.ycsr.org/fies/nadwa_lamarkazia_abduljabar_saeed.doc

=https://slmerja.net/reading.php?idm

واتس، رونالد: الأنظمة الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2006م، ص:64.

الأمانـة العامـة لمؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل: وثيقـة الحـوار الوطـني الشـامل ND-CYE-2014م: 93. ولجنـة تحديـد الأقاليـم (11/2/2014) التقريـر النهـائي، صحيفـة الثـورة العـدد (17981).

مجلـس الأمـن الـدولي (27/2/2014م): قـرار مجلـس الأمـن الـدولي رقـم (2140) صحيفـة الثـورة العـدد (17997)، ص:4.

الصلـوي، عبـد الجبـار عبـد اللـه، كتابـات معـاصرة حـول بعـض ال. قضايـا الراهنـة في اليمـن (2013م)، العـصر للطباعـة والنـشر صنعـاء، ص: 156-149.

مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن

"تقرير منتدى اليمن الدولي 2023م"
مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية
22نوفمبر 2023م(*)

المحتويات:

1. رسالة من مدير منتدى اليمن الدولي.
2. عن منتدى اليمن الدولي.
3. مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام.
4. مُلخص لأبرَز مُخرجات المنتدى.
_1_4 حوار عن السلام من قصر السلام.
_2_4 تضامن وحوار حول الملف الجنوبي.
_3_4 الهدنة الاقتصادية: ضرورة ملحة.
_4_4 لا سلام بدون عدالة، ولا عدالة بدون مساءلة.
_5_4 إصلاح القطاع الأمني وإدماج آليات الوساطة.
_6_4 مجابهة العنف القائم على النوع الاجتماعي وتهميش النساء.
_7_4 تعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ.
_8_4 بناء سيناريوهات مستقبلية للمساعدة في تصوّر آفاق الأحداث الجارية.
5. آفاق المستقبل: ثلاث رسائل لمنتدى اليمن الدولي 2023م.

.....

1 . رسالة من مدير منتدى اليمن الدولي

وليد الحريري

تبلورت فكرة منتدى اليمن الدولي من رؤية طموحة بدت بادئ الأمر صعبة المنال. تمثّل الهدف الجوهري في تنظيم منتدى يقوده اليمنيون وإتاحة منبر مؤثر يجمع أكبر عدد ممكن من أطياف المجتمع اليمني، جنبا إلى جنب مع الجهات الفاعلة الدولية، من أجل مناقشة التحديات والقضايا المتشعبة التي تشهدها البلاد. انطلقت الفكرة من الإيمان بأن السعي لبناء رؤية مشتركة بين مختلف الأطراف –

رؤيـة تتجـاوز المسـارات الرسـمية لعلميـات السـلام – قـد يخلـق الفـرص لإحـراز تقـدّم ولـو بسـيط، وبـأن وجـود منظمـة محليـة تقـود زمـام مبـادرة للسـلام والحـوار عـلى هـذا المسـتوى مـن شـأنه أن يُسـاعد في تمكـين اليمنيـين ويكفـل طـرح حلـول محليـة عـلى الطاولـة بقيـادة أطـراف محليـة.

أخـذت فكـرة تبـني نهـج محـلي لبنـاء السـلام عامـين كاملـين قبـل أن تـؤتي أُكُلهـا. فقـد أتـاح منتـدى اليمـن الـدولي منـبرا محايـدا لإجـراء نقاشـات صريحـة ومفتوحـة بمـا يَضمـن تعزيـز الفـرص الناشـئة وخلـق زخـم للحلـول الـتي تطرحهـا شريحـة عريضـة مـن اليمنيـين، بهـدف إثـراء جهـود صناعـة السـلام. صُمّـم منتـدى اليمـن الـدولي آخـذاً بعـين الاعتبـار أهميـة النهـوض بالملكيـة المحليـة لمبـادرات السـلام وتسـليط الضـوء عـلى الأولويـات المحليـة مـن خـلال تعزيـز التعـاون والشـعور بالملكيـة والمسـؤولية المشـتركة لمثـل هـذه المبـادرات.

يُشـجع منتـدى اليمـن الـدولي المشـاركين عـلى التفكـير بشـكل جماعـي وتصوّر مسـتقبل يتعايـش فيـه اليمنيـين بأطيافهـم كافـة. حقّقنـا هـذا العـام بعـض الإنجـازات الهامـة، حيـث شـهدنا مشـاركة أوسـع مـن مختلـف الأحـزاب السياسـية، وأتحنـا مسـاحة أكـبر للأقليـات وضحايـا الحـرب للتعبـير عـن آرائهـم، واتخذنـا خطـوات أكـثر جـرأة لتنـاول مفهـوم العدالـة الانتقاليـة وتهيئـة الأجـواء لحـوار بنّـاء حـول كيفيـة تهدئـة الحـرب الاقتصاديـة.

واسـتكمالاً لهـذه الانجـازات، سـنواصل مسـتقبلا – بدعـم مـن فريقنـا المتفـاني وشركائنـا الملتزمـين – سَـعْيَنا لتوسـيع دائـرة المشـاركة في عمليـة السـلام وضمـان تمثيـل أكـبر عـدد ممكـن مـن الأطيـاف الاجتماعيـة والسياسـية، وإتاحـة فرصـة لليمنيـين للتجمّـع في منـبر واحـد وتـولي زمـام المبـادرة للتخطيـط لمسـتقبل بلدنـا. حـان الوقـت لإعـادة رسـم المشـهد المعـاصر وعـدم الاكتفـاء فقـط بتحليـل محـركات الـنزاع أو الأسـباب الـتي أوصلتنـا لهـذه المرحلـة. علينـا اسـتيعاب مـا تعلّمنـاه والتحـرّك لتطبيقـه مـن أجـل بنـاء وطـن أفضـل لأبنائنـا وأحفادنـا.

وليد الحريري
مدير منتدى اليمن الدولي

2. عن منتدى اليمن الدولي

يُعدّ منتدى اليمن الدولي أكبر حدث دولي يُعقد سنويًا بين الأطراف اليمنية الفاعلة (المدنية والسياسية)، حيث يتيح منبرا محايدا للجهات الفاعلة اليمنية بأطيافها كافة للتجمّع والانخراط في حوار بنّاء حول مسار مستقبل اليمن وصياغة حلول جماعية لتحقيق سلام مستدام. صُمّم المنتدى كجزء من مبادرة واسعة تتضمن عقد مشاورات مع خبراء وجهات يمنية فاعلة، وإنتاج البحوث بناء على مخرجات جلسات المنتدى، ورفد الدبلوماسية الجارية على مدار العام على الصعيد الإقليمي والدولي. من جهة أخرى. يهدف هذا المنبر المُستضيف لحوارات بين الأطراف اليمنية إلى رفد عملية السلام الرسمية التي ترعاها الأمم المتحدة، وضمان خلق منبر يتسم بالشمول ويجمع الجهات اليمنية لاستنباط رؤية مشتركة لمستقبل يَمَن ما بعد الحرب.

منبر يحتضن تطلعات اليمنيين:

انحصرت مفاوضات السلام في اليمن إلى حد كبير في شكل من أشكال الحوار بين الأطراف المتحاربة، حيث وَجدت الجهات الفاعلة المحلية الأخرى نفسها مُهمشة في مسارات السلام. لكن، لا بُدّ من إدراك أن مستقبل اليمن يَعتمد على مشاركة مختلف الشرائح المجتمعية اليمنية في جهود السلام ورسم مستقبل البلاد ونطاق هذا الانخراط. يقوم منتدى اليمن الدولي على هذا المبدأ، حيث يسعى إلى تمثيل أصوات مختلف اليمنيين بما في ذلك الفئات التي سَلَبت الحرب أصواتهم وقدرتهم على التعبير عن آرائهم. يَجمع المنتدى مشاركين من مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية (من كلا الجنسين) بما في ذلك ممثلين عن الأحزاب السياسية، والشباب، ومنظمات المجتمع المدني، والنقابات العمالية، والقبائل، والقطاع الخاص، وخبراء، وصحفيين، وفنانين، ونشطاء، وأكاديميين وغيرهم من الأطراف الفاعلة المهمة.

يَحرص المنتدى على توفير بيئة آمنة للحوار وبالتالي صُممت جلساته على هذا المبدأ، حيث تُعقد جلسات نقاشية عامة ومفتوحة، فضلا عن اجتماعات جانبية تتناول محاور أكثر عُمقاً وتخصّصاً وتخضع لقواعد (تشاتام هاوس) بُغيّة تشجيع المشاركين على الانخراط في حوار صريح يتجاوز الخلافات ويَبْني رؤية مشتركة لمستقبل اليمن. ولضمان بقاء نافذة اليمن مفتوحة أمام أعين العالم، يَحرص منتدى اليمن الدولي على دعوة أبرز الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية، بما في ذلك الأمم المتحدة والأوساط الدبلوماسية ومختلف الخبراء

الدوليين إلى جانب منظمات حقوق الإنسان العاملة في مجال دعم الوساطة وحل النزاعات.

3. مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام

عُقدت النسخة الثانية من منتدى اليمن الدولي في مدينة لاهاي بهولندا، خلال الفترة من 12 إلى 15 يونيو/حزيران 2023، بحضور أكثر من 200 مشارك قَدموا من اليمن ومناطق أخرى من العالم، للنقاش بصورة جماعية واستنباط رؤى مشتركة لإرساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن.

شَهدت الساحة اليمنية تحوّلات هامة منذ انعقاد النسخة الأولى من منتدى اليمن الدولي في العاصمة السويدية ستوكهولم، في يونيو/ حزيران 2022، تضمنت انتهاء الهدنة التي رعتها الأمم المتحدة في أبريل/ نيسان 2022 بين الأطراف المتحاربة، عقب فشل جهود تمديدها. برُغم انهيارها، عاشت اليمن فترة هدوء نسبي اقترن بجهود دبلوماسية مكثفة لإحياء الهدنة وإطلاق محادثات سلام بين الأطراف، إلاّ أن إرساء السلام بمفهومه السليم يبقى هدفاً بعيد المنال في ظل الافتقار للخدمات الأساسية، وتأخر دفع الرواتب المستحقة منذ سنوات، واقتصاد على شفى الانهيار، وتداعي قطاع الرعاية الصحية والمنظومة التعليمية، واستقطاب الشباب اليمني إلى التطرّف. تُضاف الى جملة هذه التحديات الانتهاكات والاعتداءات الجسيمة على حقوق اليمنيين، بما في ذلك العنف القائم على النوع الاجتماعي، وجرائم القتل والاعتقال التعسفي، والاختفاء القسري لنشطاء وأفراد من المجتمع المدني، واستهداف الأقليات، وتقييد حرية المدنيين في التنقل، وتضييق الخناق على الحيز المدني، إلى جانب تقويض حقوق المرأة بصورة مقلقة بهدف تقييد مشاركتها في الحياة العامة.

على ضوء ما سَلف واستكمالاً لجهود النسخة الأولى من منتدى اليمن الدولي (ستوكهولم 2022)، ركز منتدى 2023 على المسارات الكفيلة بتحقيق سلام عادل وشامل ومستدام، انطلاقاً من ثلاثة محاور أطّرت مختلف الجلسات العامة والجانبية والحلقات النقاشية التي عُقدت على مدار الأيام الأربعة للمنتدى. ركزت نقاشات نسخة هذا العام على ثلاثة محاور رئيسة:

المسارات السياسية لإرساء السلام:

إرساء سلام شامل عبر تعزيز الحوار بين الأطراف اليمنية المنقسمة سياسياً، وضمان المشاركة الهادفة للنساء والشباب وفئة الأقليات والجهات المدنية الفاعلة.

التعافي الاقتصادي:

تعزيز القدرة على الصمود والتعافي المبكر، مع التركيز على القطاع المصرفي ومسارات تنشيط القطاعات الاقتصادية الرئيسة.

العدالة والمصالحة:

إرساء سلام ينطوي على آليات عدالة تُنصف الضحايا وتكفل احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وإعادة بناء التماسك الاجتماعي.

كما تناولت الجلسات العامة والجانبية للمنتدى محاور أخرى، كقضية مشاركة المرأة والمساواة بين الجنسين، وإصلاح القطاع الأمني، وقضايا البيئة والمياه.

4. ملخص لأبرز مخرجات المنتدى

خارطة طريق لإرساء العدالة الانتقالية

تمثلت إحدى الرسائل الواضحة لمنتدى اليمن الدولي 2023 في التأكيد على أهمية مبدأ العدالة الانتقالية لمنع نشوب واستمرار دورات العنف مستقبلاً. بناء على ذلك، تم تبني إعلان للعدالة والمصالحة في اليوم الختامي للمنتدى، من قبل أكثر من 30 منظمة من منظمات المجتمع المدني، تمهيدا لاعتماد خارطة طريق أكثر شمولا لتطبيق العدالة الانتقالية والتي يعمل عليها حالياً فريق المنتدى بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني في اليمن، وبتنسيق مع المجتمع الدولي. ستُركز خارطة الطريق المشار إليها على خطوات أساسية تشمل تحسين عملية توثيق الانتهاكات وعقد مشاورات واسعة بين الجهات الفاعلة حول الصيغة التي يجب أن تتخذها عملية العدالة الانتقالية في اليمن.

نهج يتمحور حول مركزية الضحايا:

شهدت نسخة المنتدى هذا العام تمثيلا كبيرا لضحايا حرب اليمن، بما في ذلك ضحايا غارات التحالف الجوية وضحايا الألغام الأرضية وضحايا العنف القائم على النوع الاجتماعي وضحايا القمع والاضطهاد وضحايا الاعتقال التعسفي إلى جانب ضحايا التعذيب. وبرُغم أن المنتدى أتاح منبرا مُهمّا تشتد حاجة هذه الفئات إليه لإسماع أصواتها، يتعيّن بذل جهود إضافية لتمكين رابطات الضحايا ومساعدتهم على التنظيم بشكل أفضل. واستكمالاً لهذه الجهود، سيتم على المدى القصير

مسح مختلف جمعيات ورابطات الضحايا لتحديد احتياجاتها وأولوياتها.

تعهدات مُتجددة بالتصدي للإقصاء المُمنهج لدور المرأة:

يتعيّن على المجتمع الدولي – وتحديداً الأمم المتحدة – تعزيز جهودها واستخدام نفوذها للتصدي للإقصاء المُمنهج لدور المرأة في ظل الانتكاسة المقلقة في حقوق المرأة وتنامي ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي منذ اندلاع الحرب. من هذا المنطلق، حثّ منتدى اليمن الدولي 2023 المنظمات متعددة الأطراف العاملة في اليمن على جَمع بيانات وافية عن العنف القائم على النوع الاجتماعي واتخاذ موقف علني وصريح ضد القيود المفروضة على حركة وتنقّل المرأة ومشاركتها في الحياة العامة.

حماية الأقليات:

تعيش الأقليات المُهمشة في اليمن في بيئة تتزايد فيها التهديدات والمخاطر، حيث أدى النزاع الجاري إلى تفاقم أوجه ضعف هذه الفئات وتآكل حقوقهم القانونية المحدودة أساساً. يتطلب الأمر اعتماد آليات واضحة لضمان إدماج الأقليات في عملية السلام وحمايتهم في بيئة ما بعد تسوية الصراع، وتحقيقا لهذه الغاية، من المهم إجراء محادثات منتظمة تتناول أهمية الإصلاحات القانونية لحماية الأقليات وتسليط الضوء على محنتهم ومعاناتهم، وتبنّي حملات مناصرة لتوفير التعليم والرعاية الصحية والأمن لهم.

ردع الجماعات المسلحة:

في ظل ما يشهده اليمن من تزايد مُقلق في أعداد المقاتلين المسلحين، ناقش المنتدى خيارات إصلاح القطاع الأمني بدءًا من تعزيز دور المجتمع المدني والقادة القبليين في المراقبة المجتمعية لعمل الأجهزة الامنية على المستوى المحلي – بما في ذلك الإشراف على هدنة محلية لوقف إطلاق النار-وصولاً إلى تبنّي آلية تنسيق مركزية عبر المحافظات ومناطق سيطرة الأطراف المتحاربة. كما استكشفت جلسات المنتدى المُخصصة لهذا الملف إمكانية إنشاء قطاع أمني لامركزي تتولى فيه السلطات المحلية جهود تسريح المقاتلين، ولاستكمال هذه النقاشات، تم تشكيل مجموعة فنية تضم عدد من الخبراء في مجال الأمن القومي – بعد انتهاء فعاليات

المنتـدى – لاستكشـاف الحلـول العمليّـة للتعامـل مـع العـدد المتنامـي للجماعـات المسـلحة في البـلاد.

دمج آليات الوساطة المحلية:

يَلعـب الوسـطاء المحليـون دورا كبـيرا في جهـود بنـاء السـلام داخـل مجتمعاتهـم، وغالبـا مـا تكـون آلياتهـم أسرع وأكـثر كفـاءة مـن القنـوات الرسـمية المعهـودة الـتي تعمَـل عـلى نـزع فتيـل التوتـرات. انطلاقـاً مـن هـذا، مـن المهـم أن تسترشـد جهـود الوسـاطة الوطنيـة بأعـراف وتقاليـد وآليـات الوسـاطة المحليـة الناجعـة في اليمـن، وأن يَعمـل المجتمـع الـدولي – لا سـيما مكتـب المبعـوث الأممـي الخـاص – عـلى تعزيـز أوجـه التضافـر مـع الوسـطاء المحليـين واسـتنباط قنـوات لتكثيـف التواصـل والتنسـيق معهـم عـلى أسـاس مُنتظـم.

هدنة اقتصادية:

اليمنيـون بحاجـة إلى هدنـة اقتصاديـة فوريـة بالتـوازي مـع أي مسـار للتوصـل الى تسـوية سياسـية، عـلى أن يضطلـع مكتـب المبعـوث الأممـي الخـاص بالتوسـط بـين الأطـراف حـول هـذه المسـألة وأن يتخـذ خطـوات لمعالجـة القضايـا الجوهريـة كتَحييـد القطـاع المـصرفي عـن الـصراع الدائـر، وتهدئـة السياسـات الاقتصاديـة التصعيديـة والسياسـات المضـادة الـتي اتخذتهـا الأطـراف المتحاربـة بشـكل اسـتباقي. انطلاقـاً مـن هـذه الـضرورة، وضعـت مجموعـة مـن الخـبراء الاقتصاديـين والمصرفيـين والاقتصاديـين المشـاركين في المنتـدى مصفوفـة اقتصاديـة شـاملة، تَبـني عـلى مُخرجـات النسـخة الأولى مـن المنتـدى المنعقـد في سـتوكهولم 2022، حيـث طَرحـت المصفوفـة المشـار إليهـا خطـوات وإجـراءات عمليّـة تُسـاعد عـلى تجـاوز ومعالجـة التحديـات في الملـف الاقتصـادي، وتَخـدم كنقطـة انطـلاق للتأثـير عـلى السياسـات ذات الصلـة ولجَمـع مختلـف الأطـراف المعنيـة معـاً لوضـع حلـول اقتصاديـة.

تعزيز دور القطاع الخاص في التعافي الاقتصادي:

يـؤدي القطـاع الخـاص دورا حيويـا في التخفيـف مـن تداعيـات الـصراع المسـتمر وفي سـدّ الفـراغ الـذي خلفـه انهيـار المؤسسـات العامـة في البـلاد. وفي ظـل التركـيز والدعـوة إلى تبـنّي نهـج للتحـوّل مـن الاعتمـاد عـلى الإغاثـة الإنسـانية إلى التعـافي الاقتصـادي،

تبرز أهمية التنسيق مع القطاع الخاص كخطوة أساسية حيث سيُساهم التعاون بين الجهات الفاعلة الدولية والحكومة والشركات بالقطاع الخاص إلى دعم عملية إعادة إعمار البنية التحتية وتوفير الخدمات العامة وتنشيط القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية كَالقطاعين الزراعي والسمكي.

معالجة أزمة المياه وتعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ:

مع تحوّل الأولويات صوب التعامل مع تداعيات الصراع، تراجَع التركيز على آثار تغير المناخ وأزمة المياه المستمرة. يُشّكل الوضع البيئي غير المستقر في اليمن خطرا وجوديا على مستقبل البلاد، حيث يبرز عامل شُح وندرة المياه كأحد الدوافع الرئيسية للصراع. من هذا المنطلق، حدّد منتدى اليمن الدولي 2023 أولويات للتعامل مع هذا التهديد كالاستثمار في أنظمة الإنذار المبكر، ووضع البيئة في صميم مشاريع إعادة الإعمار، وتسهيل وصول المؤسسات المحلية ذات الصلة الى الصناديق العالمية لمكافحة آثار تغير المناخ. كما سلّط المنتدى الضوء على الأهمية المُلحة لدعم اليمن بحلول تقنية للحدّ من اعتماد القطاع الزراعي على أساليب الريّ الحالية المُستنزفة للمياه الجوفية. كما طَرح المنتدى توصيات من أجل إعداد موجزات سياساتية حول إدارة الموارد المائية، والتكيّف مع آثار تغير المناخ من أجل تشجيع الدعم الدولي لهذه الجهود وتسهيل الاستفادة من صناديق المناخ العالمية.

1_4 . حوار عن السلام من قصر السلام

من قلب قصر السلام في لاهاي، ألقى ماجد المذحجي- رئيس مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية والشريك المؤسس فيه – كلمته الافتتاحية أمام المشاركين مؤكداً أن انعقاد المنتدى "لا يعني وعدا بالسلام في اليوم التالي، لكن كما أكدنا العام الماضي، إن هذه التظاهرة السياسية الكبرى تسعى بالحد الأدنى إلى إصلاح المعادلة اليمنية المختلة: إذ يتقاتل اليمنيون لسنوات وبالكاد يستطيعون اللقاء والحوار لأيام. بعبارة أدق؛ هذا المنتدى يمثّل منصة نقاش جماعي مهمتها الأساسية، تقديم أفكار خلاقة لحل النزاع، وهو مركز إنذار مبكر لاكتشاف وتحديد التهديدات التي تحيق مستقبلًا بعملية السلام، والتي قد تنتقص من عدالتها واستدامتها".

وفي هذا الصدد، قال المذحجي لن نكل أبدًا عن إحياء فرص الحوار؛ مهما بدت

للبعض أنها غير مجدية، ونحن نؤمن أن الحديث وتطوير الأفكار هو بداية الطريق نحو التغيير".

من جانبه، نوّه سعادة السيد بول هويتس، الأمين العام لوزارة الخارجية الهولندية، إلى الرمزية التاريخية لقصر السلام الذي يحتضن محكمة العدل الدولية، مُذكراً الحضور بتجربة أوروبا التي تعلّمت بالطريقة الصعبة كيف يُمكن أن تتحوّل المظالم المتروكة دون حلّ إلى أرضية خصبة لنشوب الصراعات في المستقبل. وأكد هويتس أن أي سلام لا يتسم بالشمول لن يكون مستداماً، ولا يُمكن أن يتحقق سلام دون استيعاب أوجه العدالة والمساءلة. وانطلاقاً من أهمية النقاشات الجماعية بين مختلف الأطراف الفاعلة، تطرّق هويتس إلى ضرورة تحويل بوصلة التركيز وتجاوز السرديات المعهودة من أجل الخروج بتصوّر لمجتمع سلمي في اليمن، قائلا: "لا يمكنكم بناء مستقبل أفضل إن لم تكن لديكم رؤية لما يجب أن يبدو عليه هذا المستقبل، وكيف سيَختلف عن الماضي".

4_2_. تضامن وحوار حول الملف الجنوبي

برزت مسألة المظالم التي لم تُحلّ على نقاشات المشاركين بشكل عام في منتدى اليمن الدولي هذا العام، لا سيما في الجلسات التي جَمعت مكونات جنوبية عدة، علماً أن نسخة هذا العام شهدت مشاركة واسعة ونقاشات ثرية بين ممثلي القوى الجنوبية، بما في ذلك مشاركة وفد رسمي رفيع المستوى من المجلس الانتقالي الجنوبي، وممثلين عن لجنة اعتصام المهرة، ومؤتمر حضرموت الجامع، والحراك الثوري الجنوبي، والحراك الجنوبي، إلى جانب نشطاء مستقلين وشخصيات سياسية جنوبية بارزة. عُقدت مناقشات المنتدى في خُضم عام عصيب يمرّ على مجلس القيادة الرئاسي منذ تشكيله في أبريل/ نيسان 2022 مع تعمّق الانقسامات بين أعضائه، وبعد أسابيع فقط من اللقاء التشاوري الجنوبي الذي نظّمه المجلس الانتقالي الجنوبي في 4 مايو/ أيار 2023 والذي جَمع طائفة من المكونات الجنوبية الفاعلة وانتهى بالإعلان عن الميثاق الوطني الجنوبي.

وفي هذا السياق، شدّد عدد من المشاركين في جلسات المنتدى على ضرورة توسّع دائرة المشاورات التي يقودها المجلس الانتقالي الجنوبي لتشمل عدد أكبر من المكونات الجنوبية، وردّا على ذلك، أشار ممثلو المجلس الانتقالي الجنوبي إلى أن الميثاق الوطني الجنوبي وُضع كوثيقة قابلة للتعديل والتنقيح. أتاحت مشاركة

المجلس الانتقالي الجنوبي الأولى في المنتدى فرصة للتواصل مع طيف من الجهات الفاعلة اليمنية والأوساط الدبلوماسية المُشاركة، حيث أكّد ممثلوه على التزام المجلس بالوحدة بين المكونات الجنوبية ودعمه لمجلس القيادة الرئاسي، وهو تصريح لقي ترحيب من الدبلوماسيين الدوليين الحاضرين في المنتدى ممن شدّدوا على أن مجلس القيادة الرئاسي هو الكيان الحاكم الوحيد في اليمن المعترف به دولياً. ورُغم تباين وجهات النظر حول مساعي المجلس الانتقالي الجنوبي لجَمع الفصائل الجنوبية المختلفة، والنقاشات المتباينة حول مشروع فك الإرتباط مقابل بقاء الوحدة، أجمع الحاضرون على الحاجة الملحة لجَبهة جنوبية مُتحدة، وأن الإخفاق في ذلك سيَعني التعامل مع تداعيات استمرار مظاهر التسلّح والعسكرة في الجنوب.

_3_4. الهدنة الاقتصادية: ضرورة ملحة:

تبنّى المشاركون في المنتدى رسالة عامة خلال الجلسات المُندرجة تحت محور التعافي الاقتصادي (أحد المحاور الرئيسة الثلاثة لنقاشات المنتدى)، مفادها أن اليمنيين لا يملكون رفاهية الوقت لانتظار اتفاق سلام يُعالج الاقتصاد المتداعي. وفي هذا الصدد، قال علي الحبشي، وهو رجل أعمال والمدير التنفيذي لشركة بروم للأسماك وموقع بازاري للتجارة الإلكترونية، وأحد المتحدثين في جلسة المنتدى المُعنونة بـ (رسم مستقبل اليمن) إن "المعاناة الناجمة عن الاقتصاد المتداعي أكثر إيلاما من أي قضايا عسكرية أو سياسية"، مشيرا إلى أن اليمن بحاجة ماسة الى هدنة اقتصادية تتزامن مع التهدئة السياسية. وأضاف الحبشي، أن "التحديات الاقتصادية أثرت على كل أسرة في بلدنا"، مشيرا إلى فقدان الوظائف، وانقسام السياسات النقدية، والتخلف عن دفع الرواتب المستحقة، وارتفاع الأسعار، وتعثر النمو الاقتصادي، وقطاع مصرفي على شفى الانهيار. انطلاقا من هذا، حثّ المشاركون على أهمية التوسط في هدنة اقتصادية للتخفيف من تداعيات الحرب واحتواء التصعيد المستمر بين الأطراف المتحاربة على جبهة القطاع المصرفي، وضرورة أن تُركز عملية الوساطة (برعاية مكتب المبعوث الأممي الخاص في اليمن) في المقام الأول على الأوجه الفنية التي تتقاسم فيها أطراف النزاع المصالح والإجراءات التي يُمكنها تنفيذها على صعيد منفصل (كل على حده)، مثل فرض ضوابط رقابية على شركات الصرافة ودعم الخدمات المالية الرقمية.

مـن جانبـه، أوضـح ديفيـد غريسـلي، المنسـق المقيـم للأمـم المتحـدة ومنسـق الشـؤون الإنسـانية في اليمـن، وجهـة نظـره إزاء دعـوات المشـاركين للجهـات المانحـة والمجتمـع الـدولي بدعـم مزيـد مـن البرامـج والمشـاريع طويلـة الأجـل وضرورة التحـوّل مـن الاعتمـاد عـلى الإغاثـة الإنسـانية إلى التعـافي الاقتصـادي، قائـلا في كلمتـه الافتتاحية إن مِثـل هـذا التحـوّل ينطـوي عـلى مخاطـر حـتى " لـو بـات السـلام في الأفـق، نحـن بحاجـة إلى كبـح هـذا الاندفـاع للتحـوّل مبـاشرة إلى التنميـة وإلغـاء المسـاعدات الإنسـانية" مشـدداً بـأن "هـذا ليـس سـباق تتابـع، بـل مرحلـة انتقاليـة ستَسـتغرق وقتـا، وسـتَتخللها حاجـة إلى المسـاعدات الإنسـانية لسـنوات قادمـة بمـا يُمكننـا مـن تحقيـق تعـافٍ حقيقـي في الاقتصـاد".

هـذا لـم يمنـع الخـبراء اليمنيـين مـن تكـرار دعواتهـم للتحـوّل مـن الاعتمـاد عـلى المسـاعدات الإنسـانية إلى التنميـة والتركـيز بشـكل كبـير عـلى بنـاء الدولـة. في هـذا الصـدد، قـال رأفـت الأكحـلي، الزميـل الزائـر بقسـم المشـاريع الاسـتراتيجية في كليـة (بلافاتنيـك) لـلإدارة الحكوميـة بجامعـة أكسـفورد: "مـا يحتاجـه اليمـن هـو الانتقـال مـن مرحلـة الاعتمـاد عـلى الإغاثـة إلى مرحلـة التنميـة وذلـك عـبر تبـنّي نهـج يقـوم عـلى ثـلاث ركائـز: القطـاع الخـاص والسـلطات المحليـة والمجتمـع المـدني بجميـع مكوناتـه بمـا في ذلـك النقابـات والأحـزاب السياسـية".

مـن جانبهـا ، قالـت تانيـا مايـر، المديـرة القُطريـة لمكاتـب البنـك الـدولي في اليمـن والـشرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا، في إطـار مشـاركتها كمتحدثـة في الجلسـة العامـة المعنونـة بـ (رؤى مشـتركة لاقتصـاد اليمـن والتعـافي المبكـر) إن "التوجّـه لا ينبغـي أن يكـون إنسـانيا أو إنمائيـا بالـضرورة"، مضيفـة أن تبـني مثـل هـذا الإطـار الثنـائي قـد يـضرّ باليمـن. وشـدّدت عـلى أن جهـود التعـافي وإعـادة الإعمـار سـتحتاج في نهايـة المطـاف إلى أن تكـون بقيـادة يمنيـة، مؤكـدة عـلى أن دور المجتمـع الـدولي هـو "تقديـم الدعـم ثـم الدعـم ثـم الدعـم" مـع التركـيز بشـكل خـاص عـلى تدخـلات تُـدار بقيـادة محليـة والاسـتثمار في الشـباب اليمـني ودعـم القطـاع الخـاص الـذي سـاهم في سـد فـراغ غيـاب دولـة فاعلـة عـبر المشـاريع والأعمـال الحـرة.

وخـلال جلسـة جانبيـة عـن دور القطـاع الخـاص في التعـافي الاقتصـادي وإعـادة إعمـار اليمـن، حـثّ خـبراء اقتصاديـون ورجـال أعمـال الحكومـة عـلى التنسـيق مـع القطـاع الخـاص، مشـيرين إلى الـدور الحيـوي الـذي يلعبـه القطـاع الخـاص في مجـال العمـل الإنسـاني والتخفيـف مـن تداعيـات انهيـار المؤسسـات العامـة. وشـدّد المشـاركون عـلى

أهمية بناء الشراكات والنهوض بالتعاون الاستراتيجي بين القطاعين العام والخاص، لا سيما في مجال تطوير البنية التحتية وتوفير الخدمات العامة، والعمل على ضمان حماية القطاع الخاص وبقائه محايداً وبعيداً عن الصراع. في جلسة جانبية أخرى حول تنشيط القطاعات الاستراتيجية في الاقتصاد اليمني، انخرط خبراء من شتى الخلفيات في نقاشات حول كيفية تنشيط قطاعين اقتصاديين جوهريين؛ القطاع الزراعي والقطاع السمكي، وأهمية مشاريع الحصاد المائي، ونقل المعارف والخبرات، واعتماد تقنيات حديثة لمساعدة المزارعين في اعتماد أساليب ريّ حديثة، إلى جانب تبنّي آليات مبتكرة لتطوير القطاع السمكي في اليمن، وتعزيز قدرة القطاعين على التكيّف مع آثار تغير المناخ.

4/4: لا سلام بدون عدالة، ولا عدالة بدون مساءلة

بَرز ملف العدالة الانتقالية كموضوع جوهري باعتباره أحد المحاور الرئيسة الثلاثة لنقاشات منتدى هذا العام. وعلى خلاف تردّد وتحفظ بعض الجهات الفاعلة المحلية والدولية في تناول هذه المسألة خلال النسخة الأولى من المنتدى العام الماضي – تخوفاً من أن تخرج هذه القضية الخلافية عملية السلام عن مسارها – حَظي ملف العدالة الانتقالية بتأييد ودعم واسع من المشاركين في نسخة هذا العام ممن رأوا ضرورة مناقشة هذه القضية انطلاقا من أهمية السعي لتحقيق العدالة وجبر الضرر لعددٍ لا يُحصى من ضحايا حرب اليمن كمبدأ أساس تنهض عليه عملية السلام.

برزت بعض الأسئلة الحساسة خلال الجلسات التي جَمعتْ عددا من الضحايا والناجين لسرد قصصهم وتجاربهم وتبادل الأفكار حول أوجه العدالة وبأي شكل يمكن أن تُطبق، مثل: ما الذي يعنيه مفهوم العدالة الانتقالية بالنسبة لليمنيين؟ هل ينبغي البدء بتطبيقه الآن أم بعد التوصل إلى تسوية سلام؟ وهل سيَترتب على ذلك جبر الضرر والتعويض لضحايا حرب اليمن، وبأي صيغة سيتم ذلك؟ وهل ستَنطوي العملية على إجراءات عقابية أم تصالحية؟ وهل ستتضمّن العملية المساءلة الجنائية؟.

خلال مشاركتها كأحد المتحدثين في الجلسة الافتتاحية لأعمال المنتدى، قالت أمة السلام الحاج، رئيسة رابطة أمهات المختطفين التي أُسّست عام 2015 وتُعنى بقضايا المعتقلين تعسفاً والمختطفين في السجون: "من هذا المكان الرمزي، مكان

السلام، نطالب بأن يكون هناك سلام شامل. لا يمكن أن يكون هناك سلام بدون عدالة. ولا يمكن أن تكون هناك عدالة بدون مساءلة". وحذرت أمة السلام الحاج المشاركين من استمرار دورات العنف والثأر في حال التقاعس عن تحقيق المساءلة والمصالحة، مضيفة: "هؤلاء الضحايا قنبلة موقوتة".

وقد ضمّ ممثل رفيع المستوى من المجتمع الدولي صوته إلى صوت أمة السلام الحاج مستخدماً نفس النبرة التحذيرية في إحدى الجلسات الجانبية، قائلا: "ما يجب ألا نفعله أبدا هو قبول عملية سلام تَمنح عفوا عاما (للمتورطين في الانتهاكات)"، ومضيفاً، إن التخوّف من الحرب الأهلية وتداعياتها دفعت اليمنيين إلى قبول اتفاقيات سلام ناقصة في الماضي عاد شبحها ليُطاردهم لاحقاً. وسَرَد الممثل رفيع المستوى تجربته الخاصة في مفاوضات السلام اليمنية عام 1994 وفَشل الجهود المبذولة لتطبيق مفهوم المصالحة أو العدالة الانتقالية، مشيراً إلى أن الوضع الحالي ما هو إلا الثمن المدفوع للفشل بالماضي في معالجة القضايا الشائكة. واستطرد الممثل بالقول " فشل الأمم المتحدة عام 1994 هو أحد العوامل التي أوصلتنا لهذه المرحلة اليوم، كما أن فشل مؤتمر الحوار الوطني هو أيضا سبب آخر لما نشهده اليوم" مشيراً إلى ما وصفه بـ "القرار الكارثي" المتمثل في مَنح الرئيس السابق علي عبد الله صالح الحصانة من الملاحقة القضائية، والإبقاء بشكل عام على سلطة النخبة القديمة بموجب المبادرة الخليجية عام 2012.

رُغم المطالب الواضحة والصريحة بتحقيق العدالة، اتفق المشاركون على أن تبلوُر ذلك في السياق اليمني يحتاج إلى توافق في الآراء على نطاق واسع. لكن بالمُجمل، رأوا أهمية تمكين رابطات الضحايا، والتنسيق بين المنظمات غير الحكومية، والنهوض بجهود توثيق الجرائم باعتبارها خطوات أساسية تمهد الطريق أمام إرساء العدالة الانتقالية. بدا الاهتمام واضحاً في نقاشات الحاضرين حول مسألة توثيق الانتهاكات ليس فقط كآلية لتحقيق المساءلة الجنائية، بل أيضا لكتابة التاريخ وحفظ الذاكرة.

كما تباحث المشاركون حول إضفاء الطابع الرسمي على العملية وإنشاء قاعدة بيانات مركزية تُوثق انتهاكات حقوق الإنسان، وما إذا كان ضرّها أكثر من نفعها في ظل حساسية القضايا التي يتم التعامل معها.

وفي سياق النقاشات، شدّد معتقل سابق وأحد ضحايا التعذيب على أهمية

استعادة الضحايا كرامتهم بغض النظر عن المساعي لتحقيق المساءلة الجنائية للمتورطين. وفي مَعرض وصف تجربته الشخصية في إطلاق سراحه من السجن والطريقة اللا إنسانية التي تم التواصل بها معه للإدلاء بشهادته عن تجربته في المعتقل، أشار المشارك إلى أن نصف هذه الحالات (حسب تقديره) مُوثقة بطريقة سيئة لأن كثيراً من المعتقلين، شأنهم شأنه، يرفضون تقديم الأدلة بسبب قلة خبرة الأفراد المسؤولين عن عملية التوثيق. وحثّ المشارك المشار إليه ممثلي منظمات المجتمع المدني ومندوبي المجتمع الدولي الحاضرين في الجلسة على النظر في كيفية تقديم توجيه وإرشاد ودعم أفضل في مجال توثيق انتهاكات حقوق الإنسان من أجل استعادة الضحايا لكرامتهم والحفاظ عليها.

من جهة أخرى، حثّ المشاركون ممثلي المجتمع الدولي على تهيئة الظروف المواتية لإرساء العدالة الانتقالية، حيث أشارت خبيرة في العدالة الانتقالية إلى افتقار معظم قرارات مجلس الأمن الدولي والقرارات الأممية الأخرى للُغة تدعو إلى إرساء العدالة الانتقالية، وحثّت في هذا الصدد الممثلين الدوليين الحاضرين على اتخاذ إجراءات حيال ذلك قائلة: "عليكم أن تذكروا ذلك - أي العدالة الانتقالية - في إحاطاتكم. بعدم تَضمينكم ذلك، أنتم تُصعّبون إحراز أي تقدم"، كما حثَّتْ على التحلي بالجرأة والضغط لتحقيق العدالة الانتقالية حتى مع غياب الرغبة الدولية لذلك. هذا وتكلّلت النقاشات الدائرة لاستنباط خارطة طريق تُرسي العدالة الانتقالية في اليمن بإعلان مشترك لتعزيز العدالة والمصالحة في اليمن جرى قراءته في الجلسة الختامية لأعمال المنتدى، حيث صيغت مسودة الإعلان بالتعاون مع أكثر من 30 منظمة يمنية من منظمات المجتمع المدني وخبراء يمنيين ودوليين، ووُزّعت المسودة على الحاضرين.

نداء مشترك من أجل العدالة: إعلان من أعضاء المجتمع المدني اليمني:

"نُعرب عن رفضنا لأي عملية سياسية تتجاهل دعوتنا للعدالة، أو تسعى إلى المساومة على مطالبنا مقابل ما يسمّى بالاستقرار السياسي، إذ لا يمكن تحقيق السلام المستدام والدائم إلا بالترحيب بالمصالحة من خلال العدالة."

إعلان اليمن للعدالة والمصالحة:

تقوم الفَرضية التي استندت إليها مسودة إعلان اليمن للعدالة والمصالحة على أن السعي وراء تحقيق العدالة ينبع من مبدأ أساس لدعم السلام والاستقرار، ولا ينبع من آمال غير واقعية. صِيغ الإعلان المطروح في منتدى اليمن الدولي 2023 بشكل تشاركي، بِنَاءً على مُدخلات قامت بها أكثر من 30 منظمة يمنية من منظمات المجتمع المدني. لطالما أثبتت منظمات المجتمع المدني دورها المحوري خلال فترة الحرب التي عاثت الفوضى في اليمن، حيث اضطلعت بتقديم خدمات أساسية للمحتاجين وسلّطت الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان، ودافعت عن القضايا المحلية، وسعت إلى محاسبة الأطراف المسؤولة. لم يقتصر عمل منظمات المجتمع المدني على العمل الإنساني فحسب، بل اضطلعت بعض تلك المنظمات بأنشطة كتنظيم رابطات الضحايا، وتوثيق الانتهاكات، والدفاع عن المختطفين، ويعمل أعضاؤها في بيئة مُتقلبة محفوفة بالمخاطر وبقليل من الدعم الخارجي وبإمكانية محدودة للتنسيق مع أقرانهم. على ضوء هذا، قد يساهم تنسيق الجهود في نمو المنظمات المحلية وتعزيز قدرتها على التأثير فيما يتعلق بمبادرات العدالة الانتقالية.

انطلاقا من هذا، يَهدف الإعلان إلى تحفيز تنسيق الجهود وتعزيز التعاون لتمهيد الطريق أمام إرساء العدالة الانتقالية، وسيُتيح منبرا مشتركا لمنظمات المجتمع المدني اليمنية للتعبير عن مبادئها ومطالبها وتوحيد مواقفها لاستنباط رؤية مشتركة، وبناء الزخم اللازم لتحقيق العدالة الانتقالية وتهيئة بيئة مواتية للتعاون والتنسيق تُتيح لمنظمات المجتمع المدني الانخراط بفعالية في مسارات ومحادثات السلام. هذا ونُقّح الإعلان بعد اختتام المنتدى وأُطلق بشكل رسمي في 26 يوليو/ تموز 2023 حيث أقرّته وصادقت عليه العديد من منظمات المجتمع المدني اليمنية.

تبنّي نهج يُركز على معاناة الضحايا من الأقليات في اليمن:

في جلسة عامة حول استكشاف الخيارات المتاحة لتطبيق العدالة الانتقالية في اليمن، حثّ نادر السقاف، مُمثل مكتب الشؤون العامة للأقلية البهائية في اليمن على ضرورة التواصل مع الضحايا قائلا: "تحدثوا مع الضحايا أعطوهم الحق في إخباركم عن تجربتهم". ودافع السقاف – الذي سبق أن اعتقل مرتين تعسفيا وهُجّر

من دياره أربع مرات وأُجبر في نهاية المطاف على العيش في المنفى – عن حقوق البهائيين، علماً إن الأقليات الدينية والعرقية في اليمن تعرضت للاضطهاد والقمع والتمييز تاريخياً من قبل الدولة والمجتمع على حدّ سواء. تُواجه الأقليات اليوم وَضعا أشد خطورة حيث يَتعرّض أتباعها لدرجات متفاوتة من العنف وانتهاكات في حقوقهم الإنسانية من قبل الأطراف المتحاربة والجماعات المسلحة، تَشمل: النفي والاعتقال والتعذيب وحتى القتل على أساس اختلاف خلفياتهم أو عقيدتهم أو لون بشرتهم. كان مُلفتاً التمثيل الكبير للأقليات والضحايا في نقاشات المنتدى المتمحورة حول آليات بناء السلام هذا العام، وهو ما يعكس أهمية تبنّي نهج يتمحور حول مركزية الضحايا الذي يُعدُّ أحد الالتزامات الاساسية للمنتدى. هذا وحثّ المشاركون المجتمع الدولي على دعم منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق الضحايا ومساعدتها في بناء قُدراتها على التنسيق والعمل بشكل جماعي. وتحقيقاً لهذه الغاية، سيَبدأ منظمو منتدى اليمن الدولي في مسح رابطات الضحايا العاملة في اليمن وتحديد احتياجاتها وأولوياتها، ومواصلة استكشاف كيفية تطبيق منهج مركزية الضحايا بطريقة تتلائم مع السياق اليمني من خلال الإنتاج المعرفي من قِبل فريق المنتدى.

4/5: إصلاح القطاع الأمني وإدماج آليات الوساطة

شهدت النسخة الأولى للمنتدى العام الماضي، مناقشات مستفيضة حول عملية نزع سلاح المقاتلين وتسريحهم وإعادة إدماجهم، واستكمالاً لذلك، أعادت جلسات النسخة الثانية لعام 2023 التباحث حول جدوى مبادرات نزع سلاح سُكان يعتبر حمل السلاح بالنسبة لهم إرثاً متجذراً. في هذا السياق، قال أحد الخبراء المشاركين في الجلسة المُعنونة بـ (إصلاح قطاع الأمن وتحقيق الاستقرار): "كان لدينا جيش شبه مُنظم ... اليوم لدينا جماعات مسلحة غير مُنظمة ولا تخضع لسيطرة أحد"، مُقدّرا العدد الراهن للمقاتلين في اليمن بحوالي 2 مليون مقاتل، لجأ كثير منهم إلى الانضمام للجماعات المسلحة لتأمين مصدر دخل في ظل الوضع الاقتصادي المتردي في البلاد. أضاف الخبير المشار إليه إن المبادرات التقليدية لنزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج غير مُجدية في السياق اليمني، بل ستخلق أعباء مالية من شأنها أن تُثبط التنمية الاقتصادية نظراً لأن سكان بعض مناطق اليمن يعتمدون

تقليديا على الوظائف المتاحة في القطاع الأمني كمصدر دخل.

هذا وجرت مناقشة مفهوم إنشاء قطاع أمني لامركزي على مستوى المحافظات – وهو مُقترح طُرح خلال النسخة الأولى من المنتدى العام الماضي – سعياً لإيجاد حلول "خارج الصندوق" لهذه المعضلة. كما بَحث الخبراء كيفية التعامل مع الأعداد الهائلة من المقاتلين بأقل تكلفة ممكنة ودون خلق وضع مربك، وناقشوا إمكانية تشكيل قوة دفاع مدني احتياطية في كل محافظة – وهو مُقترح حظي بتأييد بعض المشاركين، بينما رأى آخرون أنه غير قابل للتطبيق وينطوي على مجازفة كبيرة.

وفي جميع الأحوال، فقد أجمع المشاركون على أن إصلاح قطاع الأمن وفق نهج تصاعدي ينطلق من القاعدة الى القمة سيستغرق وقتاً ولا يُتوقع حدوثه في المستقبل المنظور. فمع غياب دور الدولة، تدخل المجتمع المدني والمحلي في اليمن لسد الفراغ الموجود في الرقابة المجتمعية على الأجهزة الأمنية، ولتعزيز سيادة القانون، والحدّ من الانتهاكات، والتوسط لفض النزاعات. وفي هذا السياق، طَرح وسطاء محليون مشاركون في المنتدى أمثلة كثيرة عن المبادرات المَدنية للقبائل وأعضاء المجتمع المدني، بدءًا من مبادرات ساعدت على إعادة فتح الطرق والمطارات، والتوسط في تبادل الأسرى، وإذكاء الوعي لدى قوات الشرطة بحقوق الإنسان، وإطلاق سراح المعتقلين، وإغلاق السجون السرية، وصولاً إلى وضع مدونات سلوك لقوات الأمن في تعز وعدن، علماً بأن نساء يمنيات تولّين قيادة العديد من هذه المبادرات.

في هذا السياق، أشار أحد المشاركين في الجلسة المُعنونة بـ (تكثيف دور الوساطة المحلية) إلى الدور الهام الذي لعبته ثقافة الوساطة المحلية المُتجذرة في تقاليد المجتمع في الحفاظ على التماسك الاجتماعي وحماية المدنيين من تداعيات الحرب، قائلا: "اليمنيون بطبيعتهم، يميلون إلى لعب دور الوساطة". وشدّدت جهات فاعلة من المجتمع المدني على الفرص المتاحة لزيادة فعالية ومرونة آليات الوساطة المحلية وقابليتها للتكيف مقارنة بعمليات التفاوض الرسمية، كون الأولى لا تقتدي ببروتوكولات مُعقدة بل تَبني على العادات والأعراف والتقاليد. وأكدوا أن وجود تنسيق أكبر ومباشر بين آليات الوساطة المحلية ومسارات السلام الرسمية التي ترعاها الأمم المتحدة قد تُساعد في تحوّل بوصلة التركيز صوب الاعتماد على النماذج المحلية لحلّ النزاعات، ومن هذا المنطلق، يُمكن لمكتب المبعوث الاممي الخاص في اليمن لعب دور إيجابي

من خلال البناء على إنجازات الوسطاء المحليين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم.

4/6: مجابهة العنف القائم على النوع الاجتماعي وتهميش النساء

ركز منتدى هذا العام على قضية تهميش النساء اليمنيات بوصفه واحدة القضايا الجوهرية في ظل التنامي المقلق لانتهاكات حقوق المرأة منذ اندلاع الحرب. وخلال مشاركتها كمتحدثة في جلسة نقاشية حول الفرص المهدرة في التعامل مع إقصاء النساء ومواجهة الأوجه المتعددة للعنف القائم على النوع الاجتماعي، قالت وداد البدوي، رئيسة مركز الإعلام الثقافي ومقدمة برامج تلفزيونية وصحفية معروفة: "تعرضت كرامة المرأة اليمنية لاعتداء مباشر"، ساردة التحديات التي واجهتها في رحلة سفرها من صنعاء لحضور المنتدى مع فرض سلطات الحوثيين سياسة المَحرم وضرورة موافقة وليّ الأمر على تنقل المرأة في المناطق الخاضعة لسيطرتها. وأشارت البدوي إلى إنها شعرت بخذلان المجتمع الدولي لهذه القضية مناشدة بتقديم الدعم اللازم حتى لا يُفهم صمت المرأة على أنه رضا عن الوضع السائد، مشددة بالقول "علينا أن نناشدهم لأن الأحزاب السياسية لا تستمع إلينا. في الواقع هم يستمعون إلى المجتمع الدولي".

كما تناولت الجلسة توجّهات مثيرة للقلق في اليمن كَتنامي العنف القائم على النوع الاجتماعي، حيث دعت سوسن الرفاعي، مستشارة إنمائية وخبيرة في السياسة العامة والمناصرة وقضايا الإنصاف، الحاضرين إلى ضمان وضع آليات للتبليغ عن أي ممارسات عُنف قائمة على النوع الاجتماعي وإعطاء أولوية للتصدي لها، مشددة على أن الإخفاق في ذلك سيَعني "أن تُمْحى قضايا العنف من الذاكرة الدولية، لا يتكلم الفاعلون الدوليون عن قضايا النساء إلا خارج اليمن وداخل اليمن يتكلمون عنها باستحياء". وضمّت شيرين طرابلسي-مكارثي، مديرة المركز الوطني للبحوث الاجتماعية في المملكة المتحدة (NatCen)، صوتها إلى صوت الرفاعي وباقي المتحدثات والمتحدثين بالقول: "نحتاج إلى فهم حقيقي للأولويات ولواقع الإخفاقات"، مشيرة إلى أوجه القصور الواضحة في نَهج المجتمع الدولي في تقديم المساعدات في اليمن حيث لم يُشهد تغيير يُذكر كَون المشاريع الدولية تتسم "بنوع من السذاجة ولا تتبنى نَهجا طويل المدى" وتفتقر إلى الوضوح ولا تراعي السياق المحلي مع تركيزها بشكل مبالغ على بناء القدرات.

تطرّقت جلسات جانبية أخرى لهذه القضية، حيث نوّه مشاركون إلى أن إرث المرأة الجنوبية والحركة النسوية التي كانت قبل الوحدة قد تم تهميشها من قبل القوى

السياسية الجنوبية التي باتت تضم عددا قليلا من النساء بل وقُلّص دور المرأة غالباً في مكاتب ومناصب خاصة تُعنى بـ "شؤون المرأة". وفي هذا السياق، قالت محامية حقوقية وناشطة جنوبية: "نحن لا نعيش أفضل أيامنا"، مُتهمة الأحزاب السياسية بـ "نسيان تاريخ المرأة الجنوبية". في جلسة أخرى حول الوساطة المحلية، تساءلت إحدى المشاركات (وهي قائدة مُجتمعية): "من الذي يُضرم النار، ومن يُطفئها؟" مشيرة إلى أن النساء كُنّ في صميم مبادرات تعزيز التماسك الاجتماعي داخل مجتمعاتهن.

4/7: تعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ

بدون مياه .. "لن يبقى هُناك يَمَنْ":

ناقش عدد من الخبراء أزمة المياه الحادة التي يُعاني منها اليمن خلال الجلسة المُعنونة بـ (الإصلاحات المطلوبة لحوْكمة الموارد المائية كمنطلق لمعالجة أزمة المياه)، حيث استكشفوا أوجه التنسيق الفني في قطاع المياه. وأشارت إحدى الخبيرات الدوليات إلى أن نصيب الفرد السنوي من الموارد المائية المتاحة في اليمن بلغ 74 مترا مكعبا وهو يتعدى من مؤشر شُح المياه، قائلةً: "إن لم تُتخذ إجراءات لمعالجة أزمة المياه في اليمن، فلن يعود لجميع القضايا الأخرى التي يتم مناقشتها خلال المنتدى أي أهمية على الإطلاق". من جهته، قال خبير بيئي يمني: "اعتمد سكان صنعاء قبل ستين عاما على المياه السطحية كمصدر لمياه الشرب. أما اليوم، بات لزاماً حفر بئر بعمق 1000-800 متر للحصول على المياه"، وذلك في سياق حديث المشاركين عن الاستخدام المفرط لمضخات الري من الآبار العميقة في اليمن وهو ما يُضائل حجم الموارد المائية المتاحة للمجتمعات الفقيرة.

فضلا عن ذلك، أشار خبراء ومهندسون زراعيون إلى أن معظم المياه المستخدمة في الزراعة - وهو القطاع المستحوذ على 80 إلى 90 في المائة من إجمالي حجم استهلاك المياه - تُهدر بسبب ممارسات الري غير المُتصفة بالكفاءة. وفي هذا السياق، قال أحد الخبراء إن الحلّ يكمُن في تغيير استراتيجية التنمية الزراعية وأساليب الري، والتحوّل إلى الزراعة البعلية (المعتمدة على الأمطار) وتحسين أساليب تجميع مياه الأمطار. شدّد مشارك آخر على الحاجة إلى تكنولوجيات جديدة ودراسات موثوقة تأخذ في الاعتبار أساليب الري المختلفة الملائمة للمحاصيل

الزراعية بحسب اختلاف المناطق، كما أشار مُشارك ثالث إلى الحاجة إلى مزيد من الدراسات لفهم مُعدل نضوب المياه الجوفية نتيجة استخدام المضخات العاملة بالطاقة الشمسية واستنزافها لأحواض المياه الجوفية. بالمُجمل، أجمع المشاركون على أن معالجة أزمة المياه تتطلب تعزيز قدرات المؤسسات المعنية القائمة وتحسين أوجه التنسيق بين وزارة الزراعة والري ووزارة المياه والبيئة، في ظل تعليق تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للمياه منذ اندلاع الصراع

يَحتل اليمن المرتبة الـ 22 في قائمة البلدان الأكثر عُرضة لآثار تغير المناخ، والمرتبة 14 من بين البلدان الأقل قدرة واستعداداً للتكيّف مع تلك الآثار والتصدي لها – وفق ما ذكرت جيهان عبد الغفار، وهي خبيرة إنمائية وكبيرة المستشارين والمديرة التنفيذية في مجلس إدارة مجموعة البنك الدولي ممثلة لبلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا، خلال مشاركتها كمتحدثة في جلسة نقاشية حول تغير المناخ وانعكاساته على سبل العيش وأجندة التعافي الاقتصادي. تُشير التقديرات إلى أن أكثر من 10 بالمائة من السكان النازحين في اليمن (منذ بدء الصراع) تُعزى أسباب نزوحهم إلى آثار تغيّر المناخ، في ظل ارتفاع درجات الحرارة وتواتر السيول المفاجئة والأعاصير المدارية وموجات التصحر والجفاف المطول – وهي بعض الظواهر الجوية المتطرفة التي يشهدها اليمن بصورة متزايدة، وفق ما ذكر أنور نعمان – مستشار في شؤون تغير المناخ وممثل وحدة التغير المناخي بالهيئة العامة لحماية البيئة باليمن.

في هذا السياق، نوّه المتحدثون في الجلسة إلى أن الصراع الجاري في اليمن يُحوّل بوصلة استخدام الموارد بعيدا عن جهود التكيّف مع آثار تغير المناخ وتعزيز القدرة على الصمود في مواجهتها، في ظل بروز الحاجة إلى مبادرات تشمل على سبيل المثال لا الحصر: أنظمة الإنذار المبكر، وحملات مناصرة لإذكاء الوعي بهذه القضية على المستوى الوطني، وأهمية تعزيز الزراعة البعلية (أي المعتمدة على مياه الأمطار)، والحدّ من ممارسات إزالة الغابات والأحراش.

وفي هذا الصدد قالت (ليوني نيمو) منسقة مشروع وزميلة أبحاث بمرصد النزاعات والبيئة (CEOBS)، إن إعادة إعمار اليمن يَعتمد على النهوض بمشاريع أفضل تراعي البيئة، مضيفة أن أي خُطط لتخصيص تمويلات لإعادة الإعمار يجب أن تأخذ الاستقرار البيئي على المدى الطويل بعين الاعتبار. إلاّ أن التحدي يكمُن

في عـدم قـدرة المؤسسـات اليمنيـة المعنيـة بمُجابهـة آثـار تغـير المنـاخ عـلى الاسـتفادة مـن صناديـق المنـاخ العالميـة والـتي تميـل عـادة إلى تجنـب المجازفـة في الـدول المتأثـرة بالنزاعـات وبالتـالي يَتعـذر عـلى هـذه الـدول الوصـول إلى التمويـلات مـن هـذه الصناديق بسـهولة.

مـن جهـة أخـرى، أثّـر تحـوّل البـلاد إلى الاعتمـاد عـلى الإغاثـة الإنسـانية في أعقـاب انـدلاع الـصراع عـلى برامـج مكافحـة تغـيّر المنـاخ، حيـث قلّـص المانحـون بشـكل كبـير التمويـلات المخصصـة لمثـل هـذه البرامـج وهـو مـا يُشـكل تحـدٍ آخـر، حسـب أنـور نعمـان الـذي قـال: "خـلال الفـترة مـن 2010 إلى 2017، بلـغ نصيـب الفـرد مـن التمويلات المخصصـة لتدابـير التكيـف مـع آثـار تغـير المنـاخ في اليمـن أقـل مـن دولاريـن سـنويا". كمـا تطـرق المتحدثـون إلى تجـارب بلـدان أخـرى كالمغـرب ومـصر اللتـان نجحتـا في الاسـتفادة مـن صناديـق المنـاخ العالميـة، مشـددين عـلى حاجـة اليمـن إلى اسـتخلاص الـدروس مـن تجـارب البلـدان الناميـة الأخـرى في تعزيـز القـدرة عـلى الصمـود في مواجهـة آثـار تغـير المنـاخ. مـن جانبهـا، حثـت (نيمـو) عـلى ضرورة جمـع عـدد أكـبر مـن البيانـات مـن داخـل اليمـن لضمـان تأمـين مزيـد مـن التمويـل لهـذه البرامـج.

عُقدة ذنب الناجين لدى المغتربين اليمنيين وجهودهم للمناصرة:

يُقـدر عـدد المغتربـين اليمنيـين حاليـاً بنحـو 10 مليـون مغـترب يتوزعـون عـلى 40 دولـة في آسـيا وأفريقيـا وأوروبـا وأمريـكا الشـمالية. تبلـغ التحويـلات الماليـة المُرسـلة مـن المغتربـين اليمنيـين لذويهـم في اليمـن مليـارات الـدولارات الامريكيـة رغـم القيـود المفروضـة والرسـوم المرتفعـة المُترتبـة عـلى عمليـات التحويـل. ظَهـرتْ عُقـدة ذنـب الناجـين كقاسـم مشـترك بـين المشـاركين في الجلسـة المعنونـة بـ (دور اليمنيـين في المهجـر في بنـاء السـلام)، حيـث أشـار أحدهـم إلى أن أبسـط الأمـور كَفتـح الصنبـور والحصـول عـلى ميـاه نظيفـة يُثـير لديـه شـعور بالذنـب في ظـل أزمـة شُـح الميـاه الـتي يعـاني منهـا سـكان اليمـن، واضطـرار النسـاء والأطفـال الى السـير أميـالاً لجلـب الميـاه.

يُواصـل العديـد مـن المغتربـين الانخـراط في المبـادرات السياسـية ومبـادرات السـلام مـن أرض المهجـر، لكـن غالبـا مـا يُهمشـون أو تُقـوّض مسـاعيهم للعمـل مـن أجـل بلدهـم حيـث يواجهـون صعوبـات في إيصـال أصواتهـم نظـراً لوجودهـم في الخـارج. كمـا يَنتـاب بعضهـم القلـق والإحبـاط المتزايـد نتيجـة متابعتهـم الأخبـار والمنشـورات

على وسائل التواصل الاجتماعي حول التطورات في اليمن. في هذا السياق، قال أحد المشاركين: "حين كنا نعيش في اليمن، اعتقدنا أن من في الخارج يتمتعون بظروف أفضل. وجدت نفسي عالقا في الأردن لمدة ستة أشهر واكتشفت بأن الآثار النفسية أسوأ على من هُم في الخارج". يَنتاب المغتربين أيضاً شعور بالمسؤولية والرغبة في المساعدة، حيث تحدّث المشاركون في الجلسة عن مختلف مبادرات بناء السلام التي يعملون عليها والتي لها تأثير كبير في اليمن وفي البلدان المُضيفة لهم. وقالت أحداهن: "نحن جسر لأولئك الذين لا يستطيعون التعبير عن آرائهم في الداخل، حيث نَحظى بفُرص أكبر لممارسة التوعية، فلا يجب الاستهانة بقيمة الدور الذي يلعبه من هُم في الخارج". كما اقترح مشارك آخر إطلاق منتدى مُخصص للمغتربين كمِنبر يتيح لهم تسخير وتوظيف تجاربهم في مساعدة السكان داخل اليمن.

دعوة لتوفير مزيد من الدعم للفنانين اليمنيين وعدم حَصرهم في خانة معينة:

يُعدّ الفن اليمني، الغنيّ بالأشعار والطرب والرقص والذي يعكس تراث ثقافي يعود إلى آلاف السنين، جزءا من الحياة اليومية لليمنيين، رُغم غياب الأطر المؤسسية التي تساعد مجال الفن على الازدهار. أشارت رسامة مُشاركة في جلسة للمنتدى تناولت الفن وإعادة تصور مستقبل اليمن إلى أن معظم الفنانين اليمنيين "عصاميين واعتمدوا على التعليم الذاتي"، بينما تحدّث عدد من الفنانات والفنانين المقيمين داخل اليمن وخارجه عن التحديات التي تُعيقهم عن استخدام الفن كأداة للتعبير عن الذات أو لإيصال رسائل عن السلام والعدالة، واضطرارهم لفرض الرقابة الذاتية أو إخفاء أعمالهم لا سيما في المُدن التي سيطر عليها تنظيم القاعدة لفترة مؤقتة، كمدينة المكلا. وفي هذا السياق، ذكرت ناشطة مشاركة في الجلسة أن البيئة المُقيدة للفن تفاقمت منذ اندلاع الحرب – حيث واجه الفنانون الذين سعوا إلى استخدام مواهبهم من أجل التوعية ومناصرة العدالة قمع من السلطات، بينما يواجه الفنانون اليمنيون في المهجر أشكالا مختلفة من التحديات.

كما أشارت شاعرة وكاتبة معروفة إلى أنه بُرغم الدعم المتزايد من الجهات المانحة للفنانين اليمنيين، إلا أن الفنانين: "عالقون بين المطرقة والسندان، لأن كثير منهم يشعرون أنهم لن يحصلوا على دَعم ما لم تُركز أعمالهم على قضايا

محـددة".

في هـذا السـياق، أعـرب بعـض الفنانـين والفنانـات الحاضريـن في الجلسـة عـن تصوّرهـم لدورهـم في تنـاول القضايـا المرتبطـة بالحـرب، حيـث قالـت رسـامة مُشـاركة في النقـاش: "يسـألني النـاس مـاذا عـن تمثيـل المـرأة في أعمالـك الفنيـة؟ لكـن لمـاذا يُقولبُونـني في خانـة معينـة؟ لمـاذا يُسـمح للفنانـين الإيطاليـين برسـم الزهـور والأشـياء الجميلـة، لكـن حـين يتعلـق الأمـر بأعمـالي جُـلّ مـا تفكـرون فيـه هـو الحـرب؟". هـذا ودعـا الفنانـون إلى استكشـاف سُـبُل وكيفيـة التواصـل مـع الجهـات المانحـة والمؤسسـات الإقليميـة والدوليـة للاسـتفادة بشـكل أفضـل مـن الاهتمـام الـدولي المتنامـي بأعمـال الفنانـين اليمنيـين.

8_4.بناء سيناريوهات مستقبلية للمساعدة في تصوّر آفاق الأحداث الجارية:

في نسـخة هـذا العـام، أدْرَج منتـدى اليمـن الـدولي أسسـا منهجيـة مبتكـرة مُعتمـدة دوليـا تُعـرف بـ "السـيناريوهات التحوّليـة" – وهـي منهجيـة باتـت تَكتسـب زخمـا كَوسـيلة للتعاطـي مـع الظـروف المعقـدة وحالـة عـدم اليقـين في سـياقات مُعينـة، حيـث تُـشرك مجموعـة متنوعـة مـن الجهـات الفاعلـة في حـوار حـول مسـتقبل بلادهـم. في إطـار هـذه المنهجيـة، يُطلـب مـن المشـاركين كبـح اندفاعهـم للدعـوة مـن أجل المسـتقبل المنشـود والعمـل عوضـا عـن ذلـك عـلى استكشـاف سـيناريوهات المسـتقبل المحتملـة.

نَظّـم منتـدى هـذا العـام سلسـلة وُرش عمـل في إطـار منهجيـة "السـيناريوهات التحوّليـة"، بهـدف مسـاعدة مختلـف الجهـات الفاعلـة عـلى التخطيـط لمسـتقبل بلادهم في ظـل الظـروف المتقلبـة وحالـة عـدم اليقـين الـتي يشـهدها اليمـن. تُسـاعد هـذه المنهجيـة عـلى تقليـص الحواجـز بـين الأفـراد المُتبنّـين لوجهـات نظـر مختلفـة وأحيانـاً متضاربـة ودَفعهـم الى التفاعـل مـع بعضهـم، وتُشـجع عـلى تحويـل بوصلـة التركـيز بعيـدا عـن تفاصيـل الـصراع الحـالي والاعتبـارات قصـيرة الأجـل باتجـاه تحليـل مسـتقبلي طويـل الأجـل ينظـر في سـياق أوسـع. هـذا بحـد ذاتـه قـد يُسـاعد في توسـيع دائـرة الحـوار لتشـمل أشـخاص أصواتهـم غـير مسـموعة غالبـا في آليـات الحـوار التقليديـة، وقـد يُشـجع المشـاركين عـلى نبـذ التفكـير بالتمـنّي، وتشـغيل مخيلتهـم لاستكشـاف سُـبُل جديـدة للمـضي قدمـا ممـا يعـزز مـن بنـاء الثقـة.

وانطلاقـاً مـن هـذا المبـدأ، عُقـدت خمـس وُرش عمـل لوضـع السـيناريوهات

المستقبلية، شارك فيها أكثر من 100 مشارك وتناولت المحاور التالية: دور المرأة في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة؛ الهياكل الأمنية والاستقرار؛ العدالة والمصالحة؛ المنظومة السياسية والحياة المدنية؛ والاقتصاد. ركزت جميع ورش العمل بشكل رئيس على "القوى الدافعة أو المحركات" التي قد تُشكّل مستقبل كل محور من المحاور الخمسة المشار إليها آنفاً، حيث انخرط المشاركون في تمرينين: الأول/ تقييم ذاتي لمستوى أثر المحرك ومستوى عدم القدرة على التنبؤ بكل قوة دافعة/محرك، والثاني/ نقاش جماعي لتحديد مختلف المُخرجات المحتملة لكل قوة دافعة وسرد قصص صغيرة مرتبطة بكل مخرج.

وبالتمعّن في نمط تقييم المشاركين للقوى الدافعة (العوامل المؤثرة)، تبين أن القوة الأكثر قدرة على التأثير هي الدور الداعم الذي يمكن أن يضطلع به أبناء المجتمع المدني والمجتمعات المحلية في تحقيق العدالة والمصالحة. بَرزت عوامل أخرى ذات تأثير كبير لكن بقُدرة أقل نسبياً على التنبؤ بها كَالصراعات القائمة على الهوية، والظروف الأمنية، والتحريض ضد المرأة في الحياة العامة. هذا وشدّد مشاركون في بعض من ورش العمل هذه على قوى/ عوامل شاملة ذات تأثير كبير ومُشترك في حلّ القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية كَتقاسم الثروات وتوزيع الموارد. كَما شملت القوى الدافعة (العوامل المؤثرة) الأخرى التي اعتبرها المشاركون غير قابلة نسبياً على التنبؤ بها: استخدام الاقتصاد كسلاح، واستمرار سيطرة المتورطين في انتهاكات حقوق الإنسان على دوائر صنع القرار السياسي، وديناميكيات الصراع ودور الجماعات المسلحة، وميزان القوى بين الجهات الفاعلة المحلية، ودور المجتمع المدني في بَلورة العملية السياسية وقطاع الأمن. هذا وقد يُوحي توصيف المشاركين لهذه القوى كعوامل يتعذّر التنبؤ بها بأن الوضع يمضي في اتجاهات غير متوقعة وبالتالي قابل للتأثر والتغيّر إما إيجابا أو سلبا.

5.آفاق المستقبل: ثلاث رسائل لمنتدى اليمن الدولي 2023م:

الأولى: على السلام أن يكون شاملًا:

وجّه منتدى اليمن الدولي 2023 رسالة قوية شدّد فيها على عدم أحقية أي حزب في اليمن بادعاء تمثيل وطن بأكمله، وكان لهذه الرسالة وقع مُؤثر بشكل خاص في ظل التطورات السياسية التي تشهدها البلاد. فرُغم أن المحادثات بين السعودية

وجماعة الحوثيين جاءت كانطلاقة مُهمة وفُرصة للدفع باتجاه هدنة شاملة على المستوى الوطني، فأي تسوية تعكس مصالح الأقوياء وتُقصي الغالبية العظمى من اليمنيين مآلها الفشل. ضَمن نهج "الخيمة الكبيرة" الذي اعتمده منتدى اليمن الدولي -وهو منهجية لا تختلف كثيراً عن منهجية مؤتمر الحوار الوطني - مشاركة واسعة لأبرز الجهات الفاعلة السياسية في نسخة هذا العام، الأمر الذي شجّع على بناء الثقة بين الأطراف وأتاح منبر للفئات المُهمشة لممارسة التأثير والتعبير عن رؤاهم لمسار السلام، بما في ذلك: النساء اللواتي يُمثلن نصف المجتمع اليمني وجرى تهميشهنّ وحصر أدوارهن في مضمار الحياة الخاصة؛ والأحزاب السياسية التي يمكن أن تُسخّر شرعيتها التاريخية كجِسر تواصل بين مختلف الجماعات الفرعية الاخرى؛ والمكونات الجنوبية التي تَبرُز مطالبهم بحق تقرير المصير كجزء حاسم في أي عملية سلام مستدامة؛ ومنظمات المجتمع المدني والقبائل والوسطاء المحليون الذين تولوا مسؤولية تقديم المساعدة الإنسانية والحفاظ على التماسك الاجتماعي للمجتمعات المحلية في ظل غياب دولة فاعلة؛ وممثلو الأقليات الذين تعرضوا لاضطهاد وعنف من قِبل الفصائل المتحاربة؛ وأخيرًا وليس آخرًا، الشباب الذين يُعدّون أعظم ثروة لليمن والجيل الذي سيتولى في نهاية المطاف مسؤولية إعادة إعمار البلاد.

الثانية: على السلام أن يكون عادلًا:

في 8 أكتوبر/تشرين الأول 2021، رفض مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة قرارًا يقضي بتمديد ولاية فريق الخبراء البارزين المعني بالتحقيق في جرائم الحرب في اليمن، وهي خطوة جاءت كصفعة للآلاف من ضحايا الحرب. على ضوء ذلك، وجّه منتدى اليمن الدولي رسالة قوية وواضحة مفادها عدم قابلية تحقيق السلام في اليمن دون عدالة ومساءلة، وأهمية اتخاذ خطوات لمعالجة مَظالم عدد لا يحصى من ضحايا الحرب لأول مرة في تاريخ البلاد. وانطلاقًا من تساؤل أحد ضحايا الحرب المشاركين في المنتدى: "هل نريد رؤية جيل يواصل تكرار نفس الأخطاء؟ أم نهدف إلى اعتناق طريقة تفكير جديدة؟"، تَبرز حقيقة لا غبار عليها وهي أن أي مسار لا يأخذ بعين الاعتبار إنصاف الضحايا سيؤدي في نهاية المطاف إلى انكسار الثقة في سيادة القانون والحُكم والعلاقة بين الدولة والمجتمع في اليمن، وهو ما

أثبتتـه اتفاقيـات وتسـويات سـابقة في المنطقـة غضـت الطـرف عـن تحقيـق المسـاءلة (كاتفـاق الطائـف عـام 1989 الـذي سـاهم في إنهـاء الحـرب الأهليـة في لبنـان).

أقـرّ المشـاركون في الجلسـات المتناولـة لهـذه القضيـة بـأن الرحلـة صـوب تحقيـق العدالـة لـن تكـون سـهلة. بـادئ ذي بـدء، عـلى اليمنيـين التوصـل إلى فهـم مشـترك لمـا يعنيـه مفهـوم العدالـة، إلا أن المناقشـات المكثفـة الـتي جـرت في نسـخة منتـدى اليمـن الـدولي هـذا العـام تُمثـل خطـوة مهمـة نحـو تطبيـع مفهـوم وخطـاب العدالـة الانتقاليـة في السـياق اليمـني، وكـسر حاجـز الصمـت المُطبـق المحيـط بهـذا المفهـوم في المحافـل الدوليـة. بـرزت كذلـك أهميـة توثيـق الانتهـاكات في حقـوق الإنسـان ودعـم رابطـات ضحايـا الحـرب كأحـد أبـرز مُخرجـات نقاشـات هـذا العـام حـول ملـف العدالـة الانتقاليـة، والـتي تكلّلـت بإعـلان مشـترك للعدالـة والمصالحـة أقرّتـه أكـثر مـن 30 منظمـة يمنيـة مـن منظمـات المجتمـع المـدني -وهـو مـا يَعكـس عزيمـة عـلى مواصلـة النضـال مـن أجـل النهـوض بالعدالـة والمصالحـة في اليمـن. هـذا ويُشـكل الإعـلان المشـار إليـه جـزءًا مـن خارطـة طريـق أوسـع نطاقًـا لإرسـاء العدالـة الانتقاليـة تَعمـل عليهـا حاليـا منظمـات المجتمـع المـدني بتيسـير مـن فريـق منتـدى اليمـن الـدولي.

الثالثة: على السلام أن يكون مستدامًا:

أثبتـت الحـرب المسـتمرة منـذ تسـع سـنوات بـأن اليمنيـين لا يملكـون رفاهيـة الوقـت لانتظـار تسـوية سياسـية تُفـضي إلى بـدء إعـادة إعمـار البـلاد. هنـاك أولويـات أساسـية يجـب التعامـل معهـا دون تأخـير مـن أجـل إرسـاء أسـس سـلام دائـم، ومـن هنـا، بَـرزت مطالـب المُشـاركين بهُدنـة اقتصاديـة بـين الأطـراف المُتحاربـة، ووضـع حـدّ التدابـير الاقتصاديـة التصعيديـة والتدابـير المضـادة المتخـذة مـن كل جانـب –وهـي مطالـب حظيـت بدعـم جميـع الحاضريـن. فَفـي كل مـرة تقـترب فيهـا الأطـراف المتحاربـة خطـوة نحـو تسـوية سياسـية محتملـة، تظهـر غالبًـا نقـاط خلافيـة حـول قضايـا اقتصاديـة عالقـة، وَسـط كفـاح الأسر اليمنيـة عـلى الأرض لسـدّ الرمـق في ظـل التداعيـات الاقتصاديـة الوخيمـة الـتي أوجدتهـا الحـرب الجاريـة. يَنتـاب الخـبراء قلـق متزايـد إزاء قـدرة الاقتصـاد المُعتمـد شـبه كُلي عـلى المسـاعدات الإنسـانية عـلى الصمـود، وانطلاقـاً من ذلك، سـتبدأ مجموعـة مـن الخـبراء الاقتصاديـين في دراسـة كيفيـة التحـوّل مـن الاعتمـاد عـلى الإغاثـة إلى التعـافي الاقتصـادي والتنميـة عـلى المـدى الطويـل، وسُـبل إنقـاذ القطـاع المـصرفي

مـن الانهيـار، وتحسـين أوجـه التنسـيق مـع القطـاع الخـاص، والضغـط عـلى مكتـب المبعـوث الأممـي الخـاص مـن أجـل إيـلاء الوضـع الاقتصـادي الاهتمـام الواجـب.

مـن جانـب آخـر، سـلّط منتـدى اليمـن الـدولي الضـوء عـلى آثـار تغـيّر المنـاخ باعتبارهـا جـزءًا لا يتجـزأ مـن خُطـط الاسـتدامة الاقتصاديـة، مـع التأكيـد عـلى أهميـة تصميـم عمليـة تعـافٍ اقتصـادي تـدرج منظـورًا بيئيًـا يأخـذ في الاعتبـار المـوارد المائيـة المُسـتنزفة في اليمـن وتنامـي الظواهـر الجويـة المتطرفـة.

واسـتكمالًا لنقاشـات النسـخة الأولى مـن منتـدى العـام المـاضي، بَـرزت الحاجـة إلى مواصلـة العمـل عـلى اسـتنباط وسـائل ردع مُتنوعـة تتصـدى لتجـاوزات الجماعـات المسـلحة في اليمـن -وهـي مسـألة جوهريـة حَظيـت باهتمـام كبـير في منتـدى هـذا العـام أيضًـا. ركّـز الخـبراء المشـاركون في منتـدى سـتوكهولم 2022 وفي منتـدى لاهـاي هـذا العـام عـلى الحلـول العمليّـة والتفكـير "خـارج الصنـدوق" لكيفيـة دَمـج المقاتلـين في القطاعـين المـدني والعسـكري، وتوفـير حوافـز اقتصاديـة تُشـجعهم عـلى نَبـذ خيـار الانضمـام إلى صفـوف الميليشـيات. صَـاغ بعـض مـن هـؤلاء الخـبراء رؤيـة لقطـاع أمـني لامركـزي يُوفـر مسـتوى معقـولًا مـن التـوازن بـين الجماعـات المسـلحة والسـلطات المحليـة بالمحافظـات والحكومـة المركزيـة. مرهونًـا بدعـم الجهـات الفاعلـة الدوليـة، يُمكـن لمثـل هـذا التـوازن أن يـرسي الأسـاس المطلـوب لتحقيـق سـلام دائـم ومسـتدام في اليمـن.

.....

(*) بقدر محدود من التصرف

حرب تمر على أجساد النساء

ثريا دماج *

مقدمة:

الحرب كفعل هي ضدٌّ طبيعيٌّ تدمر كل ما هو مدني داخل المجتمع، حيث تدفع بالاقتصاد إلى شفا الانهيار، وبالأنظمة السياسية إلى حالة من التشظي، وتُلغي حقوق الإنسان بالمجمل، وعلى رأسها حقوق المرأة التي تجد نفسها ضمن الفئة الأكثر تجرداً من تلك الحقوق في الحرب التي يشهدها اليمن.

على مدى عقود، حققت الحركات النسوية في اليمن اختراقات كبيرة، فبعد استقلال جنوب اليمن عام 1967، برزت الرابطة النسوية كواحدة من أوائل حراك المجتمع المدني التي نظمت نفسها، وكان لها تأثير كبير على رسم سياسة الدولة الفتيّة آنذاك. أسهمت النساء في صياغة تعميمات قانونية ترفع الحدّ الأدنى لسن الزواج، وتشترط أخذ موافقة المرأة قبل الزواج، وتحمي المرأة من العنف الأسري، وتكفل حقها في طلب الطلاق، وتمنح المرأة المطلقة تلقائيا حضانة أطفالها. بحلول عام 1990 تم دُمِج برلمان شطري اليمن، ليضم عضوية 11 امرأة، وتنامت فرص التعليم والعمل المتاحة للمرأة في مختلف أنحاء اليمن. لكن رغم ما حققته المرأة اليمنية من إنجازات كبيرة خلال فترات الاستقرار النسبي من ستينيات القرن العشرين وحتى انقلاب الحوثيين في عام 2014، قوّض الصراع كل التقدم المحرز، وكشف عن هشاشة هذه الإنجازات.

تؤثر الحرب بشكل مباشر وغير مباشر على كل شرائح المجتمع باختلاف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تنال كل شريحة نصيبها من الضرر حسب موقعها في السلم الاجتماعي والاقتصادي. تعاني النساء أسفل السلم (ذوات الخلفيات الاجتماعية أو الاقتصادية المتواضعة) من أوجه تمييز متعددة، مما يضاعف من معاناتهن خلال الحرب. ورغم أن النساء يشكلن أقل من 50% من سكان اليمن، فإن نسبة 80% من النازحين داخليا هم من النساء والأطفال. على مدى سنوات، تذيّل اليمن قائمة البلدان المراعية لحقوق المرأة، حيث صُنِّفَ ضمن المراتب الأخيرة في مؤشر الفجوة العالمية بين الجنسين للمنتدى الاقتصادي العالمي.

لكن ما يبعث على القلق هو قلة الاهتمام بتراجع الحقوق المدنية للمرأة والتي تكاد تفوق آفة اللا مساواة بين الجنسين سوءاً، حيث تُقابل عملية تجريف الحيز المدني لصالح عسكرة المجتمع بردود فعل باردة من قبل الجهات الفاعلة المحلية والدولية. تشمل بعض التغيرات الجذرية التي برزت في المشهد اليمني تغييب النساء عن الفضاء العام، واستبعادهن بهدوء عن قطاع العمل، وغياب الصحافة المستقلة، والتضييق على منظمات المجتمع المدني. كل هذه التغيرات تمر مرور الكرام دون أن يقابلها غضب شعبي.

عوضا عن ذلك، يتلحّف الخطاب العام في اليمن بغطاء فضيلة المجتمع عبر التشكيك في النساء وقمعهن علناً، ما يجعل أي عنف قائم على النوع الاجتماعي مبرراً، وأي اعتراضات لنفي المرأة من الحياة الاجتماعية مسكوتاً عنه خوفاً من العار أو الفضيحة، فيما يتم استغلال النساء والفتيات ويتعرضن للابتزاز والعنف الجسدي والنفسي والجنسي من قبل الرجال، في سبيل العيش في بلد تآكلت فيه سبل كسب العيش، بما في ذلك المرتبات وفرص العمل.

تبرز الممارسات القمعية جلياً في المناطق التي تسيطر عليها جماعة الحوثيين (حركة أنصار الله) بقرارات وممارسات رسمية وغير رسمية تهدف إلى إلغاء دور المرأة في الفضاء الثقافي والفكري وقطاع العمل، وفي أقصى الحالات حصر دورها بين جدران المنزل. من جهة أخرى، يتجلى ضعف واضح في قدرة الحكومة المعترف بها دولياً على الالتزام بقوانين ودستور البلاد، ناهيك عن رفع المستوى المعيشي بما يتماشى مع الاتفاقيات والمعايير الدولية لحقوق المرأة. كما يوجد غياب شبه كامل للبرامج المتعلقة بحماية النساء والفتيات في أجندات منظمات الاغاثة الدولية والمحلية.

المرأة... جسد متخاصم مع السياسة:

تتنوع وجهات نظر الجهات الفاعلة السياسية في اليمن حول معظم القضايا، لكنها وللمفارقة تتفق على إهمال حقوق المرأة والتغاضي عن حمايتها، مما عزز من أشكال الإساءة التي تتعرض لها النساء باستمرار. في حين يدعو البعض إلى إصلاحات ويرفعون ظاهريا راية المساواة بين الجنسين، يغضون الطرف عن انتهاكات حقوق المرأة. حيث تعرضت النساء اليمنيات منذ عام 2014 للقتل والتعذيب والاختفاء

والاعتداء الجسدي والاعتقال التعسفي، وتقييد حركتهن، واستبعادهن من المناصب العامة، في ظل تطبيق سياسات الفصل بين الجنسين على مستوى غير مسبوق، الأمر الذي يعكس تواطؤ جميع الجماعات التي تُمارس السلطة في اليمن في إهمال حمايتهن.

شهدت جميع مناطق اليمن تحوّلا في الخطاب الديني، حيث تركز الرسائل الموجهة من منابر المساجد على ضرورة كبح جماح النساء، وأنه في هذا الوقت العصيب، تثير أجساد النساء الرغبات، وبالتالي تمثل النساء غير المنضبطات "تهديدا خطيرا" على المجتمع.

في مناطق سيطرة الحوثيين تحديداً، يرتبط المذهب الديني ارتباطا وثيقا بسياسات السلطة، وهو ما دفع مجموعة من الناشطات والقيادات النسائية وموظفات في المؤسسات التي تتخذ من صنعاء مقراً لها إلى التوقيع على عريضة موجهة إلى رئيس حكومة صنعاء التي يديرها الحوثيون، عبد العزيز بن حبتور، يشتكين فيها من "حملة ممنهجة ضد النساء بهدف استبعادهن من الوظائف العامة، وتقييد أنشطتهن وعزلهن بطريقة لا ينبغي التسامح معها".

تضمنت الرسالة جملة من المشكلات التي تتعرض لها النساء، ومنها: "تعميمات تظهر بين فترة وأخرى تقيد وتعيق حركة النساء، إما بطلب وجود مَحرم أو إجراءات ادارية تُعدُّ معرقلة لسفر النساء"، و "رفع بعض الجهات (في صنعاء) رؤى تقضي بإلغاء قطاعات المرأة في بعض الوزارات بذريعة تقليص الهيكلة والتضخم الوظيفي"، وأن "خُطب الجمعة تركز على التحريض على النساء اليمنيات وتخويف الأهالي وتحذيرهم من دراستهن في الجامعة أو التحاقهن بالعمل أو الخوف على حشمتهن"، وبأن "الفصل بين الموظفات والموظفين في بعض المؤسسات والوزارات بذريعة منع الاختلاط والحرب الناعمة أعطى فرصة للكثير لإقصاء المرأة وتنحيتها عن العمل". أغلب أولئك اللائي وقعن على الرسالة يعشن ويعملن في مناطق سيطرة الحوثيين وبعضهن من المقربات للجماعة، ولذلك فقد مورست عليهن ضغوطات لكي يشجبن الرسالة أو يغيرن موقفهن؛ غير أن بعضهن كن أكثر شجاعة وجرأة، ورفضن التخلي عن موقفهن الصريح من كل ما جاء في الرسالة، بل وطالبن بإيصالها إلى أعلى هيئة سياسية للجماعة، وهي المجلس السياسي الأعلى. ما ورد في

الرسالة ليس جديداً وهي شكاوى قائمة منذ أمد؛ لكن أن توقعها قيادات نسوية محسوبة على جماعة الحوثيين نفسها فذلك ما جعل مراقبين يعتبرونها خطوة جريئة لا رجعة فيها.

من المهم الإشارة إلى أن هذه الممارسات تضاعفت بشكل ملحوظ بعد بضعة أشهر على تقديم العريضة، حيث ظهر زعيم جماعة الحوثيين، عبدالملك الحوثي في خطاب بُثّ على قناة المسيرة الناطقة باسم الجماعة، في تموز/ يوليو الماضي، ركز فيه على رؤية الجماعة لدور المرأة في المجتمع قائلا: إن "دور المرأة يقتصر في هذه الحياة على الحنان والرقة والعاطفة، وإذا كان لها من إسهام فيكون بما يتناسب مع خصوصياتها وظروفها"، في إشارة واضحة إلى التشدد في أن طبيعة وظيفة المرأة هي كربة منزل "حنونة" فقط حسب وصف الحوثي.

ولم يمض على خطابه وقتاً طويلا حتى عادت الجماعة لممارسة سياسات تنتهك حقوق المرأة. ففي 31 يوليو/ تموز من العام 2023، أقالت إدارة جامعة صنعاء الأكاديمية الدكتورة سامية الأغبري، عن منصبها كرئيس لقسم الصحافة في كلية الإعلام واستبدلتها بزميلها الدكتور علي البريهي، على خلفية رفضها الصريح لسياسة جديدة للفصل بين الطالبات والطلاب في بعض الكليات الحكومية. وفي أواخر أغسطس/ آب، اتهمت عمادة كلية الشريعة والقانون إحدى طالباتها المناهضات للجماعة بالمثلية وتم فصلها نهائيا من الجامعة. لم يمض وقت طويل حتى أقدمت عمادة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة صنعاء بتاريخ 6 سبتمبر/ أيلول – وبدون تقديم مبررات – على إبعاد الأكاديميتن الدكتورة خديجة الهيصمي، والدكتورة أشواق مغلس وزميل لهن هو الدكتور علي الحاوري، من جدول المحاضرات واستبدالهم بمحاضرين غير مؤهلين من اختيار مسؤولين حوثيين ولا يمتلكون الدرجة الأكاديمية.

للأسف، وضع النساء في مناطق سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً لا يختلف كثيراً عن وضعهن في مناطق سيطرة جماعة الحوثيين؛ ففي محافظة تعز الواقعة ضمن نفوذ الحكومة، قاد رجال دين وأكاديميون وسياسيون وناشطون متشددون في يونيو/ حزيران، حملة تحريض واسعة ضد جامعة تعز، على خلفية تبني مجلس الجامعة الحكومية قرارا بإدراج قضايا "تنمية المرأة في إطار النوع الاجتماعي" ضمن برنامج الدراسات العليا لنيل الماجستير. تزعم الحملة ضد جامعة تعز البرلماني

عـن حـزب الإصـلاح ورجـل الديـن المتشـدد عبدالله العديـني، الـذي دعـا إلى إغـلاق مركـز بحـوث ودراسـات تنميـة المـرأة بسـبب تبنيـه قضايـا النـوع الاجتماعـي المتحـررة، وهـو مـا يشـجع -حسـب زعمـه- عـلى "إباحـة اللـواط والزنـا والشـذوذ الجنـسي، والانحـلال الأخـلاقي والتمـرد الأسري" وقـال إن تصويـت مجلـس الجامعـة لصالـح إدراج النـوع الاجتماعـي هـو "جريمـة عظمـى، بـل أبشـع جريمـة عرفهـا اليمـن عـبر تاريخـه". لـم يـتردد أبـداً القيـادي البـارز في جماعـة الحوثيـين، محمـد عـلي الحـوثي، في التعبـير عـن تضامنـه مـع العديـني – رجـل الديـن المنضـوي في حـزب الإصـلاح (وظاهريـاً العـدو الأول لجماعـة الحوثيـين)، وتأييـده للتصـدي لمـا وصفـه بالحـرب الناعمـة لاسـتهداف المجتمعـات الإسـلامية.

في ظـل توجّـه الاهتمـام إلى سياسـة المحـارم المفروضـة عـلى تنقـل المـرأة في مناطـق سـيطرة الحوثيـين، تتجـلى في المناطـق الخاضعـة لسـيطرة الحكومـة قيـود وانتهـاكات مشـابهة إلا إنهـا لا تثـير نفـس المسـتوى مـن القلـق. تقـول الصحفيـة والناشـطة وداد البـدوي: إنـه تـم ايقافهـا في شـهر نوفمـبر/ تشريـن الثـاني 2022 عنـد نقطـة أمنيـة تديرهـا عنـاصر تابعـة للحكومـة في مـأرب (في طريـق عودتهـا إلى صنعـاء) بذريعـة عـدم وجـود مَحـرم، رغـم اسـتصدارها تصريحـاً وبـلاغ دخـول مـن سـلطات صنعـاء.

وفقـاً لمنظمـة "مسـاءلة" لحقـوق الانسـان، تعرضـت إحـدى موظفاتهـا للاحتجـاز التعسـفي في نقطـة أمنيـة تابعـة للسـلطة المحليـة الموالـية للحكومـة بمحافظـة مـأرب، وتـم أخـذ هاتفهـا وتفتيشـها بأسـلوب فـظّ والتهجُّـم عليهـا بألفـاظ سـيئة. تواجـه النسـاء مخاطـر متزايـدة مـن العنـف والاحتجـاز غـير المـبرر عنـد نقـاط التفتيـش، ويتيـح الافتقـار لأطـر قانونيـة تحمـي المـرأة مسـاحة للسـلطات للاسـتمرار في مثـل هـذه الممارسـات مـع الإفـلات التـام مـن العقـاب. في سـبتمبر/ أيلـول 2021، داهمـت الأجهـزة الأمنيـة في مـأرب مـنزلا واعتقلـت الإعلاميـة والناشـطة الحقوقيـة أمـة الله الحمـادي، الـتي كانـت في ضيافـة صديقتهـا؛ دون إصـدار مذكـرة قضائيـة. في غضـون ذلـك، تشـترط سـلطات الأمـن في عـدن عـلى النسـاء النـازلات في الفنـادق وجـود مَحـرم أو إبـراز رسـالة مـن جهـة العمـل كـشرط للإقامـة، إلا أن هـذه الممارسـة تُعـد غـير رسـمية وليسـت سياسـة حكوميـة. وبحسـب مسـؤولين حكوميـين، جـرت محـاولات للحـد مـن هـذه القيـود حيـث تـم في أغسـطس/ آب، اصـدار توجيـه رئـاسي لمديـر عـام شرطـة عـدن بالتعميـم لكافـة الفنـادق بالسـماح للنسـاء بالإقامـة بالفنـادق دون قيـد أو شرط، وبتقديـم فقـط الأوراق الثبوتيـة.

تراجع جهود منظمات المجتمع المدني:

لطالما أعطت منظمات المجتمع المدني أولوية لقضايا المرأة، ولها سجل طويل وحافل في تسليط الضوء على الواقع. اتحدت مواقف منظمات المجتمع المدني في بداية الحرب لإصدار بيان يحذر من أن النساء والفتيات "يدفعن أفدح ثمن" للحرب في اليمن. حددت هذه المنظمات بادئ الأمر الطرق التي يمكن للمرأة أن تساهم بها في مبادرات بناء السلام، لا سيما في أدوار الوساطة. تستمر منظمات المجتمع المدني في رصد الانتهاكات ضد حقوق المرأة والدعوة إلى تسهيل لجوء المرأة إلى القضاء، وتعزيز أصوات النساء عبر وسائل الإعلام وداخل المجتمع، على المستويين الفردي والجماعي.

لكن مع استمرار الحرب، تزايد التضييق على نشاط منظمات المجتمع المدني، الأمر الذي دفع كثير من النشطاء والموظفين إلى الهروب خارج اليمن. أما الذين بقوا داخل اليمن فلم يكن أمامهم سوى إيقاف نشاطاتهم أو تغيير مجالات عملهم أو الذهاب للعمل في منظمات أخرى أقل عرضة للتهديد. فضلا عن ذلك، تأثرت كثير من برامج وأنشطة منظمات المجتمع المدني بقرارات المانحين تعليق دعمهم التمويلي وتوجيه معظم الدعم المالي نحو الأعمال الإغاثية، على حساب بقية البرامج المتعلقة بحقوق الإنسان.

هذه الظروف المهددة، إلى جانب ما تعرضت له النساء من انتهاكات خطيرة، دفع كثيرا من الناشطات إلى النأي بأنفسهن عن العمل الفردي أو المنظمات الفردية التي قد تكون عرضة للتهديد، وإنشاء عدد من التحالفات والشبكات والحاضنات الاجتماعية والمبادرات النسوية في مجال بناء السلام؛ خصوصا وأن مثل هذه التحالفات قد تمثل عاملا مهما من عوامل الحماية الجماعية وهي بالفعل خطوة في الاتجاه الصحيح. رغم ذلك، لا تنتفي الحاجة الى حماية أكبر للناشطات والنساء بشكل عام.

الأمان في كثرة العدد: استعادة حقوق المرأة:

تُعد منظمات المجتمع المدني في مقدمة الأطراف التي تناهض وتحارب قمع واضطهاد المرأة، وبالتالي يتعين على الجهات الفاعلة الأخرى في اليمن الحذو حذوها من خلال تطبيع إدماج ومشاركة المرأة في الفضاء العام. يتعين على منظمات –

كالأمـم المتحـدة – إشراك النسـاء عـلى طاولـة المفاوضـات وتوظيفهـن في مكاتبهـا المحليـة لا سـيما في المناطـق الريفيـة، كمـا يجـب عـلى المنظمـات الدوليـة مواصلـة الدعـم المـالي لمنظمـات المجتمـع المـدني – لا سـيما تلـك المنـاصرة لحقـوق المـرأة – وحمايتهـا عـبر تسـليط الضـوء عـلى التضييـق الحاصـل ضدهـا وإدانـة ذلـك مـن أعـلى مراكـز صنـع القـرار فيهـا حـين يتـم اسـتهداف تلـك المنظمـات. ومهمـا اتفقـت سـلطات طـرفي الـصراع عـلى سياسـات تُبقـي النسـاء خاضعـات، عـلى المجتمـع المـدني داخـل اليمـن وفي جميـع أنحـاء العالـم أن يتحـد للنهـوض بـدور المـرأة ومكانتهـا.

أي محـاولات لقمـع المـرأة وإخضاعهـا مـن أي سـلطة في طـرفي الـنزاع يجـب أن يُواجـه بجبهـة متحـدة تضـم المجتمـع المـدني داخـل اليمـن والمنظمـات ذات الصلـة خارجهـا للنهـوض بهـا. تحقيـق ذلـك يتطلـب أولا تكثيـف الرقابـة الدوليـة وتنظيـم حـوارات بنـاءة لتعزيـز التوافـق بـين جميـع الأطـراف المعنيـة؛ مـع ضرورة إشراك النسـاء في كافـة هـذه الجهـود وإعمـال حقوقهـا وتوفـير الحمايـة القانونيـة الواجبـة لهـا وتعزيـز مكانتهـا المسـتحقة داخـل المجتمـع.

.....

"أُعـدّت هـذه المقالـة كجـزء مـن برنامـج زمالـة صـوت النسـاء عـلى طاولـة القـرار (دعـم المشـاركة السياسـية للمـرأة العربيـة)، الجـاري تنفيـذه مـن قِبـل مركـز صنعـاء للدراسـات الاسـتراتيجية بالشراكـة مـع مبـادرة الإصـلاح العـربي وبتمويـل مـن الاتحـاد الأوروبي"، ونـشرت ضمـن تقريـر "اليمـن" لمركـز صنعـاء لشـهر نوفمبر-ديسـمبر 2023.

.....

(*) صحفية وناشطة يمنية، ورئيسة تحرير موقع "يمن فيوتشر" الإخباري المستقل إلى جانب ترأسها مؤسسة يمن فيوتشر للتنمية الثقافية والإعلامية.

قراءة لدور النساء في تحقيق السلام والأمن المجتمعي على المستوى الوطني والمحلي

عفراء خالد الحريري
محامية وناشطة حقوقية

مقدمة

لقد أصبحت لدى النساء اليمنيات خبرات متراكمة في قضايا حل النزاع والوساطة والإصلاح الأمني ومسارات السلام المختلفة، وكذلك عن مفاوضات السلام والمرحلة الانتقالية لحياة ما بعد الحرب سوى على المستوى المحلي أو الوطني، إلا انها ماتزال خبرة هامشية وغير معترف بها.

ومن الأمور المحتومة لنشاطات السلام هو البحث والعثور على مساحات للدمج الحقيقي للنِّساء وتمكين مشاركتهن في صنع السلام والامن المجتمعي وتحقيقهما. فمنذ عام 2015م بدأت مجموعة من المنظمات النسوية والناشطات النسويات في اليمن وبمساعدة من الأمم المتحدة للمرأة UNWOMENوالمنظمات الدولية في العمل على تشكيل ودعم وبناء قدرات وصقل مهارات وتدريب وتأهيل المجموعات والتكتلات والفعاليات النسوية في قضايا ومجالات تحقيق السلام والامن على مستويات مختلفة ومن ضمنها السلام والامن المجتمعي وكذلك لمواجهة عقلية الإقصاء لدى النخب السياسية.

أنَّ الدروس الصعبة التي تعلمتها النساء اليمنيات في أثناء الحرب وفترة الهدنة لا بد من تحليلها واستخدامها في بناء استراتيجيات جديدة محسَّنة لتفعيل المشاركة النشطة والحقيقية للنساء في عمليات السلام. ويمكن المشاركة بهذه المعارف مع النساء الأخريات في جميع أنحاء البلد وفي أوضاع مماثلة لتجنب الوقوع في الأخطاء ذاتها، كما يمكن النظر بالممارسات الجيدة ووضعها في سياقها الصحيح. وفي الوقت نفسه، تُستَخدَم الفرصة في إيجاد مسارات إنشاء الحركة النسوية القائمة على مبادئ نسوية في اليمن والتي سوف تتمكن النساء من العمل بها وراء سياسات الانفصال والعنصرية العقائدية والمناطقية والطبقية.

فالإخفاق الذي يحدث دائمًا طيلة السنوات الماضية منذ 2015م، ويمكن تتبع معظمه والمتمثل بأمرين اثنين: أولهما إن السلطة السياسية لم تدافع عن استحقاقات النساء السابقة، والأخران الأحزاب السياسية تتعامل مع عضواتها تكملت عدد، وذلك

تجاه التسوية السياسية وفي مجمل قضايا تحقيق السلام والأمن أو حتى تلك التي يكون الغرض منها إنهاء النِّزاع المسلَّح. وهذا التغييب للنساء في عملية السلام الرسمية وفي السلطة السياسية أيضًا تبعات ملموسة على المجتمع ككل وكذلك على النساء بصفتهن مجموعة مكوَّنة للمجتمع وسيكون أثّر التغييب سلبيًا على قدرتهن في كسب الاعتراف بهنَّ على أنَّهن من عوامل التغيير في العمليات اللاحقة.

الموقف الدولي والإقليمي من دور النساء في تحقيق السلام والأمن المجتمعي:

في كل الفترة التي تم بها تعيين مبعوث أممي لليمن، لم تكن طاولة الحوار بينه وبين اطراف النزاع مفتوحة إلا للرجال المدعومين بسطوة قوة السلاح التي وراءهم، وبحجة ضمان الوصول إلى وقف إطلاق النار أو الهدنة أو خطوات تمهيدية للسلام أو التخفيف من انتهاكات حقوق الإنسان، نجحت هذه الصفوة الذكورية في التوافق على طرق تقسيم السلطة وتقسيم البلاد، واليوم، يعتري البلد الشلل بسبب الإخفاق الوظيفي لجهاز الدولة الهشة والسياسات العنصرية والعقائدية والمناطقية والسياسية الوطنية التي تمثِّل العوامل المشتركة للكيانات الإقليمية التي أنشأتها الاتفاقيات الإقليمية بين ومع اطراف النزاع من المتولين السلطة أو مسيطرين عليها. وبالمقابل لم يكن هناك أي جهد حقيقي من الصفوة السياسية المحلية في إدراج منظور النِّساء في قضايا المجتمعات المحلية سواء في النقاشات المتعلقة بالبرامج والمشاريع وبالإصلاحات أو غيرها على المستوى المحلي، ولم تتمكن النساء من الحصول على الدعم الحقيقي من المجتمع الدولي والإقليمي الذي بإمكانه أن يجعل النساء شريكات في جميع عملية تحقيق السلام والامن، بل ظل المجتمع الدولي والإقليمي يسوقون في تسويغ أفعالهم أعذاراً بأنَّ النساء مشمولات بحكم الأمر الواقع من خلال المشاركة في الحياة السياسية والمؤسسية في اليمن على المستوى المحلي والوطني، بما فيها عضوية الأحزاب السياسية، لكنَّ الحقيقة مختلفة تمامًا، فالنساء لسن شريكات بشكل حقيقي أو ممثلات بما يكفي.

وعلى الرغم من الدعم الذي قدمته الدول والمنظمات غير الحكومية وعلى الرغم من بدأ العمل بآلية القرار الاممي الصادر من مجلس الأمن رقم 1325 بشأن المرأة والسلام والأمن تستثنى النساء عن محادثات السلام، وليس ذلك تحدٍ للالتزامات الدولية القانونية فحسب، بل هو أيضًا هدر مأساوي. ومع ذلك، عندما طلبت المنظمات النسوية المحلية والدولية اليمنية من المنظمات الدولية والهيئات الدبلوماسية البارزة ومن الأمم المتحدة ومبعوثها ضمان إدماج النساء في مفاوضات السلام وعملية التسوية السياسية والمشاورات بين المملكة العربية السعودية والحوثيين، تلقت المنظمات الرد

بـأنَّ "الوضـع السـياسي معقَّـد" وكأننـا "بالفعـل لانعـرف ذلـك"، لكـنَّ الحـل ليـس في تأبيـد كل هـؤلاء القـادة السياسـية" كمـا يطلـق عليهـم" أوفي الانقسـام المتشـظي الـذي يقودونـه للبـلاد والـذي سـيؤدي إلى نـزاع مسـتمرأو نـزاع جديـد في المقـام الأول، إذ أثبتـت الوقائـع والتجـارب بوضـوح أنَّ عمليـات ومعاهـدات السـلام الوحيـدة الـتي جلبـت سـلامًا مسـتدامًا هـي الـتي صيغـت بمشـاركة النسـاء وراعـت إدمـاج تحليـل النـوع الاجتماعـي في رسـم الإطـار العـام لإنهـاء الـنِّزاع أو المرحلـة الانتقاليـة وتحديـد المسـار المسـتقبلي والوسـاطات المحليـة لحـل الـنزاع والمسـاهمة في مسـاعدة المجتمعـات المحليـة.

الوضع الحالي لدور النساء في تحقيق السلام والامن المجتمعي:

في أثنـاء الـنزاع واسـتمراره، تظـل النسـاء مشـاركات بفعاليـة في التصـدي لتبعـات العنـف وفي النشـاطات الحيويـة المهمـة لاسـتمرار حيـاة المجتمعـات المحليـة، ويقدمـنَّ المسـاعدة للنازحـين والنازحـات ولضحايـا النِّسـاء اللـواتي تعرضـن للعنـف بمختلـف أشـكاله بمـا فيهـا الجنـسي، ويذهـبن للعمـل عـلى الرغـم مـن الخطـر وتعرضـن لنـيران القناصـة والقصـف لضمـان اسـتمرارية عملهـن، وعملـت بعضهـن عـلى الحـوار العابـر للمجتمعـات المحليـة في أثنـاء الـنزاع ذاتـه. ومـع ذلـك، لـم يكـن هنـاك أي آليـة لمشـاركة هـذه الخـبرات ونقلهـا إلى المشـاورات الرسـمية للسـلام. أمـا قـرار مجلـس الأمـن رقـم 1325 الـذي نـادى بتنشـيط المشـاركة الحقيقيـة للنسـاء في جميـع مراحـل بنـاء السـلام فلـم يُتـبنَّ إلا الان وفي العاصمـة عـدن وتحديـدًا في القطـاع الأمـني.

تسـتمر النسـاء في تنظيـم أنفسـهن، وتطالـب بعضهـن بمعرفـة حقيقـة اختفـاء أفـراد الأسر، في حـين تطالـب بعضهـن بـإشراك النسـاء في السياسـة الرسـمية. وتقـود بعـض النسـوة عمليـة صعبـة للعـودة مـن الشـتات وفَقَـدَت كثـير منهـن أفـرادًا مـن عائلاتهـن أو كـنَّ ضحايـا بأنفسـهن، لكـنَّ الغايـة الأساسـية تتمثـل في الوصـول إلى الحقـوق المدنيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية والبيئيـة.

كان مـن الممكـن تفـادي كثـير مـن المشـكلات الـتي ظهـرت طيلـة هـذه السـنوات إذا كانـت المشـاركة السياسـية أكـثر جديـة بتضمينهـا لممثـلات عـن النسـاء ومستشـارات مؤهـلات منهن حـول موضوعـات النـوع الاجتماعـي والعنـف الأسري والإتجـار والرعايـة الصحيـة والتَّعليـم والعمـل وغيرهـا مـن الموضوعـات الـتي ترتبـط بالنـوع الاجتماعـي وينبغـي الأخـذ بهـا في هـذه المرحلـة الانتقاليـة، الـتي يسـتوجب أن تدخـل النسـاء فيهـا كشريـكات للتخطيـط لهـا منـذ البـدء بهـا عنـد تسـليم السـلطة. وبـدلاً مـن ذلـك، اسـتُخدِمت حقـوق النسـاء المعـترف بهـا كأنهـا حالـة خطـيرة وصعبـة ومعقـدة ينبغـي التراجـع والتنـازل عنهـا. (كالتعليـم والعمـل

والرعاية الصحية.... وغيرها) لبقاء المواقف السياسية كما هي الان، إذ قُسِّمت السلطة السياسية بين أطراف النزاع دون معالجة الجوانب التمييزية أو النوع الاجتماعي وبناءا على حقوق وقضايا النساء أيضًا.

ومن ناحية أخرى، أُهمِلت القضايا المعترف بها على أنها قضايا "خاصة بالنساء حصرًا" لأنها ليست ذات أهمية، خاصة لغايات توزيع السلطات أو الموارد، بل تُرِكت لتعالجها المنظمات النسوية مثل "العنف الأسري" وهو أقل موضوع فيه حساسية سياسية. وفتح للنساء المجال للتعامل مع ذلك، ولم تتدخل أطراف النزاع السياسية الذكورية في ذلك، على اعتبار أنَّ العنف الأسري يصوِّر النساء على أنَّهن ضحايا وليس على أنهن صاحبات نفوذ أو متخذات للقرار.

***آلية تثبيت دور الشريك لتحقيق السلام والامن المجتمعي:**

من هنا، كان على الكيانات والمنظمات النسوية أن تبني خبرات سياسية لا بأس بها عند الحديث عن صنع واتخاذ القرار، في غضون ذلك، لم تفعل تلك الكيانات والمنظمات النسوية شيء قوي يذكر في دخول ذلك المعترك بحجة تحقيق السلام والامن على الاقل. ونتيجة لذلك، لا تحصل النساء اليوم على الدعم إلا من خلال المنظمات النسوية غير الحكومية التي تبقى معتمدة على دعم المانحين الدوليين للاستمرار في أنشطتها المتعلقة بتحقيق السلام والامن المجتمعي.

فهناك علاقة جوهرية بين الطريقة التي "تُستَقطَب" بها تلك المنح من الخارج لتحقيق العدالة الحقيقية في الداخل، إذ ينبغي أن تنشأ النساء والنسويات قنوات رسمية وغير رسمية للعدالة في صنع واتخاذ القرا، وعليها تقديم إطارًا عامًا لتلك القضية على اعتبار إنها الشريك الوحيد لتحقيق السلام والامن في البلد على المستوى المحلي والوطني، حتى وإن أضطرها الامر إلى تقديم أفراد السلطة والأحزاب والمكونات السياسية للمساءلة الجنائية والمجتمعية.

إلا أن تأسيس هذه الآليات الرسمية للعدالة، يحتاج إلى قوة بتوحيد هذه الكيانات النسوية والنسائية لاستكمال ما قد تم البدء به، بإبداء الانتباه الحقيقي والجاد للحقوق الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والمدنية والسياسية، وينبغي أن تحصل على الدعم من عملية الانتقال التحويلي. ولا يمكن تحديد الحاجة المطلوب تلبيتها إلا بوجود عملية دامجة، لأنَّ تغييب النساء سيكون مصيره الفشل المحتوم والعودة إلى النزاع، وسيبقى هذا الهدف يمثل تحديًا أكبر في مساحة المشاركة على طاولة المشاورات والمفاوضات لتحقيق السلام والامن المجتمعي على المستوى الوطني والمحلي.

جاء "من أرض بلقيس"، وسار "في طريق الفجر"، حالماً الوصول إلى "مدينة الغد"، كان يغني "لعيني أم بلقيس"، وهو يحاول "السفر إلى الأيام الخضر"، رغم أن "وجوه دخانية في مرايا الليل" وقفت أمامه لتأكد له أنه في "زمان بلا نوعية"، لكن "كائنات الشوق الآخر" في داخله تغلبت على "رواغ المصابيح" وجعلته قادراً على خلق "ترجمة رملية لأعراس الغبار"، لم يكن يمهد ل "رجعة الحكيم أبن زايد" لكنه حلق حتى أصبح "جواب العصور" الذي لا يموت.

البردوني : البصير الذي صار عينا لشعبة _ملف (1)

إعداد/ فاروق السامعي*
عز الدين العامري **

يُعدُّ البردوني واحداً من أهم رموز الادب العربي الحديث، فهو ليس مجرد شاعر فقط، بل شاعر وناقد أدبي ومؤرخ وسياسي، كان ثورياً ورومانسياً وساخراً، وشاعرا عموديا مغايرا، صنفه البعض كآخر شعراء الكلاسيكية بعد رحيل الشاعر العراقي الجواهري، لكنه لم يقبل لباس معاطف سابقيه من الشعراء الكلاسيكيين، ولم يركب موجة شعر التفعيلة، كما فعل الكثير من مجايليه، أو قفز لكتابة الشعر الحر، الذي كان يستهوي المتمردين على سلطة القوالب وسياط التفعيلات حينها، بل «تمرد على قوالب الشعر المتوارثة، وانتقل إلى أساليب فنية غير مطروقة» كما وصف في منطوق جائزة العويس التي مُنحها عام 1993م.

كان مجدداً، طوع كل العناصر الأدبية والفنية وثقافته ومعارفه في قصائده، واستفاد من الحكايا الشعبية والتراث والميثولوجيا، كان بارعاً في خلق الصور واستنطاقها، وزراعة التساؤلات في بنية النص، يدهش المتلقين، ويعجز النقاد، كما كانت قصائده صوتاً للقيم الإنسانية، وسوطاً على اعدائها.

لم يُكتب عن شاعر أو كاتب أو أديب يمني في حياته أو بعد موته كما كُتِب عنه، لقد شَغل وشُغِل به الناس حياً وميتاً،

كيف لا وهو الأعمى الذي جعل أعينهم شاخصة له، وتحول رغم فقدانه البصر إلى عين لليمنيين.

اختار البردوني أن يكون لسان شعبه، ومعبراً عن همومهم، وكانت مواقفه لا رمادية، ولا تكترث بنتائج ردات فعل الأنظمة عليه، لذا عانى كثيراً من الاضطهاد السياسي، وأدخل السجن مرات عديدة بسبب ذلك، وشهد عام 1948م أول دخول للبردوني السجن، لعدة أشهر، بسبب تأييده للثورة الدستورية بعد الاطاحة بها وإعدام قادتها.

عرف عنه صراحته وسخريته وتساؤلاته التي تعري الواقع، وتفضح حقيقة الأنظمة التي عاصرها، وكان لديه قدرات خاصة تستطيع استنطاق الواقع، وقراءة الأفق، ومن هذه القدرات التي وظفها جيداً في شعره، وصاغ منهما تنبؤاته للمستقبل، وكأنه عاش فيه، وسافر منه عبر الزمن إلينا، ليحدثنا عنه، وكلما تجسد صدق تنبؤاته ازداد إيمان الناس به، حتى أصبح عراباً لحاضرهم وعرافاً لمستقبلهم.

من المعلامة إلى العلم:

في قرية صغيرة تسمى البردون، شرق مدينة ذمار، عام 1929م، ولد الشاعر عبدالله البردوني، من أسرة فلاحية فقيرة، والده هو عبد الله صالح حسن الشحف، ترك له وباء الجدري متعة البصر خمس سنوات فقط من مولده، قبل أن يعود في موسمه السنوي المعتاد، حينها، ويختطف منه نور بصره، ومع ذلك كان محظوظاً، كون ذلك الوباء لم يحصد روحه، مثل أرواح عشرات الآلاف من الضحايا الذين يحصد أرواحهم كل عام.

لم يسلم البردوني مصيره لعلب (المعلامات) – دورٌ صغيرة لتحفي القرآن -وسياط الفقيه كي يصبح مقرئاً، تماماً مثل معظم العميان في بلاده حينها، الذين لا يتجاوز سقف طموحهم مقعد الفقيه والإمساك بعصاه، لكنه تلقى أبجديات التعليم المتاح حينها في قريته، ثم انتقل إلى قرية أخرى، قبل أن ينتقل لمدينة ذمار في التاسعة من عمره، كي يكمل فيها تعليمه الأولي، وحفظه للقرآن تلاوة وتجويداً، والانتقال بعد ذلك إلى دار العلوم، التي كانت تعرف بالمدرسة الشمسية، ليتعلم فيها القراءات السبع، ثم انتقل إلى صنعاء، وجامعها الكبير، كي يتلقى من مشائخه وعلى يديهم العلوم والمعارف، وكانت تستهويه قراءة التاريخ والأدب .

قالت عنه لجنة جائزة العويس وهي تذكر سبب منحه الجائزة إنه "علامة في الشعر العمودي الحديث، حيث قدم القصيدة العربية بوجه جديد وبروح عصرية، وآلف بين الإيقاع العريق والتحديث اللغوي، فجمع بذلك بين مزايا العمودية ومكتسبات

الحداثة، فهو رمز لهذا النوع من الإنجاز الشعري المعاصر، كما أن إنتاجه الوفير في مجموعاته المتنوعة، في امتداده الزمني المتواصل إبداعاً وانتشاراً، وهذا يكسبه حضوراً جماهيريا عريضاً، إضافة إلى أنه فتح أبواباً في مجالات التذوق الشعري وتوسيع قاعدة الشعر والتفاعل معه، وهو بهذا أهل للجائزة، ويرمز لغاياتها وأهدافها» .

الوظائف والإسهامات:

- عمل كمعلم للقران للطلاب المتأخرين في الحفظ كي ينفق على نفسه، ويسد احتياجاته كطالب.
- نال الإجازة من دار العلوم، وبموجبها تم تعينه مدرساً للأدب العربي.
- عمل كمحامي (وكيل شريعة) من أجل تغطية مصاريفه، وبسبب أن معظم موكليه من النساء سمي حينها محامي الأرامل والمطلقات.
- رئيساً للجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج فيها حتى العام 1980م، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي (مجلة الفكر والآداب) الذي استمر حتى وفاته.
- عمل مشرفاً ثقافياً في مجلة الجيش من العام 1969 حتى 1975م
- كان له مقال أسبوعي في صحيفة 26 سبتمبر بعنوان (قضايا الفكر والأدب)، ومقال مماثل في صحيفة الثورة بعنوان (شؤون ثقافية)، والكثير من المقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية.
- أسهم في تأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وانتُخب رئيساً للاتحاد في دورته الأولى.

العملاق الذي تخلق في ألفية أبي تمام:

ذات يوم اسكت البردوني أصوات الكراسي التي كانت تستعد لوداع الجالسين عليها، وأقعد الواقفين، واعاد الخارجين إلى مقاعدهم، والمتواجدين خارج قاعة المهرجان إلى داخلها، وكلهم يحدقون إليه بدهشة، ويتساءلون من أين جاء هذا المارد الشعري، الذي ألقاء عصى قصيدته فتحولت أفعى عملاقة تقزمت أمامها أفاعي قصائدهم، وارتجفت خجلاً أمام عظمتها، منتزعاً منهم جائزة المهرجان دون منافس.

كان ذلك أثناء مشاركته في مهرجان الموصل، الذي تفوق فيه على كل كبار الشعراء العرب حينها، رغم أنه لم يكن مدعواً إليه، لولا تدخل إحدى موظفات وزارة الإعلام والثقافة العراقية، عندما وجدت أن كشف المدعوين للمهرجان يخلو من اسم شاعر يمني، فذهبت للمسؤول عن الدعوات، واقترحت عليه اسم الشاعر عبدالله البردوني،

الـذي أكـد مـن جهتـه قبولـه الدعـوة بعـد تواصلهـم معـه للمشـاركة في إحيـاء ذكـرى مـرور الـف سـنة عـلى وفـاة أبي تمـام.

ذهـب الـبردوني إلى المهرجـان غريبـاً لا يعرفـه أحـد مـن الشـعراء العـرب، خاصـة الكبـار منهـم، الذيـن كانـوا محـل اهتمـام الجمهـور والصحافـة ووسـائل الإعـلام المتاحـة حينهـا، وهـذا مـا جعـل اسـم شـاعرنا يـأتي متأخـراً ولـم يكـن بعـده إلا الجواهـري الـذي أعتـذر بعـد تسـجيل حضـوره عـلى المنصـة عـن دوره بعـد أن سـمع قصيـدة الـبردوني المعنونـة (أبـو تمـام وعروبـة اليـوم).

أول رئيس وحد الشطرين، وأول رمز موحد لليمنيين:

اختـير الـبردوني كأول رئيـس جامـع لليمنيـين، كان ذلـك في التهيئـة لتوحيـد أول كيان مؤسـسي يضـم أدبـاء وكتـاب الشـطرين عـام 1970م، وإشـهاره رسـمياً بمسـمى «اتحـاد الأدبـاء والكتـاب اليمنيـين» عـام 1971م، وافتتـح أول مقـر لـه في عـدن عـام 1972م بحضـور نخبـة مـن أهـم الأدبـاء والكتـاب اليمنيـين، وفي مقدمتهـم الـبردوني وعمـر الجـاوي وأحمـد قاسـم دمـاج.

كمـا أعـاد توحيـد شـطري اليمـن للمـرة الثانيـة عـام 1982م عندمـا اتفقـا أن يكـون رمـزاً وطنيـاً لهمـا، وأصـدر كل شـطر عملـة تذكاريـة تحمـل صـورة الـبردوني، جـاء ذلـك بعـد إعـلان حصولـه عـلى جائـزة الأمـم المتحـدة (اليونسـكو) والـتي أصـدرَت عملـةً فضيـةً عليهـا صورتُـه، وجعلـه رمـزاً إنسـانياً لتجـاوز لقهـر وتجـاوز الإعاقـة.

وفاته:

قُبيـل ظهـيرة 30 اغسـطس 1999م توقـف قلـب الـبردوني عـن الخفقـان، لكنـه كان قبلهـا قـد صنـع لنفسـه حيـاة أبديـة لـن يسـتطيع المـوت توقيـف خفقـان حـب النـاس لـه، وإيمانهـم بـه ليـس فقـط مشـاعر، ولكـن أيضـاً كـرائي أبـصر ببصيرتـه مالـم تشـاهده

أبصارهـم، ومتنـبي لـم تكـذب تنبؤاتـه، أو تخالـف سـياق سـيرورتها الـتي صدرهـا لهـم في دواويـن شـعره ومؤلفاتـه.

الجوائز التي حصل عليها:

نال البردوني العديد من الجوائز، منها:

- جائزة أبي تمام في الموصل 1971م.
- جائزة أحمد شوقي 1981م.
- جائزة اليونيسكو من الأمم المتحدة 1982م.
- جائزة مهرجان جرش 1984م.
- جائزة العويس 1993م.

أهم مؤلفاته:

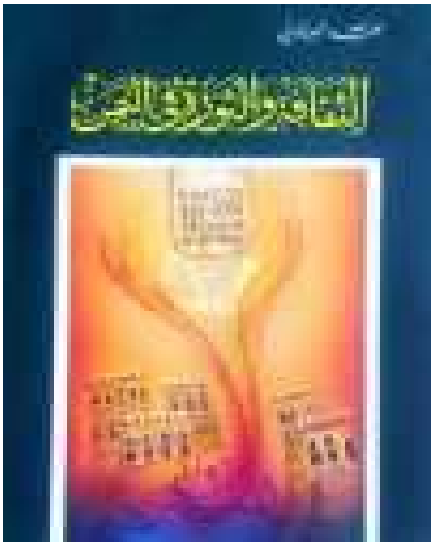

شعر:

- من أرض بلقيس
- في طريق الفجر
- مدينة الغد
- لعيني أم بلقيس
- السفر إلى الأيام الخضراء
- وجوه دخانية في مرايا الليل
- زمان بلا نوعية
- ترجمة رملية.. لأعراس الغبار
- كائنات الشوق الآخر
- رواغ المصابيح
- جواب العصور
- رجعة الحكيم بن زائد.

دراسات:

1ـ رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار العودة، بيروت، 1982م.

2ـ قضايا يمنية، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.

3ـ فنون الأدب الشعبي في اليمن، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.

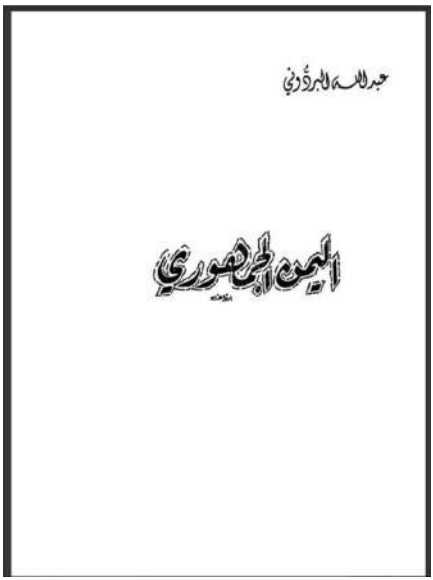

4ـ اليمن الجمهوري، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1983م.
5ـ الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988م.
6ـ الثقافة والثورة في اليمن، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1991م.
7ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة «دراسة في شعر الزبيري وحياته» دار الحداثة، بيروت، 1993م.
8ـ أشتات، 1995م.

أعماله المترجمة:

1ـ عشرون قصيدة مختارة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية في جامعة انديانا في أمريكا.
2ـ ديوان مدينة الغد، مترجم إلى اللغة الفرنسية.
3ـ الثقافة الشعبية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
4ـ كتاب اليمن الجمهوري، مترجم إلى اللغة الفرنسية.
5ـ كتاب «الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج» هو محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج العربي، مترجم إلى اللغة الفرنسية.

كتابات عن البردوني (1)
الصورةُ اللمسية في شعر البردوني

د. عبده منصور المحمودي
أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد،
جامعة عدن

من فضاءات التصوير الفني، التي استقامت عليها شاعريةُ عبد الله البردوني، فضاءاتُ الصورةِ اللمسية Haptic Image المنتميةِ إلى تقنيات التصوير الحسي، وهي صورة تقوم على استشعار حاسة اللمس: كالخشونة، والنعومة، والثقل، والصلابة، والليونة، والحرارة، والبرودة، والجرح، وغير ذلك مما له علاقة باللمس[1]. والشاعر يستثمر القرائن اللمسية، بما يتيح له الانتقال بالمفاهيم والأفكار المجردة من دائرتها الذهنية، إلى دائرة المحسوس؛ ليخلق لها إحالاتٍ جديدة، يستمدها من انصهار دلالاتها بدلالات المعطيات الحسية[2]. ومما استثمر فيه الشاعر عبد الله البردوني هذه التقنية التصويرية، قوله[3]:

آه يا أمي وأشواكُ الأسى *** تلهبُ الأوجاعَ في قلبي المذابِ
كم تذَكَّرْتُ يديكِ وهما *** في يدي، أو في طعامي وشرابي
كان يضنيكِ نحولي، وإذا *** مسّني البردُ فزنداكِ ثيابي
وإذا أبكانيَ الجوعُ ولم *** تملكي شيئًا سوى الوعدِ الكّذابِ
هدْهَدتْ كفّاكِ رأسي مثلما *** هدْهدَ الفجرُ رياحينَ الروابي

لقد ضمّنَ الشاعر أبياته ـ هذه ـ سلسلةً من الصور اللمسية، التي نسجتها الذكرى وتداعياتها، حيث تمحورت فيها الرؤية الشعرية ـ بشكلٍ واضحٍ ـ من خلال اثنتين من صور هذه السلسلة، الأولى: (كم تذكرتُ يديكِ وهما.. في يدي...)، والثانية (هَدْهَدَتْ كَفَّاكِ رأسي)؛ إذ جسدت هاتان الصورتان رؤية الشاعر في تداعيات الإحساس المتولد من ملامسة يدي الأم طفلها، وهي تداعياتٌ تتشكّل مما تحدثهُ هذه الملامسة في وجدان الطفل من إحساسٍ بالأمانِ المتناغمِ مع إحساسٍ بمشاركةِ الأُم طفلَها مشاركةً وجدانية في الإحساس بالملامسة المشحونة بحنان الأمومة ودفء العطف المنساب من راحتيها.

وفي هذا التصوير اللمسي التماسي ـ المتكئ على توارد الذكرى المتشكلة منه ـ يكمن الإيحاءُ بإحساس الشاعر الحزين المتمثِّل في ألم فقدانه لأمه، وبما تركه

هـذا الفقـدان في حياتـه مـن فـراغٍ روحـي امتـلأ بالمعانـاة والألـم.

وقـد توالـت المكونـات السـياقية المتشـابكة والمترابطـة في هـذا التصويـر اللمـسي؛ حيـث تبلـور هـذا التـوالي، في نسـقين مـن الامتـداد التصويـري لملامسـة كفـي الأم طفلهـا حاضنـةً لـه ومهدهـدةً رأسَـه، وهـو امتـدادٌ متحوصـل في محوريـة التصويـر لإحسـاس التمـاس، الـذي تشـكلت بـه الصـورة الثانيـة (هَدْهَـدَتْ كَفّـاكِ)؛ فقـد مثلـت أبعـاد هـذا الإحسـاس مـلاذًا يقـاوم المعانـاة الطافحـة ـ الـتي يتعـذب بهـا الولـد (الـبرد/ الجـوع) ـ بحنـان الأم الـدافئ المسـتفيض مـن كفهـا؛ لأن «هيمنـة حاسـة اللمـس الـتي تسـتجلب تفاصيـل الكـف وحركتها الحميمـة الـتي تطفئ جـذوة الجوع تـارةً وجـذوة الـبرد أخـرى، قـد أضـاءت طوفـان الفقـد، الـذي اجتـاح الـذات المُرَمَّدة بسـعيرِ حـدثِ الفقـد فلفعهـا بإحساسـاتٍ محايثـةٍ لإحساسـات الطفولـة إزاء فتـك الـبرد وضراوة الجـوع...»[4].

وفي مجمـل هـذا التصويـر، كان الإحسـاس بالملامسـة ذا صفـةٍ سـياجيةٍ؛ كونـه معنيًّـا بالتذكـر، الـذي مثّـل تجليـاتِ امتـدادٍ للـذات الشـاعرة حـدَّ الاتصـال بـذاك الإحسـاس مضمـون الذكـرى، والاتحـاد بـه دون أن يُفْـرَغ مـن ماهيتـه وخصائصـه. وكان التصوير اللمـسي وسـيلة الشـاعر في التعبـير عـن هـذه الذكـرى؛ لمـا في هـذه الحاسـة مـن بلـورةٍ ليقينيـةِ الوجـود الحقيقـي لِمُحْدِثِ الملامسـة والتمـاس، في الزمـن الـذي تداعـت منـه هـذه الذكـرى، لتشـعلَ في الحـاضر (زمـن التذكـر) أحـزانَ فقدانـه والتحسـر عـلى غيابـه. فضـلًا عمـا يمنحـه العمـى مـن كثافـةِ حضـورٍ للإحسـاس اللمـسي لـدى الضريـر؛ إذ يـدرك بـه الوجـود المـادي للمحسـوس؛ لتعـذر إدراكـه بالرؤيـة البصريـة الـتي حُـرم منهـا.

كمـا يبـدو الإحسـاس بالملامسـة في هـذا التصويـر، مشـحونًا بنِسَـبٍ دلاليـة لمسـية تجسـدها صـور المعانـاة: (الإحسـاس بلهـب الأوجـاع/ الإحسـاس بالـبرد/ والإحسـاس بـآلام الجـوع)، وفي ذلـك، انسـجامٌ فـني بـين تفاصيـل النسـق التصويـري القائـم على مركزيـة فنيـة لمسـية. وهـو مـا نجـده مـن انسـجامٍ فـني بـين مكونـات هـذه الصـورة، للشـاعر وهـو يخاطـب الليـل[5]:

أسْـحَرْتَ في منكـبي سـهلٌ يسـاكنني *** عظمـي، أتصغـي إلى أسـمار جـدّاتي

رفقًـا بلمـس حصـاه إنهـا حُـرَقٍ *** وتلـكَ أعشـابُهُ الكحـلى بُنيـاتي

فهنـا تعالـقَ إحساسـان لمسـيان، كان التِمـاسُ الشـاعر مـن الليل الترفقَ ـ بملامسـته وتماسـه مـع حـصى سـهلٍ متوغـلٍ في عظامه ـ هـو العتبـة الأولى للتعالـق التصويـري الـذي تكامـل في المنحـى التعليـلي لهـذا الالتمـاس؛ إذ لـم تكـن تلـك الحـصى سـوى الإحسـاس بسـخونة الاحـتراق المتكاثـف مـن عاطفـة الشـاعر ولوعتـه.

لقـد كان لحرمـان الشـاعر مـن نعمـة البـصر دورٌ في حضـور هـذه التقنيـة

التصويرية، القائمة على إحساس الملامسة في شعره، وهو حضور متعدد السياقات، لكن السياقات المرمدة بالألم والحزن والمعاناة هي السياقات المشحونة بطاقةٍ هائلةٍ من الوجدان المتعايش، مع المتغيرات الحياتية، الفاعلة في تمزيق عاطفته، التي كان احتراقها بفقدان الأم واحدًا من التجليات التصويرية المستأنسة بقرائن الملامسة، ومثل ذلك كان استئناس الشاعر بهذه القرائن في تصويره تداعيات ليله الحزين.

الهوامش:

[1] ينظر: نصرت عبد الرحمن، «في النقد الحديث»، مكتبة الأقصى، عمان، 1979م، ص67.

[2] وجدان الصائغ، «الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص144.

[3] عبد الله البردوني، «الأعمال الشعرية»، إصدارات الهيئة العامة للكتاب، ط1، صنعاء، 1423هـ ـ 2002م، جـ1/ ص109/110.

[4] وجدان الصائغ، «وردة الجمر تشكيلات الحزن في القصيدة المعاصرة»، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1427هـ ـــ 2006م، ص43.

[5] عبد الله البردوني، «الأعمال الشعرية»، المصدر السابق، جـ2/ ص 1513.

دورة الزمن البردوني وقراءة المستقبل

عبدالرقيب الوصابي

البردوني شاعر مستقبلي من كل الوجوه، لا لأنه غير مفهوم عند معاصريه ولكن لأنه استبطن فترة من العصر امتدت من سابقتها وارتبطت بلواحقها إلى الآن؛ فعصر شعره كل العصر بل هو كل العصور، لأن زمن المبدع لا يتحدد بعمره، وإنما بمسافات رؤيته وبعد سبره للتجربة البشرية وصورتها في الزمان والمكان وانعكاسها على حدس الشعر وحساسية الشاعر.

يقول الشاعر/ البردوني في قصيدة «وحدة الشاعر»:

كيف أنسى الأمس واليوم ابنه
والغد الآتي وليد الحاضر

ويقول كذلك من قصيدته «زوجة البلد»:

تمحص الأمس كي ترى
من ربى اليوم بعد غد

والبردوني شاعر يتقن الإمساك بلعبة الزمن ومن خلال إلمامه بالأزمنة الثلاث نراه يبدع أفضل الجديد ويطور خير القديم وعبر تجوابه العصور يجسد المأساة ويهتك أقنعة الطغيان ويحلم نيابة عن الكادحين والمعدمين بيوم الخلاص وهو ما يجعل يوم القصيدة _ عنده_ لاحق بأمسه، وكذلك حال المستقبل ينتمي بجلاء إلى مستقبلياته فيستبصر الشاعر ما هو أبعد.

يقول الشاعر من قصيدة «السفر إلى الأيام الخضر»:

يرحل النبع للرفيف ويفنى
وهو يوصي تسنبلي يا رفاتي
سوف تأتي أيامنا الخضر لكن
كي ترانا نجيئها قبل تأتي

وهنا أكاد أجزم أن الشاعر/ عبدالله البردوني ينطلق من حقيقة معينة في» تفهم الزمن « تقول إنه إذا كان الماضي مشتركا بين كل الناس فإن المستقبل- لا محالة - مشترك بينهم كذلك؛ لأنه جاء من الماضي المشترك الجمعي، وإذا كان تاريخ الماضي ميسورا بفضل المدونات والمرويات، فإن تاريخ المستقبل غير عسير بفضل رصد أحداث الحاضر المتطور عن الأمس أو المعاكس لتغيرات الأمس التي ستمتد عكسيا أو طرديا إلى المستقبل، إذ يستدعي كل عصر من الحاجات ما لا

يستدعي سابقه، وكل ما تحن له الحاجة يحدده التطور وهكذا تتحرك الأزمان جراء تحرك التطورات الإنسانية فيها أو للصنع الزمني في ذلك التحرك.

فالماضي باق ببقاء صيغته؛ فهو زمن التكون والانصهار والانطباعات الأولى بالتجارب والأحداث وسلطته دائمة التسلط، حتى وقت التفكير بالخروج عليها فإن ذلك يكون منا بسبب حضورها وحتى كراهيتها فإنها بسبب محبتها أو بسبب الحب العكسي لها يقول الشاعر في قصيدة « قراءة في كف النهر الزمني»:

هل يبنيني إدراكي
أني من أصلي مهدوم
هل يشفي من أزماني
ترديدي أني مأزوم
....
ما لا يجري مفهوم
الجاري غير المفهوم

فجوهر الماضي سبب في حماية نفسه وسبب تجاوزه في الآن ذاته يقول الشاعر من قصيدة «السلطان والثائر الشهيد»:

السطح إلى الماضي ينمو
وإلى الآتي ينمو الأعمق
من ظلمته يأتي أبهى
كي يبتكر الأبهى الأعرق

ولعل الاشتراك الجمعي في الماضي والاحتماء به هو سبب تغذية صراع الحاضر بقصد تكريس الماضي يقول الشاعر البردوني في قصيدته «عام بلا رقم»:

كل مجرى فصوله
حدث يقتفي حدث
زمن القحط إن سخا
عزز الغث بالأغث

وبمقايسات الشاعر ورد الأشباه على نظائرها نجد أن الأزمة الوجودية تكمن في العصر الحاضر، حاضر بلا رقم قرب الأبعاد المكانية إلى حد التماس، والتماس إلى حد الخوف. والمخاوف عصر رديء وبلا نوعية وزمان عدمي لا تتضح فيه الفوارق بين الأشياء، عصر تتساوى فيه قيم السلب والإيجاب يقول البردوني في قصيدته «عراف المغارتين»:

في الزمان الخلو من معناه، لا
يبغض البغض، ولا الحب يحب
لا تسلي عادة التلفاز، لا
يسكر السكر ولا الطب يطب

وإذا كان الماضي يكون بتشديد الواو وكسرها الفرق ويعبئها بتجارب المقاومة والدفاع، والحرب المضمرة فحينئذ يكون الحاضر وبلا أدنى شك ميدانا للصراع والتصارع والاقتتال خاصة إذا اختزل الزمن الحاضر العصور كلها في زمن ثقافة واحدة وثقافة زمن واحد طويل المسافات متعدد العصور يقول البردوني:

ما لا يجري مفهوم
الجاري غير المفهوم

ولعل الإيحاء هنا واضح فما لا يجري هو الماضي المعروف بثباته وثوابته

وركوده وهو مفهوم ومقدور عليه، غير أن المأساة تكمن في عدم فهم وإدراك الزمن الجاري والمرواغ وهو الحاضر وما يتسم به من رداءة توجب العدوات والاقتتال يقول الشاعر في قصيدة «رواغ المصابيح»:

إن كان من زوروا أنيابهم قبلا
يعطون حبا فما هن العدوات
قالوا لكل زمان آية، صدقوا
هذي الشظايا لهذا العصر آيات

وعند هذا التحول يبدو الحاضر المعيار الأكيد لترجيح النزعات المشتركة بين كل الناس فإما النمو السطحي باتجاه الماضي أو النمو الأعمق باتجاه المستقبل وهموم الغد وهو ما يجسده البردوني في قصيدة «السلطان والثائر الشهيد» قائلا:

السطح إلى الماضي ينمو
وإلى الآتي ينمو الأعمق
من ظلمته يأتي أبهى
كي يبتكر الأبهى الأعرق

لكن المأساة_ حتما_ تتصاعد وتنمو بفداحة نحو الاستلاب الكلي حين تغيب سيادية قرار الحاضر لتطفو سلبية اللحظة الراهنة وهذا التحول الزمني يفضي إلى القتل والقصف والطغيان والامتهان يقول البردوني:

كان عصر الطغاة يعطي ويردي
جاء عصر الغزاة يردي ويسلب

ويقول كذلك من قصيدة «توابيت الهزيع الأخير»:

لماذا الأنام اثنان في كل بقعة
على الأرض مبطوش به ثم باطش
لأن الزمان اثنان: حرب وهدنة
وسر الوفاق اثنان ماح وراقش
حتى يقول:
ويا زاحمين الأرض والجو والقوى
أما للقلوب الآدميات هامش

إن إعمال الفكر ورصد حركة الأحداث بما يتساوق مع الوقوف على الأسباب وسبر أغوار التفاصيل ومقايسة أحداث الحاضر بمثيلاتها ونظائرها في كلتا الحالتين طرديا وعكسيا سيقود الشاعر إلى قراءة المستقبل والتنبؤ بما هو أبعد كمجيء علوج الروم وغاياتهم في سلب الأوطان يقول البردوني في قصيدة «أبو تمام.. وعروبة اليوم» يقول:

واليوم جاءت علوج الروم فاتحة
وموطن العرب المسلوب والسلب

واستبصار كل الماورائيات كنتائج يهتدي إليها من يبتكر طرائق للربط الجيد بين الماضي والحاضر إيذانا بقراءة لا تخطئ للمستقبل لكن اليوم/ الحاضر لن يطول على حاله هذا فهو ساعات معدودة تفضي إلى غيرها وهذا التحول في الزمان هو طريق المستقبل إلى»الأيام الخضر- مدينة الغد» والطريق إلى الغاية جزء منها يقول الشاعر االبردوني:

اليوم يصبح أمسا بعد أمسية
ما أسأم العمر لو لم تحدث الغير
قبل العصافير يخضل الربيع لمن
أتى، لمن سوف يأتي يطلع الثمر

وهمـوم الغـد مرهونـة بـإرادة الجميـع وهمـوم المسـتقبل مشـتركة في كل العصـور وكل الطبقـات وبمقدورهـم صياغـة مغايـرة للمسـتقبل وفصـول تاريخـه الـذي يشـترك في كتابتـه اليـوم والغـد والبـشر مـتى هـم أردوا ذلـك يقـول الـبردوني مـن قصيـدة « بيـت... في آخـر الليـل» يقـول:

من خارج التقويم جاء الذي
ما شم رياه خيال الخيال

وتجـاوز ذلـك وأزيـد لا سـيما عنـد قـدرة الوصـول إلى ذروة اعتصـار العصـور والسـفر الدائـم منهـا وإليهـا وسـبر العوالـم الـلا مرئيـة وقـراءة المسـتقبل عـبر الخيـال والدهشـة الشـعرية:

فلا الأمس قبل اليوم، لا اليوم بعده
ولكن جرت بالتسميات العوائد

ربمـا لا يعـادل نـزوع شـاعرنا/ الـبردوني أي نـزوع آخـر لمحاولـة اكتشـاف المسـتقبل واخـتزال الزمـن للإفـادة مـن فرصـه الخـضراء والابتعـاد عـن تكـرار أعتـوارات المـاضي والحـاضر.

وما أشبه الليلة بالبارحة.

بداياتي مع البردوني ... انطباعات قارئ

د/عبدالعزيز علوان

اللقاء الأول:

لعيني أم بلقيس

أول كتاب اشتريته وظللت أخفيه وأتخفى في قراءته مع غيره من الكتب التي كنت أجدها، وقد كان سبب هذا التخفي قي القراءة يعود لاعتقادي ان تلك الكتب خاصة بالكبار فقط وأنا لم أتعد الصف الخامس الابتدائي في مدرسة الشرقية في الشيخ عثمان.

لم أدرك حينئذ معنى الشعر وكنت اعتبره محفوظات كتلك المقررة علينا في المدرسة، أمَّا كيف اشتريت الديوان ومن أين فتلك هي الحكاية.

المكان: أحد الأرصفة التي يستند عليها (الشوكي) قسم شرطة الشيخ عثمان (عدن)

الزمان: بعيد العصر في يوم وشهر لا أتذكرهما جيدا، أمَّا العام فهو 1974م.

ليلة شرائي الكتاب:

بدأت قراءة الكتاب بخوف من أن اكتشف باني أقراء كتابا خاصا بالكبار وفرحا بأني امتلكت كتابا إلى جانب ما كنت أشتريه من مصروفاتي المدرسية وأفاخر بشرائها من المجلات القديمة لمجلة (سمير) ومجلة (ميكي ماوس) الخاصة بالصغار من سن 6 سنوات الى سن 66 سنة كما كان يكتب في غلافها.

قرأت الكتاب الذي تعرفت بعدئذ على اسمه بانه ديوان شعر ولم تكن القراءة صحيحة ولكن استمتاعي بالكلمات كان أكبر من كل ذلك.

*لعيني ام بلقيس كنت إقراءها مفردة دون تشديد للياء واعتبرها عينا واحدة، أمَّا أم بلقيس فلم تكن دلالتها حينئذ تهمني فأنا أعرف إنها أُم إحدى الفتيات في الشارع الذي أسكنه وأن تعدَّت هذه الدلالة فهي تدل على علاقة ما بمدرسة بلقيس للبنات التي كنت أمرُّ بها ذهابا وإيابا من وإلى المدرسة.

استمرت هذه القراءة الى جانب قراءات أخرى للشابي، وكنت أحظى ببعض التشجيع من القائمين بفعاليات الانشطة الثقافية للجان الشعبية في الحي لإلقاء بعض ما أحفظ من الشعر بغض النظر عن جودة الأداء أو اختيار القصائد.

في 25/7/1975 عدت من عدن الى

القريـة، مصطحبـا ديـوان الـبردوني (العيـني أُم بلقيـس)، ومـن حينهـا بـدأت القـراءة بصـوت عـال وبـدأت أيضـا أفاخـر بـشراء أي كتـاب تتوفـر قيمتـه لـدي.

القراءة الأولى:

كنـت أبحـث فيهـا عـن المفـردات المألوفـة لـدي مثـل المفـردات القرويـة والأسـماء الـتي أعرفهـا لبعـض الأشـخاص والأماكـن وأسـماء بعـض الحيوانـات دون التفقـه في دلالتهـا.

فمثلا كنت حين أقراء

مواطن بلا وطن لأنه من اليمن
تباع أرض شعبه وتشترى بلا ثمن
يبكي إذا سألته من أين أنت؟.. أنت من؟
لإنه من لا هنا أو من مزائد العلن

أتخيـل الضيـاع الـذي يعيـش هـذا المواطـن لأنـه مـن اليمـن فحسـب، كمـا كنـت أتخيـل عمليـة البيـع والـشراء كتلـك الـتي تحـدث في السـوق. أمَّـا عندمـا أصـل الى قولـه:

يا إخواني أصلي من صنعاء أمي: (دبعية)
صنعاوي، حجري! ما صنعاء، ما الحجرية؟
وكذا
عربي لا تعرفني... حتى الدور العربية
وأبي -قالوا- يمني أمي -قالوا- يمنية

كانـت هـذه الكلمـات تجـد صداهـا كمسـميات تـتردد في مسـمعي باسـتمرار فأنـا مـن الحجريـة، وصنعـاء كنـت أدرك إنهـا جزء مـن اليمـن، وأنـا عـربي بعـد أن انطبعـت في ذاكـرتي تلـك المسـيرات الـتي خرجـت عنـد وفـاة جمـال عبـد النـاصر والتفاعـل المؤثـر الـذي كنـت أشـاهده أيـام حـرب أكتوبـر. لكنـي كنـت أسـأل نفـسي طالمـا وأنـا عـربي فلمـاذا لا تعرفـني هـذه الـدور العربيـة الـتي كنـت أتخيلهـا عـلى شـكل عمـارات.

أمَّـا فيمـا يتعلـق بالسـؤال مـا صنعـاء مـا الحجريـة فمـا زلـت أبحـث عـن إجابـة لـه حـتى الآن.

دكتورة الأطفال:

وأنا الطفل الذي لم يذهب الى دكتورة
قط، كانت هذه الأبيات
دكتورة الأطفال إني هنا من يوم ميلادي
بلا مرضعة
عندي عصافير الهوى تجتدي حنان
هذي الكرمة الطيعة

تأخـذني مـن أقـرب البـكاء وحـتى البعيـد مـن الأسى، دون أن أدري لمـاذا؟

في نصيحـة الـبردوني السـيئة كان اسـم الحاكـم لا يتعـدى حاكـم المحكمـة فقـط.

أبو تمام وعروبة اليوم:

كانـت أكـثر محفوظـاتي وتفاخـري في حفظهـا، وكانـت صنعـاء وعاشـقاها السـل والجـرب تبعـث في نفـسي شيء مـن الزعـل فكيـف لصنعـاء المليحـة أن تحـب مثـل هـؤلاء.

علاقة الشاعر بقصائده:

سُـئلت ذات مـرة، ماهـي أحـب قصائـدك؟ أجبـت لـكل قصيـدة مـن قصائـدي علاقـة مـا مـع قارئهـا قـد تكـون حميمـة أو عدائيـة أو بـين بـين، إذن فهـن كالأبنـاء في علاقاتهـم بالآخـر.

وأكاد هنا أجزم بأن لكل القصائد ولأي كان من الشعراء علاقاتها الخاصة، ولعل بعضا من قصائد البردوني لها علاقاتها المميزة والمشتركة بين أكثر فئات الشعب اليمني والوطن العربي ولعل أبرز مثال لذلك قصيدة (ابو تمام وعروبته اليوم).

ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل:

ثاني ديوان اشتريه كنت حينها في المرحلة الإعدادية بالفجر الجديد (بالتربة) حيث أصبحت مدركا لمعاني بعض الكلمات التي كانت تمنحني تذوقا خاصا للشعر، وكانت قصائد هذا الديوان لها وقع خاص، ولاسيما بعض القصائد التي كنت أجدها سهلة الايقاع (لم أكن حينها أدرك مدى السخرية فيها) مثل:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة
وأنا أمشي، كباعات الصحافة
وأنادي: يا ممرات إلى أين تنجر طوابير السخافة؟
يا براميل القمامات، إلى أين تمضين؟ إلى دور الثقافة
كل برميل إلى الدور؟ نعم وإلى المقهى؟ جواسيس الخلافة
وكذا
يا أحزاني .. يا جميع الطيبين هذه الإخبار ... من دار اليقين
قرروا الليلة ... أن يتجروا بالعشايا الصفر ... بالصبح الحزين
فافتحوا أبوابكم، واختزنوا من شعاع الشمس، ما يكفي سنين
وقعوا مشروع تقنين الهوى بالبطاقات، لكل العاشقين
قرروا بيع الأمَّاني والرؤى في القناني، رفعوا سعر الحنين
فتحوا بنكين للنوم، بنوا مصنعاً، يطبخ جوع الكادحين
إنكم أجدر بالسهد الذي يعد الفجر بوصل الثائرين!

ولم اكتفِ بالقراءة تلك بل عملت على تسجيلها صوتيا على أشرطة التسجيل، مع برنامج قضايا الفكر والأدب الذي كنت أتابعه باستمرار كل أربعاء العاشرة مساء من إذاعة صنعاء.

وتأتي (قصيدة مأساة حارس الملك)، لتجسد في مخيلتي رؤية الجبال صبر، نقم، يسلح، عيبان، والمناطق موسنة، بعدان ومقبنة، يتعرضون للاعتداء وهم يؤدون أعمالهم اليومية:

(صبر) وغد، أنا رقيته كان خبازاً، أحله معجنة
(نقم) كان حصانا لابي اطحنوه علفاً للأحصنة
اقتلوا (يسلح) ألفي مرةٍ إسحبوا (عيبان) حتى (موسنة)
أقلعوا (بعدان) من أعرقه انقلوا نصف (بكيل) مقبنة

ومن بعدها أدركت دلالة الأمكنة كبعد للرمز النضالي الذي تميزت به كل منطقة على حدة، أو شاركت مناطق أخرى في خضم هذا النضال.

أمَّا مأساة الحارس المزمنة فهي هي وأن اختلفت في أدواتها، فكما انتقلت من أكف أبي جهل إلى الأكف المؤمنة، ها هي قد خرجت من عروش الاستبداد لتهدم بنيانه، وربما لتبني بنيانا آخر.

حكاية طالب:

كادت هذه القصيدة أن تذهب بي أبعد من سكن الطلاب الجامعي لجامعة صنعاء. فقد كنت وزميل لي نخفي بعض الكتب والأشرطة التسجيلية لبعض الشعراء والفنانين، حتى لا تتفتح الأعين المزروعة على مسار توجهنا، وذات ليلة قدم إلينا أحدهم، وما أن رأى ديوان (كائنات الشوق الآخر) حتى وجَّه الينا سؤال ماكر هل تقرأون للبردوني، وفتح الديوان على قصيد (حكاية طالب) وما إن رأيت العنوان حتى قلت له إنه المعني بهذا الطالب، ظانا مني إنه لن يقرأ القصيدة، ولكنه قراءها بصوت مسموع:

مصروفه في كل يومٍ وفير أبوه أمَّا سارق أو أمير

أو عنده أمك (مرجانة) في بيتها كل مساءٍ وزير

عليه من تغنيجها مسحة ومن هدايا زائريها عبير

وعندما أكمل المقطع استشاط غيضا وكاد يخرج من الغرفة بهذه الحالة، ولكنني هدأت من غضبه معتذرا بأنني لم أقصد ما ذهب اليه خياله وانتهت قصة الزيارات المفاجئة.

يوميات مرقس اليماني:

وهي واحدة من الروائع التي كنا ننشدها جهرا لأن فيها

*وطناجي» كيف أمسى «اللورد ناجي»
وكان أرث من جوف الشوالة
إضافة إلى غيرها من القصائد
كفنقلة النار والغموض وكائنات الشوق الآخر، وغيرها

أمَّا عن اجتماع طارئ للحشرات؛ فكانت تسلياتنا اليومية

أعلنت سلطانة «القمل» اجتماعا رؤساء «البق» لبوها سراعا*

وإليها أقبل الأقطاب من مملكات «السل» مثنى ورباعا*

* * *

جاء شيخ الدود في حراسه زارداً بحراً، ومعتماً شراعا*

ملك «الذبان» وافى نافشاً تاجه كي يملأ الجو التماعا*

طار سلطان «البراغيت» على «نملةٍ» فازدادت الأرض اتساعا*

(الزنابير) توالت مثلما هد مرحاضين، مرحاض تداعى*

من أقوال البردوني:

في لقائه بالقاهرة على هامش مهرجان حافظ وشوقي بالأستاذ النعمان، تحدث النعمان عن علاقة الأدباء السعوديين بشعر البردوني بأنهم يحفظونه عن ظهر قلب، وأضاف بان قصيدة (سندباد يمني

في مقعد التحقيق) صارت لهم بمثابة دعاء القنوت، وهنا غير البردوني مجرى الحديث بقوله: اقسم بالله يا استاذ أنك لم تصلِّ الفجر قط في الحرم المكي، لأنهم لا يقنتون.

تلك هي إطلالة سريعة على بعض قصائد البردوني، ومع إن لكل قصيدة مذاقها، وتأثيرها الماضي وحيوية أثرها الحاضر وتأويلها المستقبلي أتوقف هنا، كبداية تتنفس أشواق الآتي.

ثمة لقاء شخصي مع البردوني في إحدى أمسياته الشعرية بجمعية المكفوفين منتصف التسعينيات.

رحلت مع البردوني في رحلته في الشعر اليمني قديمه وحديثه، قضايا يمنية، وكنت متابعا لمجلة الفكر والأدب التي يصدرها البردوني من إذاعة صنعاء، إضافة إلى الكتب الأخرى، ولهذه الكتب انطباعاتها الخاصة.

يتبع في العدد القادم.

(*) شاعر وكاتب.

(**) قاص وكاتب..

الشاعر محمد سعيد جرادة باحثا

أ.د. يحيى قاسم سهل
استاذ القانون العام في جامعتي
عدن وابين

يصف الأستاذ عبد الرحيم الأهدل - في تقديمه للجزء الأول من الأعمال الكاملة للشاعر محمد سعيد جرادة -، شعر الشاعر محمد سعيد جرادة بـ (الرسم الصادق للشعر الأصيل).

ويضيف الأهدل: (والشاعر محمد سعيد جرادة بحاثة طلعة عميق يمتح من الثقافة العربية)(1)

والجرادة هو الشاعر العالم، والعالم الشاعر، والجرادة هو الشاعر المؤرخ .. ونظرة عميقة في تراث الجرادة الشعري والنثري تثبت ذلك بصورة لا تقبل الجدل(2)

ولد الشاعر محمد سعيد جرادة عام 1927 في مدينة الشيخ عثمان، ودرس اللغة العربية على يد فضيلة الشيخ أحمد محمد العبادي، ثم شق طريقه في حياة الأدب والمعرفة بفضل مجهوده الشخصي في القراءة والاطلاع.

وبدأ نظم الشعر وهو في سن الثالثة عشر، واشتغل في سلك التدريس 25 عاما ثم موجها فنيا فمديرا للتوثيق التربوي ثم مستشارا ثقافيا في سفارة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بإثيوبيا الاشتراكية.

صدر للشاعر محمد سعيد جرادة

مشاعل الدرب، لليمن حبي، وجه صنعاء، وكتاب الثقافة والأدب في اليمن عبر العصور عن دار الفارابي في بيروت ولجنة نشر الكتاب اليمني – عدن كانون الأول 1977م.

وإضافة لما سبق نشر عدة دراسات نذكر منها الآتي:

- الأنصاري صاحب نفحة اليمن، الحكمة، 15 ديسمبر 1971.

- العيدروس عصره، حياته وشعره، الحكمة، العدد الثاني، 15 مايو 1971.

- وضاح اليمن لمحات سريعة عن حياته وشعره، الحكمة، العدد الحادي عشر، 15 مارس 1972.

- شاعر اليمن أبوبكر العندي، الحكمة، العدد 24، أغسطس 1973.

- نشوان الحميري، حياته مؤلفاته مواقفه من الائمة، الحكمة، العدد 26، يناير 1974.

- عرض وتحليل لمسرحية أرض الجنتين للشاعر اليمني محمد الشرفي، الحكمة، العدد 27، فبراير -مارس 1974.

وسنتناول بعض من هذه الدراسات:

1) العيدروس .. عصره .. حياته وشعره:

عاش أبوبكر العيدروس في منتصف القرن الثامن للهجرة وبداية القرن التاسع منها، وفي هذه الفترة بدأ نجم الدولة الطاهرية في اليمن، وقد قامت هذه الدولة على أنقاض دولة بني رسول التي عصفت بها رياح الخلاف والانشقاق بين أُمرائها ومن هنا بدأ الجرادة الحديث عن أبي بكر العيدروس صاحب عدن.

وبدأ ذكر أبي بكر العيدروس بخبر بسيط أشار إليه مقدم ديوانه وتلميذه عبداللطيف عبدالرحمن باوزير وفحواه أنه أصلح بين بعض القبائل المعادية لحكم ابن طاهر، وردهم الى طاعة الدولة، وكان ذلك في عام 880هـ تقريبا، ويلمع اسم العيدروس في زمن عامر بن عبدالوهاب، الذي نظم فيه مجموعة من قصائده في الشعر الفصيح والحميني، بل أن عامر بن عبدالوهاب، كان يستصحب العيدروس معه الى شمال اليمن، ففي رداع ألقى العيدروس بين يدي عامر بن عبدالوهاب حمينيته التي

يقول فيها:

أجريت يا عذب دمعتي
وأسهرت بالليل مقلتي
بالبعد الله بك يعيد
والشوق إليك مزعج شديد

واستقبل العيدروس عامر بن عبدالوهاب عند مقدمه الى عدن بقصيدة حمينية اقترحها ابن عبدالوهاب عليه اقتراحاً وطلب إليه فيها تشطير بيت لشاعر آخر ومطلع هذه الحمينية:

بروق الحمى ابرقي يابروق
عسى الله يسقى بك المجدبين

ويواصل الجرادة الحديث عن العيدروس مشيراً الى ثقافة أبي بكر العيدروس؛ فهي كما تظهر في شعره ونثره ثقافة فقيه متصوف من طراز عمر بن الفارض في مصر وعبدالرحيم البرعي في زبيد.

وقد أُحيط العيدروس في حياته بهالة من القداسة أسبغها عليه تلاميذه ومريدوه وشهد له بصفاء الروح وصدق الولاية كثير من معاصريه، وعلى رأسهم العلامة حسين صديق الأهدل الولي المعروف في عدن.

ثم ذكر الباحث إن للعيدروس شعراً فصيحا نظمه في مواضيع المديح، واختص بمديحه عامر بن عبدالوهاب وبعض رفاقه من الفقهاء في (تريم) وفي (زَبيد) وانتقل للإشارة الى شعره الحميني ورواية أحد تلاميذه أنه حتى وهو في الحج لم ينقطع عن السماع، وأنه استصحب معه المنشدين الذين كانوا يغنون بين يديه قصائد الموشحات والحمينيات.

وكثيرٌ من حمينيات العيدروس لا تزال تُغنَّى إلى اليوم وكثير من الناس يعجبون بهذه الأغاني دون أن يعرفوا أن قائلها هو أبوبكر العيدروس، ومن هذه القصائد حمينيته التي نظمها في موضوع الحكمة التي يغنيها الشيخ علي أبوبكر ومنها:

كل من ليس يمنع نفسه
كل جرح علاجه ممكن

عن طريق الهوى ذاق الهوان ما خلا يا فتى جرح اللسان

ومنها قصيدته التي يغنيها الماس:

ذانسيم القرب نسنس ترك ودجى الديجور عسعس زل يخطر لابس اطلس
قوس حاجبك المقوس
وشفا سقم المحبين
وغفت عين الشياطين
زركشة من خالص العين
قد رمى قلبي بسهمين

وذكر عدة حمينيات يغنيها له الماس والقعطبي التي يقول في مطلعها:

مطوق بات على الخمايل
ترك فؤادي العميد ذاهل
بحسنها جامع الفضائل

يسر صوته ويعلنه من لقاهم تهيم قلبي وتفتنه
والخال في الخد زَيَّنَة

ومن حمينياته التي يغنيها أحمد عبيد القعطبي:

يا نسيم السحر هل لك خبر
فارقوني ولم أقضِ وطر
عن عريب بوادي المنحنى
من لقاهم ولا نلت المنى

وختم حديثه عن العيدروس بقوله: (وأخيراً فإن هذه صورة متواضعة حاولت بها نفض الغبار عن شخصية يمنية لها دور في التاريخ السياسي والأدبي، شخصية عاشت في عصرها محاطة بمظاهر الأُبهة والجلال، وفي رفارف الحياة والزعامة، وهي اليوم لم تعد سوى قبة في مسجد، يظن علينا التاريخ بما لها من أخبار وآثار).

2) قراءة في كتاب القمندان (فصل الخطاب في إباحة العود والرباب): الإكليل، العدد الأول، شتاء 1992.

يرى الجرادة في قراءته لكتاب القمندان (فصل الخطاب في إباحة العود والرباب) إن القمندان كان على (خصومة قوية) مع حكام صنعاء ولا يترك مناسبة تمر دون أن يمسهم بالهجوم. وكان كتيب (فصل الخطاب) جزءاً من الحملات الموجهة للنظام الإمامي في شمال الوطن، ويواصل

الإشارة إلى أن حكام صنعاء سكتوا كعادتهم على صدور هذا الكتاب، ولم يوعز أي منهم إلى أحد الفقهاء ليرد على القمندان محرما فن الغناء. وتولى هذا الأمر كاتب من عدن نشر كتيبا مناقضا موقعا باسم الشيخ الهندي ... ويغلب على الظن إن الشيخ محمد علي باحميش هو مؤلف الكتيب لأنه كان يتصدى للرد على أي رأي أو فكر ديني لا يروقه، كما فعل ذلك مع فضيلة الشيخ أحمد العبادي حين رد على منظومة الشيخ العبادي (هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد) التي علق عليها تلميذ الشيخ العبادي الشيخ محمد بن سالم البيحاني، وكان الشيخ باحميش قد رد على تلك المنظومة بكتابه المعروف (درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني).

وذكر الباحث الجرادة مصادر كتيب القمندان قيد التناول وعرض للآراء المتشددة والآراء التي تُبيح للسماع، موضحا استئناس القمندان بآراء الجانب المبيح للغناء، مضيفا أن فن الغناء ابتدأ من عصور الإسلام الأولى وأنه فن مستمر إلى عصرنا هذا، ولم تصدر فتوى لا من الأزهر ولا من غيره من الجامعات الإسلامية في الوطن العربي تقضي بتحريمه.

وذكر الجرادة كما أسلفت الرد الكتابي على القمندان من الباحميش، كما أورد الرد على القمندان شعريا من قبل شاعر معاصر للقمندان هو الشاعر الكبير عبد المجيد الأصنج، كما أضاف الرد على القمندان غنائيا أي الشاعر الأصنج حيث ناقض

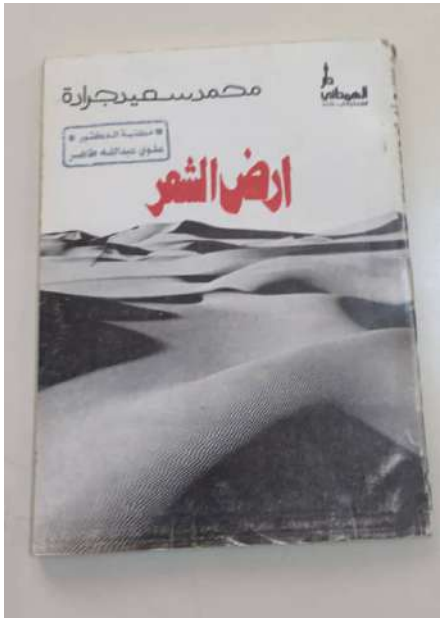

إحدى قصائد القمندان الغنائية المشهورة (حالي يا عنب رازقي) بتضمينه قصيدة على غرارها في نفس الوزن والقافية مطلعها:

لعينيك حبي نقي
يا ذا الصارم المبرقي

وقد عاصر كتيب القمندان بداية اشراقات النهضة الثقافية في اليمن بظهور مجلة الحكمة اليمانية في صنعاء، وفتاة الجزيرة في عدن.

وأشار الباحث إلى مُعاصري القمندان وكذلك علاقته بالشيخ العبادي الذي تولى إدارة المدرسة المحسنية، مبيِّنا العلاقة التي كانت تربطهما، وأخيرا ذكر معاناة الشيخ العبادي وآرائه التي استهدفت مهاجمة أصحاب الطرق وزيارة الأولياء ومحاربة الدجل والشعوذة، التي وصلت للضرب بالخنجر بعد فشل البندقية الصدئة.

وأختتم قراءته لفصل الخطاب بذكر المساجلات الشعرية بين القمندان والعبادي مشيرا إلى أن القمندان في شعره الفصيح ناظم حسن النظم أكثر منه شاعرا مجنح الخيال.

تلك كانت إطلالة سريعة على دراستي الجرادة عن حياة العيدروس وشعره وقراءته لكتاب القمندان (فصل الخطاب في إباحة العود والرباب).

3) كتاب (الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور):

أشار الجرادة في مقدمة هذا الكتاب إلى أهم الصعوبات التي يواجهها الباحث اليمني، المتمثلة (في العزلة التي فُرِضتْ على اليمن منذ أقدم عصور التاريخ؛ فضربت بينها وبين غيرها من أقطار الوطن العربي سورا ليس له باب. فالتراث اليمني أغلبه أما أن يكون مفقودا يحتاج البحث عنه إلى الارتحال إلى مكاتب العالم، أو هو مطمور يعيش في زوايا الجوامع والمكتبات، والبيوت الخاصة، وما خرج من كتب التراث اليمني إلى عالم النور لا يكاد يتعدى النزر اليسير الذي يعد بالأصابع).

وبصرف النظر عما سلف، فقد قدم الباحث الجرادة لليمن كتابا لا يضاهيه آخر في عمق البحث والصبر في التنقيب والرصد ...إلخ.

وجاء كتاب الجرادة المشار إليه بمقدمة و18 عنوان تمثلت في الآتي:

لغة اليمن قبل الإسلام

قضية النحل والانتحال في الشعر

نثر اليمن قبل الإسلام

التحقيقات القديمة والمعاصرة

- الشعراء الفرسان

- شعراء اليمن / القرن الأول للهجرة / القرن الثاني للهجرة / القرن الثالث للهجرة

- ألوان النثر

- القرن الرابع للهجرة / القرن الخامس للهجرة

- الشعراء

- القرن السادس / القرن السابع

- شعراء هذا القرن

- القرن الثامن

من العناوين السابقة يتبين أن الباحث الجرادة تناول مرحلة تاريخية طويلة ولذلك كان عنوان كتابه: (الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور) أي ثمانية قرون إلى جانب فترة ما قبل الإسلام.

وحقا فقد كان الكتاب تحفة علمية نادرة، ولا أقول جزافا أو مجانا لكن يظهر ذلك جليا ليس من العناوين التي أسلفت ذكرها، ولكن من خلال كشف المصادر والمراجع المدونة في حاشية الكتاب، بل والكتب التي ذكرت في ثنايا الكتاب. وسوف اقتصر هنا على ذكر المراجع التي وردت في الحاشية فقط:

1. طه حسين، في الأدب الجاهلي.
2. ابن سلام، طبقات الشعراء.
3. أحمد الشامي، قضية الأدب في اليمن.
4. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام.
5. ولفنستون، تاريخ اللغات السامية.
6. مقدمة ابن خلدون.
7. ناجي زين الدين الصرف، بدائع الخط العربي.

8. السيوطي، شرح شواهد المغني، مجموعة أجزاء.
9. تاريخ ابن إسحاق/ حاشية ابن هشام.
10. ديوان لبيد العامري.
11. الهمداني، الإكليل، أجزاء.
12. الهمداني، الإكليل، صفة جزيرة العرب.
13. الأمالي لابن الغالي، أجزاء.
14. ابن عبدربه، العقد الفريد، أجزاء.
15. ديوان عمرو بن معدي كرب، تحقيق وجمع مطاع الطرابيشي.
16. طبقات ابن سعد.
17. تاريخ الطبري.
18. سيرة ابن هشام.
19. الزركلي، الأعلام، أجزاء.
20. محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة، راوية الإسلام.
21. الأمدي، المؤتلف والمختلف.
22. أبو فرج الاصفهاني، الأغاني.
23. ابن قتيبة، المعارف.
24. البغدادي الفرق بين الفِرق.
25. أحمد حسين شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن.
26. المسعودي، مروج الذهب.
27. النويري، نهاية الأدب.
28. بامخرمة، ثغر عدن.
29. الخزرجي، العقود اللؤلؤية.
30. عبد المنعم شلبي، تحقيق ديوان عنترة، تقديم إبراهيم الإبياري.
31. ديوان ابن هتيمل.
32. الشيخ أحمد العبادي، هدية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد.

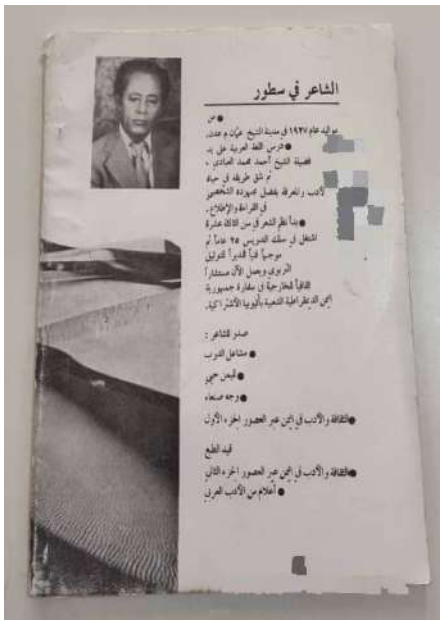
الشاعر في سطور

33. تاريخ الخزرجي، الجزء الأول.
34. السراجي، طبقات الخواص.
35. محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي.
36. الحسن بن سابق الدين بن يعيش، البدر الطالع.
37. عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح/ محمد رشيد رضا.
38. عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت/ محمد رشيد رضا.
39. يحيى بن حمزة، كتاب الطراز.
40. عمارة اليمني، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد.
41. ابن شاكر، فوات الوفيات، أجزاء.
42. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين.
43. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.

44. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

45. القاضي أبي عبد الله بن يوسف بن يعقوب المعروف بالبهاء الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك.

46. ابن سمرة عمر بن علي الجعدي، طبقات فقهاء اليمن.

47. أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني، تاريخ مدينة صنعاء.

48. عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان، أجزاء.

خاتمة:

وأختم هذه الورقة عن الباحث الشاعر محمد سعيد جرادة بما أورده في ختام المقدمة لكتابه موضوع هذا العرض، حيث قال: (وكنت أود أن يخرج هذا الكتاب مشتملا على معجم وفهرس لمفردات اللغة وأسماء المواقع والبلدان ولكني أحسست أن هذا يحتاج إلى شيء من الوقت قد يعوقني عن المضي في جمع وترتيب وتبويب وصياغة المادة الخاصة بالجزء الثاني لهذا الكتاب ورأيت أن من الأصوب تأجيل ذلك حتى يتم تأليف الجزء الثاني الذي سيشتمل – إن شاء الله – على معجم وفهرس للجزئين كليهما).

وللأسف لم يصدر الجزء الثاني، رحم الله الشاعر الأصيل والباحث الأكثر عمقا وأصاله محمد سعيد جرادة ...

الهوامش:

(1) محمد سعيد جرادة، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1988م، ص3.

(2) د. أحمد علي الهمداني، قراءة في شعر الجرادة وحياته، الحكمة، العدد 192، يونيو 1992م، ص41.

المراجع:

محمد سعيد جرادة، الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، كانون الأولى، 1977م.

محمد سعيد جرادة، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1988م.

الحكمة، العدد الثاني، 15 مايو 1971م.

الحكمة، 24 أغسطس 1973م.

الحكمة، العدد 26، يناير 1974م.

الحكمة، العدد 27، فبراير - مارس 1974م.

الحكمة، العدد 192، يونيو 1992م.

الإكليل، شتاء 1993م.

شعرية السخرية

في ديوان: "محاولة للخروج من منفضة السجائر" لعمرو الإرياني

د. سعيد بايونس
استاذ الأدب العربي كلية التربية جامعة أبين

الديوان:

احتوى الديوان على (17) نصًّاً من شعر النثر، ومجموع أسطر الديوان بلغ (468) سطرًا، وسُمِّي الديوان (محاولة للخروج من منفضة السجائر) وهو النص الأخير في الديوان واسمه في الديوان (المحاولة العاشرة للخروج من منفضة السجائر)، ويتكون من خمسة أشطر شعرية أطولها السطر الأول يتكون من ثمان كلمات، وأقصرها السطر الرابع يتكون من كلمة (ثم). وعدد صفحات الديوان (77) صفحةً، من القطع الصغير.

السخرية:

تقنية بلاغية وجدت في المنجز الأدبي العربي القديم، وهي سلاح هجومي لا يخرق الأعراف ولا يتحدى القوانين، وبالمقابل هي مخرج انتقادي للكبت (تطهير عبر الملهاة)، الذي تحدثه السياسة، وللسعة التي يحملها مفهوم السخرية يمكنا القول إن أي موضوع يصلح أن يكون للسخرية. فالسخرية استعداد عقلي يُمكنُّه من الفوز على العاطفة في النظر إلى الواقع، وتدعو "إلى قدر وافر من التجرد والنقد" (المازني: 2012م: 252). فالسخرية بنية عميقة تتوسل في ظهورها بنى سطحية لمعرفتها في النص.

والسخرية السياسية بالذات تمثيل للواقع الراهن؛ حيث توثق صورًا واضحة عن قضاياه. ولا تتجسد السخرية ولا يكتمل مفهومها إلا من خلال ثنائية (القصدية والتأويل)، فالأولى تقع على المرسل، والأخرى من نصيب المرسل إليه.

المطلب الأول: السخرية عبر المفارقة

السخرية بنية أسلوبية موضوعها الأساس تسجيل التناقض بين ظاهرتين، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته، وإن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة، وهي "جوهر الحداثة والانفتاح؛ لأنَّها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مخيل على أنقاض عالم الواقع المعاش، وهذا الانهدام لعالم الواقع والبناء في

عالـم الخيـال هـو خطـوة ضروريـة ودقيقـة في طُـرق التغيـير". (اليوسـفي: 1985م: 29).

ومـن ذلـك التناقـض هـذه الصـورة الـتي رسـمها الشـاعر لقارئـة الكـف الـتي تدعـي معرفـة الغيـب، ولـم تعـرف مصيرهـا، حيـث يقـول:

قارئة الكف قالت:

خط عمري قصير

وماتت (الإرياني: 2006م: 35).

إشـارة شـعرية ضمـن نـص "إشـارات" الـذي بلـغ (11) إشـارة، وخلـق التركيـب الإضـافي (عمـري) اسـتلزاماً حواريًّـاً؛ لتبيـان دلالـة السـخرية الـتي يكتنزهـا، فجملـة القـول وعلامـة الترقيـم الخاصـة بالقـول (قارئـة الكـف قالـت:) تؤكـد إن الضمـير في "عمـري" يفـترض أن يكـون "كاف الخطـاب للمذكـر" فيكـون التركيـب كالآتي:

قارئة الكف قالت:

خط عمركَ قصير

وهنـا تتحقـق السـخرية مـن خـلال المفارقـة المتمثلـة في الجملـة (وماتـت)، ولكـن المعـنى الـذي يـدل عليـه النـص المكتـوب مـن خـلال "يـاء المتكلـم":

قارئة الكف قالت:

خط عمري قصير

لا يحقـق المفارقـة في (وماتـت)؛ لأنـه يؤكد إحساسـها بالمـوت. ولعـل خطأ مطبعـي قـد أربـك التحليـل، أو أنـه انزيـاح قصيـدة النـثر وتلاعبهـا بالتركيـب. وتتحقـق المفارقـة مـن خـلال دلالـة اللـون:

لأن الأحمر هو السائد

الجميع متوقف (الإرياني: 2006م: 35).

وتتحقق المفارقة من خلال النوم:

عندما لا أصحو

تسـير الأمـور عـلى مـا يـرام (الإريـاني: 2006م: 37).

والمفارقـة باديـة مـن خـلال تغيـير وظيفـة التصفيق:

رجاء صفقوا صفقوا

لو

من باب الأمن (الإرياني: 2006م: 52).

وتتحقـق المفارقـة عـبر نصـين، فيكـون النـص الثـاني مفارقـة للنـص الأول مـن خـلال اخـتزال الزمـن وكشـف الحـدث الـذي لا يتطلـب كل ذلـك الاسـتنفار:

النص الأول: يحمل عنوان "خبر عاجل":

أسقط الحرس الخاص للبيت الأبيض

طائرة تجسسية كانت تحلق

بالقـرب مـن نافـذة غرفـة نـوم بـوش الابـن (الإرياني: 2006م: 52).

النـص الآخـر: يحمـل عنـوان "بعـد عشرين عاما":

الطائرة التجسسية التي أسقطها

الحرس الخاص للبيت الأبيض

والتي كانت تحلق بالقرب من نافذة

غرفة نوم بوش الابن

كانت حمامة (الإرياني: 2006م: 53).

فالنـص الأول يبـدأ بالفعـل المـاضي (أسـقط) ويـتراءى فيـه يقظـة "الحـرس الخـاص للبيـت الأبيـض"، في إسـقاط "طائـرة

تجسسية" تحلق في أقرب نقطة لمكان الرئيس "نافذة غرفة نوم بوش الابن". وتتحقق المفارقة الدالة على السخرية في النص الآخر الذي ابتدأ باسم (الطائرة) وجاءت معرفة بال التعريف والصفة (التجسسية)، وتتدخل الأخبار نفسها التي وردت في النص الأول بين المبتدأ (الطائرة التجسسية) وخبره الجملة كان ومعموليها (كانت حمامة) وهنا تتفجر المفارقة الساخرة في قتل رمز السلام (الحمامة) وخيبة أداء الحرس الذي استهلك من الزمن (عشرين عامًا)؛ لكشف الحقيقة.

وتأتي المفارقة من خلال استغلال مهمة "الطبخ" الاجتماعية وتوظيفها سياسيًّا:

عندما أعود من مدرستي ظهرًا
كنت أعرف وجبة الغذاء من ثوب أمي
ففي هدبه رائحة (صانونة)
وفي كمه رائحة صيد مقلي
وبخار حليب أخي الأصغر
والآن
وقد كبرت
وصار السياسي طباخاً
أضعت ثوب أمي
واكتفيت بلعق الخنجر (الإرياني: 2006م: 54).

يجعل المرسل الدفقة الشعرية السابقة فلقتين خطها الفاصل ظرف الزمان (الآن)؛ لتكون جسراً بين الطفولة والزمن الحاضر (وقد كبرت)، وتشتغل حاسة الشم في الفلقة الأولى (رائحة الغذاء، رائحة الصانونة، رائحة صيد مقلي، رائحة بخار الحليب)، وهنا تتجلى بساطة الطبخ ومعرفته بالحواس المعروفة، وتأتي المفارقة بمقابلة الحالة الأولى (الطبخ الحسي)، بحالة أخرى (الطبخ المعنوي) من خلال دخول مهنة الطبخ في أروقة السياسة (وصار السياسي طباخاً)، فلم يعد ذلك الطفل - الذي كبر - يستطيع التمييز بحواسه كلها معرفة الطبخ السياسي، وهذا يتضح من خلال الكناية (أضعت ثوب أمي).

المطلب الثاني: السخرية عبر الصورة

تؤدي الصورة الشعرية دوراً بارزاً في تمرير دلالات السخرية من الواقع المعيش، الذي يتنافى وأحلام المرسل بل يتنافى وماضيه الجميل، فكانت الصورة الشعرية بوتقة إبداع يركب فيها المرسل كل ما يجد في نفسه:

الشفاه نصف غروب
والحديث بحر
وأنا الشط (الإرياني: 2006م: 30).

هذه لوحة شعرية عمادها التشبيه البليغ، وتتكىء من الناحية التركيبية على الجملة الاسمية، فتتكون اللوحة من "غروب وبحر وشط"، هذه الطبيعة تقع بين شخصين (الحبيب والحبيبة)، فالشفاة ترسل الحديث بحرًا تجد أمواجه انكسارها على شط المرسل. ومن الصور الأخرى قوله:

جففت قلقي

قلق منديلي (الإرياني: 2006م: 19).

هـذه الصـورة وردت في نـص "موعـد" الـذي يمثـل سـخرية القلـق المسترسـل عـلى سـطوره، القلـق نابـع مـن انعـدام النظـام، وسـيادة نظـام الغـاب، فحـين لاح الأمـل عـلى شـكل ضـوء وحيـد انتابـه القلـق، وعندهـا انسـاحت الصـورة القلـق لتدخلنـا في الغرابـة فالصـورة (جففـت قلقـي) منزاحـة فالقلـق صـار عـرق يجفـف؛ لطغيـان القلـق الـذي هـو سـبب القلـق، فحـلَّ محـل سـببه فتبـادل المـادي (العـرق) مـع المعنـوي (القلـق) الأدوار، وتنبثـق منـه العبـارة (قلـق منديـلي) لتزيـد الموقـف سـخرية مـن خـلال آليـة التشـخيص حـين حولـت الجمـاد (المنديـل) إلى إنسـان (قلـق).

وتطالعنـا الصـورة الومضـة ذات الـدلالات الكثيفـة في قولـه:

والثواني نائمة بي (الإرياني: 2006م: 8).

جـاءت ضمـن التركيـب الاسـمي (المبتـدأ والخـبر)، متمثلـة بعدهـا الفلسـفي، سـاخرة مـن حركـة الزمـن (والثـواني نائمـة بي)، فـإذا كان النـوم كـف عـن الحركـة فـإن الزمـن واقـف في حسـاب المرسـل، فهـذا التشـخيص للزمـن مـن خـلال تحويلـه إلى كائـن حـي يـدل عـلى فقـدان قيمـة الزمـن، فسـكونه وحركتـه واحـدة بالنسـبة للمرسـل، فـلا يـأتي بالجديـد الـذي يشـعر الـذات بالحيـاة وهنـا مكمـن السـخرية.

وتتشـابك الصـورة السـاخرة عـلى مسـتوى الشـطر الواحـد:

الغضـب يكتـب في عقـل المـاء فكـرة (الإريـاني: 2006م: 9).

تـتراءى الاسـتعارة الدالـة عـلى السـخرية، ومحرقهـا الأول إعطـاء الفعـل الإنسـاني (الكتابـة) للحالـة النفسـية (الغضـب)، ومحرقهـا الآخـر آلـة الكتابـة (عقـل المـاء) بـدلًا عـن الـورق وهنـا ينتفـي المعقـول ويغيـب عـن المقولـة اللغويـة؛ ليحـل محلـه النقيـض، ويمكـن تمثيـل هـذه الصـورة عـلى وفـق الآتي:

- الغضب - الإنسان
- يكتب - يكتب
- عقل الماء - الورق
- فكرة - فكرة

فاختفـاء العنـصر الأول (الإنسـان) وإحـلال الغضـب محلـه، نقطـة تحـول في انزيـاح الصـورة الاسـتعارية، ثـم اختفـاء العنـصر الثـاني (الـورق)، وإحـلال المـاء محلـه نقطـة تحـول أخـرى، ممـا أدخـل الصـورة في الغرابة والدهشـة الـتي هـي مـن سـمات السـخرية.

وتنـداح الصـور السـاخرة في الديـوان؛ لتشـكل ملمحـاً يسـتحق الدراسـة، فخـذ مثـلًا شـاردًا:

أوتارنا بغير يد
نعزف حشرجة الريح
وتثاؤب الورد
في المنتصف
تنـاسى العشـاق العشـق (الإريـاني: 2006م: 28).

فالعـزف صـوت والحشرجـة صـوت لكنهمـا

نقيضان من ناحية الجمال والقبح، فالعزف الحامل للنقيض هو مثار السخرية التي ترسمها الصورة، وسنخرج الصورة من هذه السخرية بتسمية المعزوفة بـ "حشرجة الريح"، كتسمية سائر السمفونيات العالمية. ولكن لا نستطيع إخراج الصورة الأخرى من دائرة السخرية فهي استعارة محكومة ببناء بلاغي لا يغادر بنيته، فإضافة التثاؤب للورد قد أوحى بالخلود للنوم مما يعني السكون، أو الملل، أو أَرَق السَّهر لمظهر جمالي (الورد) الذي يبعث الانشراح والحب والأمل، مما يعكس سخرية تجاه الواقع. وتستمر السخرية تجاه الوجود لتنسحب على كل شيء:

ما يؤرقني حقا

سعال حذائي (الإرياني: 2006م: 36).

فالمرسل يعاني الأرق (ما يؤرقني حقا)، وغالبًا يكون الأرق بسبب معاناة نفسية تمثل انعكاس للواقع المعيش، لكن خيبة التوقع تتحقق للقارىء حين يتبين سبب أرقه، الذي يعبر عنه التركيب "سعال حذائي"، فتتراءى الاستعارة الساخرة بإضافة أفعال الحي للجماد، فالسعال ظاهرة يختص بها الكائن الحي لكنها تخلع على الجماد (الحذاء) لتأدية دلالة السخرية في بنيتها العميقة.

المطلب الثالث: السخرية عبر التناص

يجعل الغذامي دراسته التطبيقية أساساً تنطلق منه؛ لتشكل السخرية عن طريق التناص (الغذامي: 1987م: 80). يعد تابو السياسة من الموضوعات التي تشتغل فيها السخرية عبر آلياتها المراوغة؛ لتجنب الاصطدام بها. وعبر البنية السطحية (التناص) يتم المراوحة بين الواقع والمتخيل في دائرة الشعر، فيتم استدعاء صورة الطاغية (الحجاج) من مرقده في الزمن الماضي لتمرير معارضة طغيان الحاضر في غالب ساخر لا يعدم وظيفته التأثيرية على المرسل إليه:

حذار أن تمسك بحفنة تراب

أو تكسر البيضة بحجر

وإلا فأنت المعتزلي الذي عارض

جبرية السلطة

فصلبه الحجاج بفتوى . . (الإرياني: 2006م: 22).

تبدأ الدفقة الشعرية بأسلوب التحذير (حذار)، وفاعله مستتر (أنت) يشير للمخاطب دومًا، والتحذير جاء لتجنب شيئين: الأول (تمسك حفنة تراب) ورمزية التراب تشير إلى الوطن ولها تجليات معنوية تتمثل في الانتماء، والأخرى (تكسر البيضة بحجر) تعريف البيضة يشير إلى السلطة الهشة التي تحمي هشاشتها بالقمع، الذي يتمثل في التهم الجاهزة (المعتزلي الذي عارض جبرية السلطة)، ونلاحظ عند العقاب ظهور ضمير المخاطب بعد التستر (وإلا فأنت ...).

وتتم السخرية عبر موضوع "الصمت"،

وهـو موضـوع أسـاس في شـعر السياسـة، فثنائيـة (الـكلام والصمـت) معادلـة صعبـة، في ظـل سـلطة جبريـة ظالمـة، لا تريـد الصمـت المطلـق الـذي يؤرقهـا، ولا تريـد الـكلام المطلـق الـذي يزعجهـا، فتصنـع من وحـي ظلمهـا منظومـة كلاميـة محـددة تلـزم النـاس بهـا، وهـذا مـا يتنـافى مـع الشـعراء الذيـن يتمـردون عـلى تلـك المنظومـة الظالمـة بسـبب قيـم الحـق الـتي ينشـدونها، لكـن القمـع والعـذاب والألـم يميـل بهـم إلى اختـراع حيـل دفاعيـة تحقـق لهـم الرضـا الفـني مـن خـلال قـول مـا يريـدون دون الاصطـدام، فيكـون التغـني بالصمـت بوصفـه مسـتفزًا للسـلطة ولكـن بطريقـة أسـلوبية يتـم التنـاص مـع مـا يوافـق ومـا يمـرر رؤاهـم:

لكنِّي صَمَتُّ

لابد أن تبقى سرًا كي تتحقق

وألقيتُ حجرا ... (الإرياني: 2006م: 16).

الجملـة (لكـني صمـت) تثـير قمـع السـلطة تجـاه المرسـل، لكنـه يحتـال عـلى هـذا القمـع باسـتدعاء مـوروث شـعبي يبـدد قمـع السـلطة ويرفـع يدهـا، وذلـك في قولـه (لابـد أن تبقـى سرًا كي تتحقـق)، الـتي تحقـق الـتراث الشـعبي القائـل بعـدم الحديـث عـن الأحـلام الـتي تريدهـا لـكي يحققهـا اللـه لـك، ولعلـه يتواشـج مـع الحديـث الشريـف (أقضـوا حواجئكـم بالكتمـان). وهنا ينقـذ الاسـتدعاء المرسـل مـن الاصطـدام بالمنظومـة القمعيـة بـل ويـبرر معارضتـه لهـا. وتتمـدد بنيـة التنـاص، في عمقها السـاخر مـن خـلال اسـتدعاء "المثـل الشـعبي":

سوى الجنون

لا شيء يحـررني مـن التفاصيـل (الإريـاني: 2006م: 32).

وفي هـذه الدفقـة الشـعرية والشـعورية رؤيـة فلسـفية للمثـل الشـعبي (جنـان يخارجـك ولا عقـل يحنبـك)، وهـي فلسـفة منزاحـة يلجـأ إليهـا المبدعـون للتغلـب عـلى الواقـع المتصلـب الظالـم، بوصـف الجنـون حالـة نفسـية ترفـع عندهـا أقـلام اللـه عـن الكتابـة، ويتوسـم مـن خلالهـا المبـدع أن ترفـع أقـلام السـلطة كذلـك.

في نـص "جـزء مـن نـص البهلـوان (2)، والشـاعر هنـا لـم يـؤرخ نصوصـه وهـو معـذور في ذلـك فآلـة القمـع كانـت لا ترعـوي في الظـن والتفسـير وربـط تواريـخ النـص بالتاريـخ الفاصـل 1994م، لا يهمنـا ذلـك إلا في حالـة أردنـا إبـراز دور الشـاعر النضـالي، علمـاً أن دوره يتكشـف مـن المواقـف السـاخرة القويـة تجـاه الدوائـر الموضوعيـة المحيطـة بـه (مـن أصغـر دائـرة إلى أكـبر دائـرة)، فالنـص شـاهد لا يزايـد ولا يقـصر.

في هـذا النـص يسـتهل المرسـل بصـورة كاريكاتوريـة كليـة سـاخرة تتكـون مـن صـور صغـرى تكـون في مجموعهـا الصـورة الكليـة:

سيشق صدرك البهلوان

ويستبدل قلبك بحرباء

ستشعر برغبة عارمة للقيء

فتقيأ كرات قيح

تفقس شيوخاً ومرافقيهم
على صوالين تدهس وجهك الكادح
(الإرياني: 2006م: 59).
وتحمل (بصائر) موثقة
عند قاض من النوع الثالث
وكما وقفت مشعوذة المرآة
سيقف ابن الشيخ
يا بصيرة . . يا بصيرة (الإرياني: 2006م: 60).

هذه إحدى الصور الصغرى التي نقف عليها ونترك بقية الصور يتلمسها القارئ في الديوان، هذه الصورة الساخرة كانت ترجمة فنية لحال الجنوبيين بعد حرب عام 1994م، وقد بُليتْ عدن خاصة والجنوب عامة من نظام صنعاء بفعلين هما: الأول: اسقاط المدنية واحلال محلها النظام القبلي وهذا فحوى الجزء الأول من الصورة:

سيشق صدرك البهلوان
ويستبدل قلبك بحرباء
ستشعر برغبة عارمة للقيء
فتقيأ كرات قيح
تفقس شيوخًا ومرافقيهم
على صوالين تدهس وجهك الكادح

فالشق مستمر لزرع المخالف للطبيعة الإنسانية (ويستبدل قلبك بحرباء)، وتصل الصورة الساخرة ذروتها حين يبين أصل وجود الشيوخ العتاة، فقد جاءوا من كرات قيح (فتقيأ كرات قيح)، وهذه الكرات (تفقس شيوخًا ومرافقيهم)، ولفظة "كادح" تتحول إلى علامة سيميائية لنظام الكادحين الذي تم تحطيمه.

والثاني: نهب الأراضي من قبل ثلة متسلطة وحرمان أبناء الجنوب منها:

وتحمل (بصائر) موثقة
عند قاض من النوع الثالث
وكما وقفت مشعوذة المرآة
سيقف ابن الشيخ
يا بصيرة .. يا بصيرة

لفظة بصائر استعمال ذكي من المرسل؛ لأنها ألصق بالنظام القبلي الهمجي، قابل "الوثيقة" التي تمثل المدنية والحضارة، وتكرارها في المقطع يشير إلى هذا العبث، كما وثق هذا النهب السلالي من خلال التركيب (ابن الشيخ)، بوصفه المستحق الأبرز بعد سقوط الاستحقاقات الوطنية القائمة على المساواة، وقد شبهه بصورة ساخرة (كما وقفت مشعوذة المرآة). وتتوغل سخرية المرسل حد الإضحاك المؤلم من هستيريا نهب الأراضي:

وقد تخلط بين صلعة أحدهم
وأرض يتنازع عليها
لص كبير ولص صغير
مسعور ومسعور
بين هبل والات والعزى (الإرياني: 2006م: 66).

المطلب الرابع: السخرية عبر الرمزية

يسلك الشاعر "من خلال ذلك مسلكًا شعريًّا له دلالاته في عالم الشعر الحر

المعـاصر الـذي يطغـى عليـه النكـوص إلى الغمـوض والإيجـاز في محيطـات الرمـز" (غنيـم: 1998م: 7).

أنا بخير
أعمل أجيراً في بلعوم أفعى عانس
أعـد الموائـد للقادمـين مـن عظامـي ليأكلوا لحماً
ليشربـوا خجـل الـبُن (الإريـاني: 2006م: 14).

فالرمزيـة قناع يتستر بـه المرسـل؛ ليتجنب شر الآخـر في الثنائيـة الأبديـة (الظلـم والعـدل)، فيحتـال مـن خـلال الشـعر ليمـرر رؤاه بطريقـة تَقِيَـهُ مصـارع السـوء، وتكشـف تسـلط القمـع عـلى الحريـات، وحـين تجتمـع الرمزيـة مـع السـخرية يـزداد قـوة شـعرية الرسـالة عـلى حسـاب الوظائـف الأخـرى. فالتركيـب "أعمـل أجـيرًا" يكشـف حالـة التعاسـة الـتي يعـاني منهـا المرسـل، ولكنهـا في إطـار الواقـع ولـم تقفـز للمفارقـة المدهشـة الـتي تسـتدعي السـخرية، وتبـدأ السـخرية الرمزيـة مـن التركيـب (في بلعـوم أفعـى عانـس)؛ فشـبه الجملـة (في بلعـوم) كانـت العتبـة الأولى للسـخرية والمضـاف إليـه (بلعـوم أفعـى) كانـت العتبـة الثانيـة للسـخرية، والصفـة (أفعـى عانـس) كانـت قمـة السـخرية.

المظان:

- محاولـة للخـروج مـن منفضـة السـجائر، عمـرو الإريـاني، مركـز عبـادي، ط1، 2006م.
- بنيـة الشـعر العـربي المعـاصر، محمـد لطفـي اليوسـفي، دار سراس، تونـس، 1985م.
- تشريـح النـص، مقاربـات تشريحيـة لنصـوص شـعرية معـاصرة، عبـد اللـه محمد الغذامـي، دار الطليعـة، بـيروت، 1987م.
- حصـاد الهشـيم، المـازني، مؤسسـة هنـداوي، القاهـرة، 2012م.
- عنـاصر الإبـداع الفـني في شـعر أحمـد مطـر، كمـال أحمـد غنيـم، مكتبـة مدبـولي، القاهـرة، 1998م.

انتماء

أ. أحمد قاسم دماج
أديب - ترأس اتحاد الأُدباء
والكتاب اليمنيين لعدة دورات

لا عَلَمٌ على "نقم"
و"صنعاء" نهب هذا الليل
لا نجم يلوح ولا جداول
آهٍ من ليل يصادر توقها والروح!
وآهٍ من شغفي ومني!
كلما ذهبت إلى أوجار هذا الليل
زاد تعلقي
وضممتُ عشقي
آهٍ من "صنعاء"
ومني!
(3)
أيلول أبهى لحظة في العمر
من أين النفاذ إلى بهاءٍ سرمدي لا يزول؟!
كان النـدى أعـلامَ قافلـة الرحيـل إلى الـشروق
وملاعب الفتيان كانت مترعات بالغناء
وتقافز الصبيان من فرحٍ هناك زنابقَ
الروض المسيّج بالزنود
يا فرح أيلول الذي لا ينتهي
عُدْ لي
أصبُّك في حنايا الروح أنغاماً وحباً
والتياعا
عُدْ لي
يصير الضوء مُهري
والزنابق كل أصحابي
وغصن الآس والزيتون أسيافي
وعُدْ لي
نعتنق
ونراقص الأنداء والأضواء والطرب
الغشوم.
(4)
طارت بنا الذكرى
أفي تشرين تكمن روعةُ الذكرى؟!
أم النسمات تختزن الأريج من البنفسج
ثم تأتي عنوة في موسم الذكرى؟!
أرى فيما أرى
الأشجار مُطْرِقَةً
ووجه مدينتي جهماً
وأبـصر في تجاعيـد الجبـال توثُّـبَ الحنـق المقـدس
ليت أن الفجر لم يكبُ
وأن الساح لم يخلُ
وأني لم أشب ولم تجللني التجاعيدُ
الكثار!

سراب

عادل الصياد
شاعر يمني

تَفِرُّ من أصابعي
فلا أرى سوى الرَّدى
تقودني غمامةٌ
من الضجر
تطوف حيث لا أحد هناك،
آخر المدى البعيد
والنهاية ..
تَفِرُّ من أصابعي
حمامة
ماردٌ يُبعثرُ السحابة
التي ترتب الفصول
هنا انكسار العمر
يا حبيبتي
ومن هنا
تُغادرُ الطيور
وتُقرعُ الطبول بيتي العتيق
ألف مرة تهدم
تَفِرُّ من أصابعي
تَفِرُّ من مخالبي
فأندم
أطارد السراب
نحو بلدة بلا قمر
وحقلها المعفر الدميم
يطارد الشجر
تفر
من
الى
متى وأين
هل
وكيف لو
ت ن ا ث ر ت
أُلملمُ الهواء
وأرتجي المطر
تنز من وريدي الدموع
يا حبيبتي،
ولم أرَ اخضرارها
تَفِرُّ من صغارها
ومن دوائر الخليل
وهاجس عليل
هدَّهُ السَّهر
تَمرُّ من أمامه
فيرتجف .
أخاف ..
كم أخاف
لو ،
دواتنا تجف !
((... وجدت أن الباء
لا يقوى على حمل الحقيقة
والحروف جميعها عوجاء
وأن وقف الألف)) (1)
تَفِرُّ من أصابعي
ولن تطالها
* إذا زلزلت الأرض
زلزالها *
اثبت وقف.

(1) من قصيد للشاعر عبدالحكيم الفقيه.

حديث الشوق

محمد عبده أفلح *

سَكَنْ الليلُ
وهاْ نَاْمَ الوشاةُ
وَعُيونُ الصبِ
يجفوها
السباتُ
.....
حركَ العودَ
وغني للهوى
وَحديثُ الشوقِ
يرويه الثقاتُ
.....
ساري البرقِ
إذا لاحَ له
خرَ مغشياً
وتعلو همهماتُ
.....
وحدهُ والليلُ
داجٍ حوله
وبنات الجن في
الرقص حفاةُ
.....
راعهُنَ الخطبُ فاحتطن بهِ
دعواتٌ ..
صلواتٌ ..
أُمنياتُ..
.....
يشهقُ الوادي
وتهذي غيمةٌ
تذرف المزن
وتهتز الفلاة
.....
ما الذي جاء به الآن هنا؟
قاده العشق
وخانته
الجهاتُ
.....
تعزفُ الريحُ
له لحن صبا
ورويداً عاد في
الصبِ الحياةُ
.....
ليت شعري
هل له من زورة؟
كله وجد وآه
والتفاتُ
.....
أسقهِ إكسير
عشقٍ خالدٍ
من شفاه
ريقها
عذب فراتُ
.....
بلسمُ الأرواح
يا(ليلى) هما
هكذا في الحب
قد قال الرواةُ
.....

(*) شاعر يمني

على ناصية الدهشة *

عبد الكريم الشميري *

(1)
ولي... حكايات
واقاصيص
من نزيف
ففي كل مرة
من يقرأها يراني
بعين حس أليم
ترى متى تقفلني اياها
الحكايات والاقاصيص
من لسده بقادر
ذياك النزيف..؟

(2)
من أين لك رونق القصيد
واتساع هاتين العينين
وبارق شهيقك ينير
الافاق شدوا
جميل من أين .؟

(3)
كبرنا
ياامي
شاعت هزائمنا
صرنا بعمرين
وقصيدة.

(4)
"ادهاش"(**)
مذهل تتراشقني العبارات.
تستكين على جذوة مقيل
في انتظار الفجر الاخير.

..
.....
(*) من ديوان الشاعر"على ناصية الدهشة."
(**) من ديوان الشاعر "فيض وسناء"
(*) شاعر يمني
.....

تين شوكي

سهير السمان *

أقطع الطريق المعتادة من منزلنا إلى المدرسة، طريق ترابية ترتفع كلما تقدمت خطواتي، ينتشر على جانبيها التين الشوكي، أسير بقدمين شبه حافيتين، وبزيٍّ مدرسي لا يختلف لونه عن لون نبات التين الشوكي، فحين أسير كل يوم إلى المدرسة بين هذا النبات، أشعر وكأنّي صبير تين معلق يوشك أن يقع ذات يوم، ولكني اليوم وقعت في فخ المسائل الحسابية التي لم أستطع حلها يوم أمس، وأعتقد أني سأنال حصة لا بأس بها من العقاب.

أفكر ألا أكمل طريقي إلى المدرسة، فالعصا في انتظاري وستُلهب كفيّ الباردتين، وقد تتورمان ولن أستطيع الإمساك بالقلم طوال اليوم، قررت أن أتجول بين هذا النبات الشوكي، وأجمع بعضا منه، فأخذت بعض الأكياس البلاستيكية المنتشرة على الأرض، وغطيت كفي بأحدها لكي لا يلتصق بها الشوك وأنا أجمع الصبير، وعندما امتلأ الكيس فكرتُ أن أبيعه أمام بوابة المدرسة بعد خروج الطلاب، كتعويض لي عن يومي المدرسي الضائع، وعدت إلى الطريق الترابية وحقيبتي المدرسية المصنوعة من القماش على ظهري، لم أشعر بشيء بعد أن اخترقتها رصاصة لتستقر في وسط صدري، وأنا ما أزال ممسكا بأكياس التين.

يبدو أن وجهتي لم تتغير فقط إلى المدرسة، بل تغيرت لأنتقل إلى مكان مختلف تماما. يا له من صباح لم أردد فيه النشيد الوطني ونجوت من حل مسائل الرياضيات، ومن عقاب كان ينتظرني. فكان صوت الطلقة هو آخر صوت سمعته هذا الصباح.

كان شيئا مفاجئا، لم أتعرف على قاتلي، وظللتُ مرميا على الطريق، كأنه يرفض مغادرتي، فهل ستعرف الملائكة أنني لست المقصود بتلك الرصاصة؟ هل سيعيدونني إلى فصلي الدراسي؟

لم يأخذوا رأيي في الموت، كما لم يؤخذ حين أتيت إلى هذا العالم. ولم يسألني أحد بماذا كنت أحلم، كأسئلة الدروس التاريخية التي تلقى علينا دائما، والآن وبعد أن تهربتُ من حل أسئلة الرياضيات، يبقى عليّ الإجابة عن أسئلة أخرى.

هنـا في قـبري الصغـير الـذي وضعـت فيـه بالقـرب مـن شـجرة التـين، لـن أرفـض الإجابـة عـلى أسـئلة الملكـين!

- ما اسمك؟

على أية حال أنتم تعرفون اسمي.

- وعمرك، فيما أفنيته؟

- أي عمـر؟ ... هـا... تذكـرت ... عـشر سـنوات فقـط، فُنيـت فجـأة.

كان الملـكان يهمسـان بـشيء لـم أسـتوعبه، ولكنهمـا قـالا لي أخـيرا:

- يبـدو أنـك جئـت إلى هنـا عـن طريـق الخطـأ، ومـا علمنـاه الآن أن شـخصا آخـر يجـب أن يكـون في مكانـك.

فقلت لهما:

- ومـا يبـدو لي أنّكمـا لا تعرفـان غـير إجابـة واحـدة في هـذا المـكان، حفظتماهـا منـذ الأزل، ولكـن يجـب أن تتقبـلا الإجابـة المختلفـة الآن.. وهـي أن المـوت كثـير مـا يخطـئ هنـا.

(*) كاتبة وقاصة، اليمن.

ما تيسر لحلم

سمير عبد الفتاح *

اليدان المتفرعتان من الجسد الضئيل تنسكبان بصمت في الفراغ وتحطان على أحد قرصي خبز موضوعان على الطاولة وتقسمانه إلى جزأين غير متساويين، وبعد أن تلفَّ يدٌ الجزء الأكبر من قطعة الخبز بورقة جرائد وتضعها في جيب السترة تقسم اليد الأخرى قطعة من الخبز من الجزء الصغير ثم تغمسها في كأس الشاي، وتقطع اليد المسافة بين الكأس والفم بهدوء، وتعاود اليدان أخذ قطع صغيرة من الخبز وغمسها بالشاي.

العينان المحدقتان في الأمام بدون تحديد تُدخِل الخبز وكأس الشاي والطاولة الحديدية القصيرة ضمن الصورة، الجزء الأكبر من الصورة -أمام العينين- احتلتها أرضية المقهى الواقع في زقاق مقفل من أحد طرفيه وتحتل جانبيه مطاعم شعبية. العينان تهتمان بالخبز والشاي بمقدار إرشاد اليدين إلى مكانيهما وتنحدران للأسفل بحثاً عن تفاصيل غارت في الذاكرة منذ زمن بعيد.

تتحجر الصورة واليدان تعاودان تقسيم الخبز إلى قطع صغيرة وغمسها في كأس الشاي، وتعود الصورة للحركة مع تأكد اليدان من فراغ ورقة الجرائد من الخبز ومن وضعية الجزء الأكبر من قرص الخبز في الجيب؛ فينهض الجسد وتتضح قامة الجسد القصيرة، يميل العنق للأسفل دافعاً العينين للاكتفاء بتحديد بضعة أمتار فقط أمام القدمين ليتحرك الجسد خارجاً من المقهى.

اليدان المتهدلتان تعبران الزقاق المقفل من أحد طرفيه، القدمان تأخذان مسارهما بخطوات هادئة رتيبة كأنهما تنطبقان على مكان خطوات الأيام السابقة.. أمام المقهى تنعطف القدمان يميناً وتدخلان في كوة المقهى، وبدون حوار يُوضع أمام صاحب الجسد الضئيل -على الطاولة المقابلة لأواني صنع الشاي- كأس الشاي فتمتد اليدان المتهدلتان وتحملان الكأس الممتلئ بالشاي الممزوج بالحليب، أصابع اليد اليمنى تحمل الكأس من الأعلى وراحة اليد اليسرى تسند الكأس من الأسفل.. القدمان تختاران طاولة الزاوية البعيدة

الواقعة في مدى عين بائع الخبز الذي يتناول من الطبق أمامه قرصين من الخبز ويضعهما على الطاولة الحديدية أمام صاحب الجسد الضئيل ونفس اللغة الصامتة تحكمهما؛ فيمد صاحب الجسد الضئيل يديه ويقسم أحد قرصي الخبز إلى جزأين غير متساويين، يضع الجزء الأكبر في جيبه بعد أن يلف قطعة الخبز بورقة، والقرص الثاني والجزء الصغير من القرص تقطعهما اليدان وتغمسان القطع في كأس الشاي، والصور التي تتأملها العينان محصورة في الطاولة الصغيرة، وأرضية المقهى، وتفاصيل الذاكرة القديمة.

الشمس تتخلص من قيظ الظهيرة.. بائع الخبز يرتب أقراص الخبز على طاولة كبيرة أمام المقهى في الزقاق المغلق من أحد طرفيه.. عامل المقهى يحمل الأكواب الفارغة إلى داخل كوة المقهى، ثم يمسح الطاولات الحديدية من بقايا الشاي الذي انسكب من بعض الأكواب. المطاعم الصغيرة التي تجاور المقهى تغلق أبوابها بعد انتهاء موعد وجبة الغداء. زبائن المقهى يتغيرون باستمرار باستثناء حوار طويل بين شخصين.

عينا بائع الخبز تنكسران قليلاً مع لمحه للجسد الضئيل والوجه المليء بالتجاعيد يدخل عبر فتحة الزقاق بخطوات هادئة رتيبة، وبعد أن يمر -صاحب الجسد المتهدل- من أمامه يتبعه بعينيه وهو يدخل كوة المقهى، وينتظر حتى يخرج ومعه كأس الشاي ويجلس على الطاولة البعيدة فيحمل قرصين من الخبز ويضعهما أمامه. اليد تضع الجزء الأكبر من أحد القرصين في الجيب ليكون وجبة للعشاء، بينما بقية القرص والقرص الثاني مع الشاي يشكلان وجبة الغداء.

الحركة داخل الزقاق المقفل من أحد طرفيه تبدأ بالانحسار مع اقتراب الظهيرة من الانتهاء. أقدام شخصين تقطع المسافة بين أحد المطاعم والمقهى لشرب الشاي.. صوت إغلاق أبواب المطاعم تتوالى. الشمس تنحدر عن المقهى، صاحب الجسد الضئيل يظهر عند بداية الزقاق.

البرد القادم على عجل يحيط بالجسد الضئيل.. البرد الذي غطّى الجو برداء أبيض يردد بأنه لا مكان اليوم لاقتطاع جزء من قرص الخبز للعشاء وصاحب الجسد الضئيل يعبر الشارع باتجاه الزقاق المقفل من أحد طرفيه.

.....

(*) قاص، وروائي يمني.

تعز

عوالم جمال .. ومعالم دهشة

إعداد:
عبد الواحد السامعي *

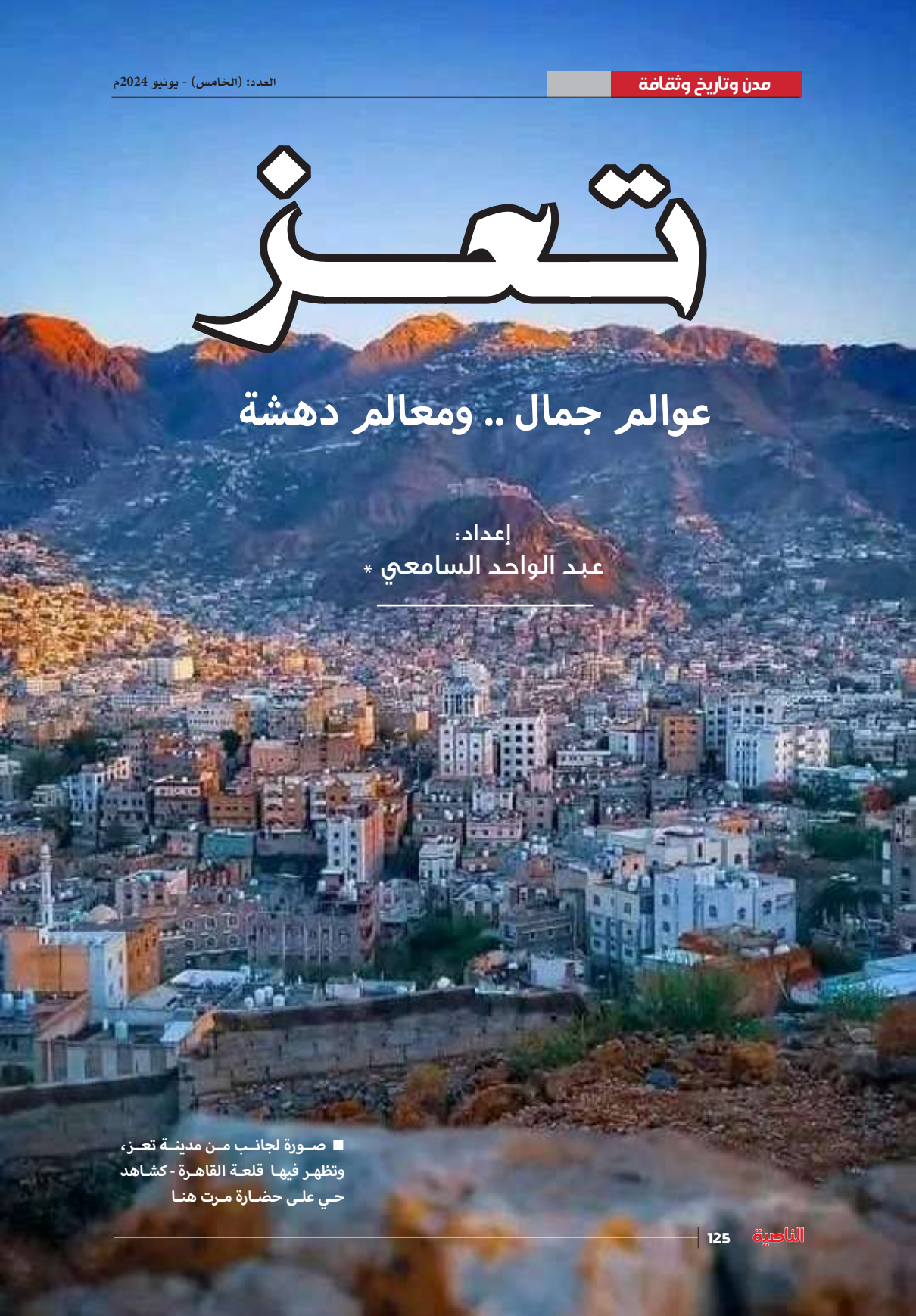

■ صورة لجانب من مدينة تعز، وتظهر فيها قلعة القاهرة - كشاهد حي على حضارة مرت هنا

مدن وتاريخ وثقافة

نهاراً وأنت تُحدِّق فيها من أعلى قمة بجبل صبر، ستبدو إليك أشبه بعقدٍ نفيسٍ، تناثرتْ حبَّاتُه بامتداد الأفق، وتوزعتْ في مختلف الأرجاء "شوارع، حارات، أزقة، بيوت بمشربيات ونوافذ متعبة" في تناغمٍ آسرٍ، استطاع- بإدهاش عجيب- دمج حاضرٍ، يكتوي بتناقضاته، مع تركة ثرية لحضاراتٍ متعاقبة طُويتْ، ولم يبقَ منها سوى ذاكرة ممتلئة بإرثٍ ناصعٍ ومعالم خالدة، تضوع منها رائحة عتيقةٌ لمكان ظلَّ لقرونٍ عديدة منارة إشعاعٍ حضاري في شتى مجالات العلوم والمعرفة، يأبى أن يشيخ، أو يصير هامشاً في جغرافيا رحيبة لبلدٍ تتعدّدُ مَخالفُه ومُدنُه، و تنزوي بين دفتي تاريخه دولٌ وممالكٌ وسلطناتٌ مرّتْ، وتركتْ فضاءاتٍ رحبةٍ من الألق والكمال، ونقيضهما رُبَّما.

تسمية مُلتبَسة:

تتباين المرويات التاريخية في تحديد سبب تسميتها، فبعضها أشارت إلى أن "تَعِزُّ" بفتح التاء، وخفض العين، وتشديد الزاي مع الضم، يعود للجذر اللغوي "عَزّ"، وتعني العلو، ويكثر استعمال الاسم في لغة المعافر خصوصاً في المضارع، ودللت المرويات على ذلك بوجود قمم جبال كثيرة سُميت "عزان" مثل: جبل عزان في قدس، وجبل عزان في صبر، ورأت مرويات أخرى إنها مأخوذة من لفظ العِزّ "تعز العز"، لكن أغلب المصادر أشارت، بوضوح، إلى أن "ذي عُدينة" هي التسمية السابقة المعروفة لمدينة تعز الحالية، وإنها تصغير لكلمة عدن، وأرجعت السبب إلى أن التجار العدنيين كانوا يتخذونها منتجعًا سياحيًا لهم، في الجانب الآخر تُرجع إحدى الروايات التسمية إلى حادثة

■ صورة قديمة ونادرة لباب موسى.. مدينة تعز القديمة

126

بعينها، فبعد ضم عبدالنبي- نجل الملك علي بن مهدي بن محمد الرعيني- لعُدينة، واجتياحه لكثير من مناطق الشمال، كيريم، والضالع، والبيضاء، والوصابين "وصاب العالي، ووصاب السافل" شعر السادة القرشيون بصنعاء بقلق بالغ، ويقال أنهم استعانوا بالسلطان صلاح الدين الأيوبي لغزو اليمن، وأن دعوتهم وافقت هوىً في نفسه، فأرسل جيشًا كبيرًا بقيادة شقيقه توران شاه، ودارت حول "ذي عُدينة" معارك ضارية، انتهت بهزيمة عبدالنبي وقواته، واحتمائه بقلعة القاهرة، فضرب الأيوبيون حولها حصارًا خانقًا، حتى أُجبر على التسليم والخروج منها مصطحبًا ذريته وحاشيته بثيابهم ورواحلهم، فخاطب عبد النبي المدينة متحسرًا :

تَعِزّ يا عُدينة جنةٌ
نُفارقها قسرًا وأدمعنا تجري

فالتصق بها الاسم، وصارت تسمي تعز.

وخالف "كارستن نيبور" هذه الرواية، مشيرًا إلى أن أصل التسمية يعود إلى وَلِي، وسُمي ولي تعز، مؤكداً أن "الولي الذي يحمي المدينة هو إسماعيل مُلك". ورغم ذلك لم يرد في المصادر التاريخية ما يشير إلى هذا الاسم.

فيما ذكر الباحث فيصل سعيد فارع في كتابه "تعز.. فرادة المكان وعظمة التاريخ" أن أول إشارة إلى تعز يدلُّ على مسمى مكاني كانت في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عندما بادر السلطان عبدالله بن محمد الصليحي - شقيق الملك ومؤسس الدولة الصليحية - ببناء قلعة القاهرة"، و كان بعض الاختصاصيين قد وجدوا نقوشًا حميرية بجدران صاج البخور بأسفل القلعة تثبت أن المكان بين جبل صبر والمدينة القديمة كان معروفا باسم "تاووس" أو "تاعوز"، وهو إله الخصب والحب، وأشار الشاعر العربي بدر شاكر السياب في رسالة شهيرة له إلى أن "تاعوز" هي مدينة تعز الحالية ((... ويروي لنا بعض المؤرخين أنه رأى أهل حوران يبكون إله الخصب والحب "تاعوز" أو "تعز" وما زالت إحدى مدن اليمن تسمى به)).

موقع وريادة:

تقع مدينة تعز في المرتفعات الجنوبية، وتحديداً في شمال شرق سفح جبل صبر، الذي يبلغ ارتفاعه نحو (3000 متر) عن سطح البحر، وتبعد عن العاصمة صنعاء مسافة (260 كم)، فيما تفصلها عن مدينة عدن مسافة (167 كم). وتعد العاصمة الإدارية لمحافظة تعز، وتنقسم إلى ثلاث مديريات: المظفر، القاهرة، صالة، غير أنها - مع ذلك - تعد إحدى أكثر المدن

اليمنية كثافة سكانية، كما أكسبها موقعها ميزة أخرى، إذ تعد ثاني أغزر المدن هطولا للأمطار بعد مدينة إب.

حاضرًا تحظى مدينة تعز بمكانتها المتفردة بين مختلف المدن، كونها عاصمة ثقافية لليمن، وثالث أهم المدن بعد مدينتي صنعاء وعدن، وتنتمي إليها النخب المؤثرة في مجالات: السياسة، والفكر، والاقتصاد، والأدب ... إلخ، كما لعبت دوراً رياديا مهماً طوال تاريخ اليمن، قديمه وحديثه، وكانت مركزاً حضارياً مؤثراً منذ القرن السادس الهجري، ولعلَّ أهم حقبها التاريخية هي تلك التي كانت فيها حاضرة لليمن إبَّان حكم الدولة الرسولية.

سجاد أخضر:

وأنت تحث الخُطى لاستكشاف دروب المدينة وأزقتها، فأنت ساعتها، تكون قد ولجت تاريخاً مر هنا، ولايزال عبقه يقطر عذوبة بكل زاوية و"حافة" من "حافاته" القديمة، كما يشهد بخصيصة تعزية جامعة.

أن تَفِدَ من ثعبات باتجاه المجلية أو الجحملية، فثمة تاريخ عظيم أسفل كل خطوة تخطوها قدماك، وهناك نَفَسٌ يحوم حواليْ مكان لا يزال دافئاً بشخوصه وأحداثه.

المرور بالجحملية سيقودك لتذوق شاي "مخسّو"، و تأمل سوقها الشهير، وبائعيه وبائعاته، اللواتي يتنزلن من صبر كل صباح مثل قطرات طلٍّ، وحينما تتدحرج باتجاه باقي حارات "حوافي" المدينة ستمر بجامع العُرْضي، ثم الأشرف، مرورًا بسوق الصميل، وسوق الأشبط، أو أنك، وهو الخيار الآخر، ستفضل الانحناء يسارًا متجهًا نحو حارة المستشفى الجمهوري، والهبوط أسفل حيث يربض وادي المدام عند سفح قلعة القاهرة، وصولًا لحارة المظفر، ومنها الشنيني، وسوق الباز، وحولهما حارسان "الباب الكبير، وباب موسى" فتحا ذراعيهما منذ مدة لمرور الأشياء، فلم يعد هناك ما يدعو للريبة والتوجس، وقد تستسلم لرغبتك وتضرب عصفورين بحجر؛ "إشباع جوعك، وأخذ قسط من الراحة" وأنت تقرر تناول مدرة فول عند "علي مدرة" مع كامل جهازها.

بعدها ستدنو من حارة التحرير الأعلى، وحين تكمل آخر خطوة فيها تنزلق للضبوعة وعصيفرة، وإن فضلت الاستدارة، فستمر محاذيًا لجامع العربدي وقبة الحسينية، وتصعد حارة الميدان، وتلج باب النصر، أو تتجه بسرعة للنسيرية، وتقرأ ماتيسر من القرآن بمقبرة الأجينات، ولك الخيار بعدها، إما التوجه لحارة المصلى، والانحدار نحو حارة المسبح، ومن ثم مشاهدة الحارات الجديدة في الأسفل، كحارتي وادي القاضي والبعرارة من هناك، أينما وجهت قدميك فثمة تعز؛ سجاد أخضر يحتويك، وذاكرة مفعمة بتاريخ وإنسان لا يمكنهما الاستلقاء إلَّا ريثما يتمكنان من النهوض مجدداً.

سحر ونفاسة:

تنتشر أسواق تعز الشعبية في نطاق المدينة القديمة، وتغدو واحدة من المزارات الهامة التي يجب دخولها لاستكشاف أحد الوجوه التي تميز تعز عن غيرها، وتكسبها فرادةً ونفاسةً وسحرًا.

سوق الشنيني:

أحد أشهر الأسواق الشعبية القديمة في تعز، وينسب إلى الشيخ الصالح عفيف الدين عبدالله بن محمد الشنيني، المتوفى عام (804ه) مع بداية حكم الملك الناصر بن الأشرف الثاني، ويمتد الشنيني من الباب الكبير وحتى باب موسى، وقد ارتبط هذا السوق بذاكرة أبناء تعز، من خلال خصوصيته، ومعروضاته النادرة، التي لن تحصل عليها في غيره من الأسواق، فبإمكانك إيجاد كل ما تبحث عنه، وبعلامة جودته التعزية، بدءاً من المشغولات اليدوية الفضية، والنحاسية، والخزفية، والفخارية، والجِدادة، والعطارة ... إلخ، وذلك ما يجعله متحفًا تاريخيًا نابضًا بالحياة والديناميكية.

سوق الباز"الجمهورية":

ليس ببعيد عن الشنيني، فهو ملاصق له، ويتوازى معه، إذ إنه مثله تمامًا، يأخذ نفس المساحة بين بابي موسى والكبير، لكنه اختص بمجال الأقمشة "الباز"، وظلَّ إلى ما قبل عقدين من الزمن سوق الموضة والجمال، بما يحويه من أقمشة، وأدوات تجميل رخيصة ظلت تهوي إليها أفئدة العشاق من مختلف أرجاء المحافظة، والمقبلون على الزواج، أو أولئك الذين

■جامع الأشرفية بمأذنتيه .. فسيفساء دولة الرسوليين

لايزالـون بأمـس الحاجـة للإحسـاس بنشـوة مـا تتركـه قطعـة قمـاش "كُرْمبـلي، وأبـو تـال" أو كريمـات الوازلـين، أو روائـح عطريـة لمـاركات عطـور: جنـة النعيـم، وروح الـروح ...إلـخ، تلـك المطالـب المتيسرة لإنسـان لـم يكـن بتعقيـدات إنسـان المرحلـة الراهنـة، ولكـن وبـكل أسـف بـدأت حوانيـت القمـاش وأدوات التجميـل الرخيصـة بهـذا السـوق تتنصـل عـن تاريخهـا لقائمـة جديـدة مـن السـلع، كالسـلاح، والصرافـة، ومـا بينهمـا مـن منتجـات، لا تفـوح منهـا رائحـة دخـان عـود النـاد المحـترق، أو يُزينهـا قـوس قـزح أقمشـة بسـيطة وزاهيـة.

سوق اللّقمة:

تفصلـه عـشرات الأمتـار عـن البـاب الكبـير، ويقـع بالقـرب مـن سـوقِ "الشـنيني، الجمهوريـة"، وهـو سـوق مخصـص لبيـع مختلـف أنـواع الحبـوب المنتجـة محليًـا، كـ"الـذرة البيضـاء، الدخـن، الغـرِب، الدجـر، الشـعير" وفي زوايـاه يُبـاع الخمـير التعـزي الشـهير، إضافـة إلى الملـوج، والكُـدم، والـروتي، كمـا تتواجـد بالقـرب مـن مخرجـه أشـهر المطاعـم الشـعبية، ويُعـد مقهـى "الشّـعبي" أحـد أشـهر مقاهـي الشـاي الأحمـر، بنكهتـه وتحويجتـه الـتي لاتقـاوم.

منتجات بمذاق تعزي:

تتميـز بعـض أسـواق تعـز بوجـود شرائـح تمتهـن مهنـاً خاصـة بهـا، وتحافـظ عـلى عـدم انقراضهـا، ومنهـا مهنـة الحِـدادة، والـتي تحـرص أسرٌ بعينهـا عـلى امتهانهـا، وتنحـدر غالبيتهـا مـن أصـول أُصابيـة.

كمـا تشـتهر دون غيرهـا مـن المـدن بصناعة الجـبن البلـدي، المأخـوذ مـن حليـب الأغنـام والأبقـار، وينقسـم إلى نوعـين: المالـح، والعـوب، ويعـد وجبـة شـهية مفضلـة لـدى غالبيـة اليمنيـين، ويتـوزع بائعـوه في أسـواق خاصـة، مثـل: بـاب المخلولـة، الشـنيني، سـوق بـاب مـوسى. فيمـا تنتـشر معـاصر زيـت السمسـم "سـليط الجلجـل" الـتي تقـوم بطحـن وعـصر السمسـم، بآلـة خاصـة تسـتمر بالـدوران، ومـن ثـم يتـم فصـل الزيـت عـن المـادة الصلبـة المتبقيـة الـتي تقـدم كعُصـارة للحيوانـات، إلا أن هـذه المعـاصر تقلصـت، وصـارت أعدادهـا لا تتعـدى أصابـع اليديـن، نتيجـة المنافسـة الشـديدة مـن الزيـوت المسـتوردة، الأمـر الـذي يهـدد باندثـار هـذه المهنـة.

شهرة عابرة للحدود:

لـم تقـف شـهرة تعـز عنـد حـدود المحلية، بـل تجـاوز الإعجـاب بهـا، والافتتـان بخصوصيتهـا الآفـاق، ونالـت مـا لـم تنلـه مدينـة مـن المديـح والإطـراء ممـن وطِئـت أقدامهـم ثراهـا، وتكحلـت أعينهـم برؤيـة بسـاتينها وسـواقيها ومآثرهـا الفريـدة؛ إذ قـال عنهـا ابـن بطوطـة حـين زارهـا في عهـد الملـك المجاهـد الرسـولي في عـام (779ه) بأنهـا أحسـن مـدن اليمـن وأعظمهـا، كمـا وصـف ياقـوت الحمـوي قلعتهـا بأنهـا قلعـة عظيمـة مـن قـلاع اليمـن المشـهورات.

■ الحدادة.. حرفة تقاوم للبقاء

وذكرها ابن المجاور "تعز قلعة حصينة، وليس في جميع اليمن أسعد حصنًا منها - مؤكدًا - إنها قلعة وُضعت بين مدينتين، إحداهما المغربة، والثانية في لحف الجبل" ويقصد بذلك ثعبات.

وحين زارها الروائي العالمي نجيب محفوظ، ضمن وفد إعلامي، بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر1962م، وإثر عودته من محافظة مأرب، وصفها قائلًا "من المناظر التي لا تنسى منظر تعز ... وبعد مرورنا أياماً لم نرَ فيها غير الجبال والصحراء والجفاف وجدنا أنفسنا في أرض كالجنة ... جبال عالية مكسوة بالخضرة"، وبحسب الروائي المصري يوسف القعيد، فإن نجيب محفوظ أكد بأنه لم يرَ في حياته أجمل من عيون صبايا تعز.

ولخصت الطبيبة الفرنسية "كلودي فايان"، التي جاءت إلى اليمن عام 1951. للعمل كطبيبة متطوعة في معالجة اليمنين من مرض الكوليرا المنتشر أنذاك في اليمن, في كتابها "كنت طبيبة في اليمن" قسوة الحال وجمال المكان، مؤكدة أنها وجدت تعز منطقة إقطاعية زراعية، يُذيق فيها الإمام الرعية أسوأ العذاب، من خلال الجباية المفروضة. وتحدثت عن تعز كمدينة "تحيط بها أسوار قوية من الطين، ويعلو المدينة القديمة تل عليه قصر حصين يُسجن فيه الرهائن".

في البدء كان الحصن:

يتفق المؤرخون بأن مدينة تعز لم تُعرف كمسمى مكاني إلا في القرن السادس الهجري، في عهد الدولة الصليحية عندما شرع السلطان عبد الله بن محمد الصليحي - شقيق مؤسس الدولة الصليحية - ببناء قلعة تعز "القاهرة حاليًا" في منطقة استراتيجية، تجمع بين فائدتين: المِنعة، والتوسط في آنٍ واحد؛ إذ

تتربع أعلى أكمة شاهقة بين حصني صبر والتعكر، ما يجعلها حصناً منيعاً يصعُب اختراقه بسهولة، كما أكسبها ميزة أن تكون محطة متوسطة بين جبأ، والجند، وزبيد، وعدن، وترافق مع عملية البدء ببناء القلعة توافد السكان من مختلف الجهات،

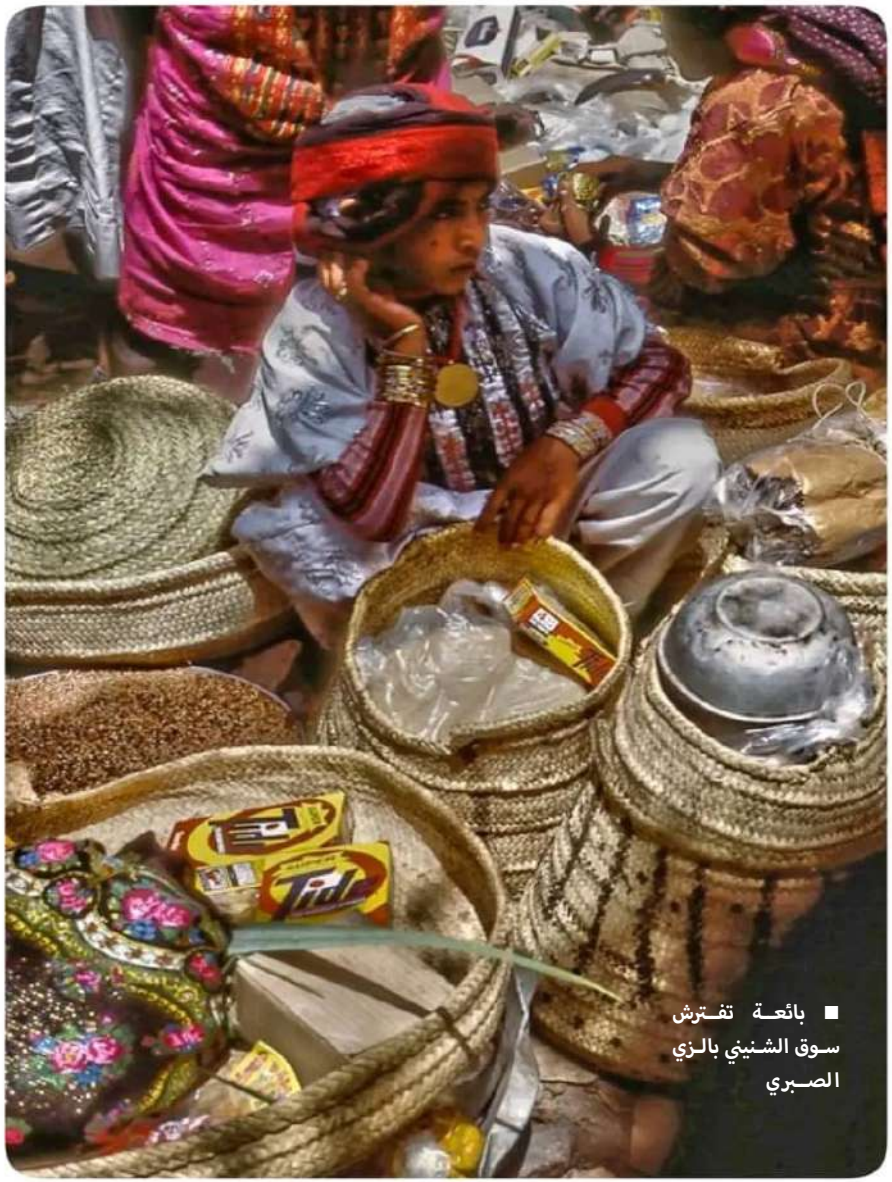

■ بائعة تفترش سوق الشنيني بالزي الصبري

واستقرارهم بسفح القلعة "الحصن"، ليمثل هذا التجمع نواة أولى لمدينة تعز، وميلاد مكان سيترك بصمته على ما حواليه من مدن وأمكنة لقرون قادمة.

توران شاه مؤسس تعز:

تؤكد وتتفق مصادر تاريخية عديدة أن توران شاه - شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي - هو مؤسس تعز، فبعد مكوثه في زبيد لأشهر- عانى فيها وأهله حرارة المكان- ففضل البحث عن منطقة معتدلة، لاتخاذها معقلا لحكم الدولة الأيوبية في اليمن، فانطلق، إثر ذلك، متفحصاً المناطق الجبلية، ليستقر قراره على اتخاذ أسفل قلعة تعز "القاهرة" مكاناً لإقامته، وإدارة شؤون الدولة منها، إلا أن إقامته فيها لم تتعدَّ الأعوام الثلاثة، وأثناء مغادرته أوكل مهمة استكمال بناء المدينة لأخيه سيف الإسلام "طغتكين"، وبالفعل فقد قام "طغتكين" باستخراج الأنهار، وتشييد القصور والدور، وتزيينها بالبساتين المترامية، حتى قيل أنه أرسل لمصر طالباً غروس بعضها، "حسب ما ذكره الباحث محمد بن محمد المجاهد في كتابه "مدينة تعز.. غصن نضير في دوحة التاريخ العربي".

وحين انتقل الحكم من الأيوبيين إلى الرسوليين في عام 1229م وإعلانها من قبل الملك المظفر حاضرة لمملكة بني رسول، حظيت تعز باهتمام كبير، وشهدت ازدهارًا مطردًا في مختلف الجوانب، إضافة لعمليات توسيع كثيرة، وكانت فترة حكم الرسوليين الممتدة (858-626هـ/1229-1454م) أزهى حقب تاريخ المدينة نمواً وتطوراً، حتى أن بعض المؤرخين أكَّد اتساع مساحتها -آنذاك- إلى أكثر من خمسة هكتار ونصف.

معالم باذخة بالجمال:

مدينة تعز غنية بالمآثر والمعالم التي تحكي شموخها وتاريخها المشرق طوال حقبها المتتابعة، التي كانت فيها حاضرة أو مدينة هامة لممالك تناوبت حكم اليمن، كـ"الأيوبيين، الرسوليين، الصليحيين، الطاهريين، المماليك، العثمانيين، الأئمة الزيديين"، وتعكس هذه المعالم اهتمام ملوك وأمراء هذه الممالك - وعلى وجه الخصوص الرسوليين - بالعلم، ومدى البذخ والترف الذي انعكس في نقوش ومعمار وزخارف تلك المآثر.

قلعة القاهرة:

تطل على تعز من قمة مرتفع صخري يبلغ ارتفاعه (1500مترا)، وتعد واحدًا من أهم معالم تعز، باعتبارها معلمًا شامخًا لماضٍ حافل بالأحداث، ومتوج بالعزة والقوة. وتُقدر بعض المصادر التاريخية عمرها بألف عام، وتعيدها إلى

عهد الدولة الصليحية، فيما يؤكد بعض اختصاصي الآثار بأن بناءها يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، وتحديداً إلى عهد الدولة الحميرية.

سُور المدينة وأبوابها:

أشارت المصادر التاريخية إلى أن تعز لم تكن محاطة كليًا بسور واحد في عهد الرسوليين، إلا أنها أكدت بناء أسوارٍ ببعض أحيائها في الحُقب التي شهدت اضطرابًا سياسيًا، مثل سور حي الجحملية، الذي بناه السلطان المجاهد بشرق عُدينة وحول حبيل المُجلية، كما شيد السلطان مسعود - آخر سلاطين الرسوليين- أسواراً أخرى على مرتفعات السراجية غرب المدينة.

بعد استيلائه على المدينة شرع الإمام المطهر ببناء سور عظيم للمدينة وكان ذلك في عام (1536م)، واستغرقت مدة بنائه سبعة أعوام، وهو زمن يشير إلى ضخامته، وقد وصف "كارستن نيبور" - في القرن الثامن عشر- تحصيناته بالقول "سمكه بين (16 – 30 قدماً)، وهو أيضاً مدعم بأبراج صغيرة عديدة، وتغطي طبقة رفيعة من الآجُر الجزء الخارجي منه، أما الجزء الداخلي فهو مبنٍ بِلبنٍ من الطين المجفف في الشمس"، وقد أوضح عالم النباتات الفرنسي "بول إميل بوتا" اتساع هذا السور "المدينة محاطة بسور واسع نسبيًا، بحيث يستطيع عدد من الفرسان السير عليه، وينتهي طرفاه إلى مرتفَع وعر منفصل عن جبل صبر تقع القلعة في قمته".

ويضم سور المدينة الضخم خمسة أبواب هي: الباب الكبير في الجنوب، وباب موسى الذي يقع بالقرب منه، وينسب إلى الشيخ موسى بن عُجيل الذي بنى مسجدًا خارج السور عند مدخل مقبرة الأجينات، والتي تعد المقبرة الرئيسة للمدينة منذ عهد الرسوليين، ولاتزال قائمة حتى اليوم، وهذان البابان "باب الكبير و باب موسى" يقعان على طريق المخا وصنعاء، ويعدان المدخلين الرئيسين للمدينة، وهناك بابان آخران هما: باب المداجر، ويقع في الجنوب الغربي، وكان مخصصًا كمدخل للمدينة من اتجاه الحجرية؛ باب النصر، وعُرف سابقًا بباب الدّمة، ويوجد بجنوب المدينة، ويؤدي إلى قلعة القاهرة مباشرة، وخامس هذه الأبواب؛ باب المخلولة. وتضيف بعض المصادر بابًا آخر هو: باب السائلة.

قبة الحُسينية:

هي عبارة عن ضريح يعود إلى عهد الدولة العثمانية، وتعد تحفة هندسية ومعمارية نادرة، يمتزج فيها جمال المعمار اليمني بفن المعمار العثماني.

ضريح الشبزي:

وهو قبر لحاخام يهودي يُدعى شالوم

شـبازي "سـالم بـن يوسـف الشـبزي (-1619 1720م)، يقـع بحـارة المغربـة، في الجهـة الشرقيـة لقلعـة القاهـرة، ويعـد أبـرز رجـال الديـن اليهـود في اليمـن، كمـا إنـه أحد شـعراء اللـون الحُميـني، وكتـب الشـعر باللغتـين العربيـة والعبريـة.

قصر صالة:

بنـاه الإمـام أحمـد حميـد الديـن في خمسـينيات القـرن المـاضي، وهـو أحـد أهـم وأكـبر المبـاني التاريخيـة، يحتـوي عـلى (360 غرفـةً)، إضافـة إلى الملحقـات الخاصـة بـه،

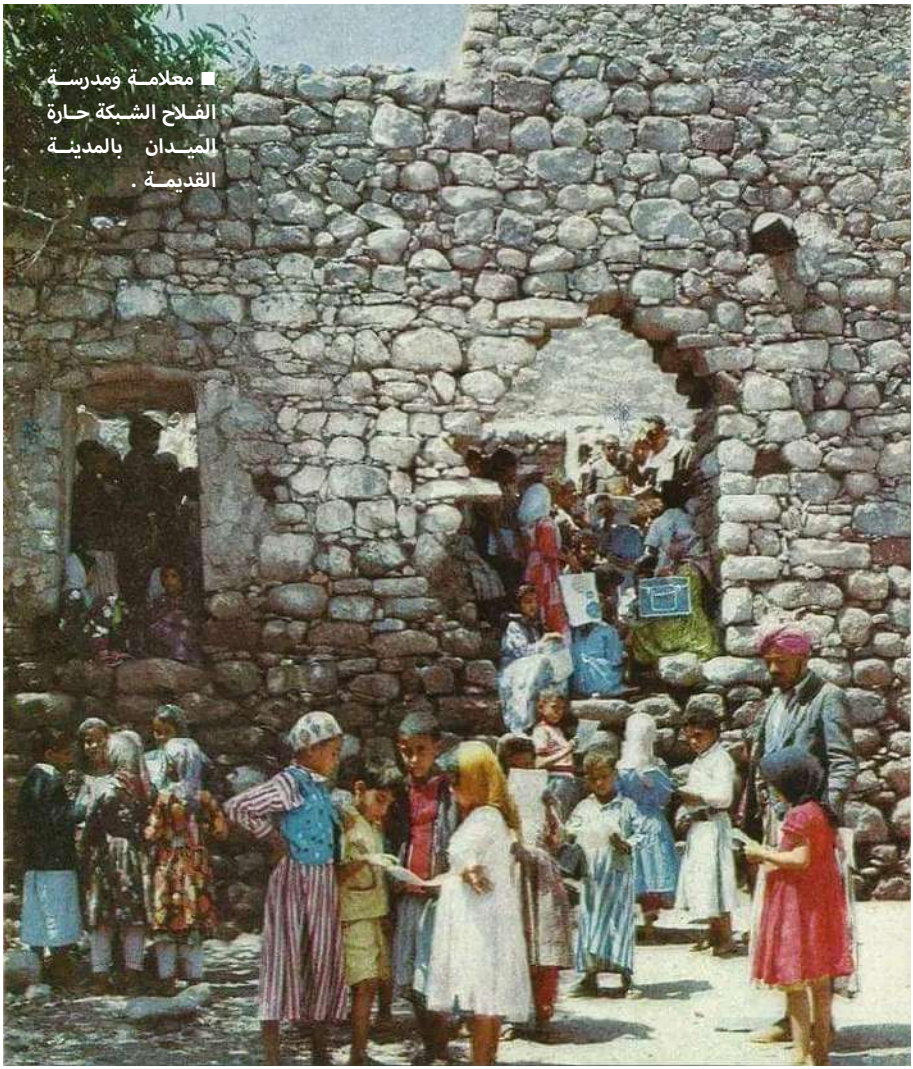

■ معلامـة ومدرسـة الفـلاح الشـبكة حـارة الميـدان بالمدينـة القديمـة .

كما تتواجد قصور أخرى، كقصر العُرْضي، وقصر البدر، ويرجعان لحقبة المملكة المتوكلية.

شموخ المظفر يحتضر:

جامع ومدرسة المظفر، بناه الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي في عام (650ه)، ولا يزال منتصباً وشامخاً بمأذنة وحيدة متبقية بعد انهيار الأخرى، يمتاز بقبابه الـ(28)، تتصدر ثلاثٌ منها واجهته القبلية، فيما تتوزع بقيتها على مساحة كبيرة، تشمل الحمامات المرفقة، وبعض الأقسام الأخرى، وفي أسفل الجامع تقع المدرسة الملحقة به، والتي عُثر عليها مع المقبرة الملكية صدفة في عام 2006م بعدما ظلتا مجهولتين لقرون.

الأشرفية والمعتبية:

تؤكد معظم المصادر والنقوش الموجودة في المدرسة الأشرفية أن البدء ببنائها يعود للعام (800ه/1397م) بأمر من الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن الملك الأفضل عباس، كجامع يحتوي على مدرسة دينية، وتشير تلك النقوش إلى تزامن وفاته مع افتتاح المدرسة بعد الانتهاء من أعمال البناء في عام (803ه) وترافق البدء ببناء جامع ومدرسة الأشرفية مع الشروع ببناء المدرسة المعتبية بأمر من زوجته الأميرة "جهة الطواشي معتب بنت عبدالله".

عادات ومناسبات:

تتميز تعز بطقوس خاصة في مناسباتها، ففي الأعياد - على سبيل المثال- تبدأ طقوس الابتهاج والترحيب به منذ مدة، من خلال شراء الكسوة ولوازم العيد، وتُعطي الأسر الأولوية لشراء ملابس للأطفال، وفي ليلة العيد لاينام الأطفال "ذكورًا أو إناثًا" عادة، فيما يُفضِّل الشباب التجمع في أحياء المدينة، لتبدأ طقوس العيد بخروج الأطفال والشباب للمعايدة على الأهل والجيران، وفي الغالب يتحصل الأطفال على العيدية.

لاتزال هناك خصوصية تمتاز بها الأعراس في تعز، إذ تُدشن فعاليات الاحتفاء بالعروس قبل (7-4 أيام)، وتبدأ بيوم الحنّاء، وتستمر احتفالات النساء بشكل يومي، يرتدين يوم زيًا تقليديًا لمنطقة أو مدينة معينة، فمثلًا يَخصصن يومًا للزي الصبري، وآخر للزي العدني، وهكذا باقي الأيام، وتتميز هذه الاحتفالات برقصتي الشرح، والزبيرية. وحتى وقت قريب كانت ملابس العروس ومستلزماتها توضع بحقيبة معدنية "شنطة".

أمَّا رمضان فيكتسب في تعز ميزة إضافية، إذ تتناوب فيه زيارات الإفطار بين الأسر، وتصير (السمبوسة) على رأس قائمة الإفطار، والحلويات مادته الرئيسة، وعادة يتجمع الرجال لمضغ القات سوية، فيما تنشغل النساء بالزيارات القصيرة للأهل.

■ مؤسسة السعيد واجهة ثقافية بتعز

أربطة ومدارس وعلماء:

اهتم السلاطين والأمراء بإنشاء المدارس والأربطة ودور العلم، وقد أشار المؤرخ إسماعيل الأكوع - صاحب كتاب "المدارس الإسلامية في اليمن"- بأن عددها وصل إلى (137 مدرسة) فيما أكد الباحث عبدالله بن محمد الحِبْشي في كتابه "حياة الأدب اليمني" أن عدد المدارس التي بناها الرسوليون وحدهم بلغ (49 مدرسة)، وتؤكد المصادر التاريخية انحصار نطاق هذه المدارس في مناطق ما عُرف قديمًا بـ"اليمن الأسفل" وهي: عدن، تعز، الجند، جبلة، زبيد، وتنوعت هذه المؤسسات التعليمية، فظهرت الكتاتيب أو المعلامات، والمساجد، والأربطة، والزوايا، ومجالس العلم في منازل العلماء وقصور الملوك.

حظيت مدينة تعز بنصيب كبير من الأربطة والزوايا، التي ينقطع فيها المُرابط للعبادة ومجاهدة النفس، وقد أجزل الملوك العطاء لهذه الجماعات من المتصوفة، واهتموا بإنشاء بيوت "خوانق" اختلاء شيوخ التصوف، ويُعد عبدالحميد بن عبدالرحمن الحيلوتي، ومحمد بن علي المقري، وعمر بن أبي بكر المشهور، وعبدالعزيز بن علي النويري أهم علماء هذه الأربطة والمدارس، كما بُنيتْ دُور الضيف، المخصصة لاستقبال العلماء الوافدين من أنحاء العالم الإسلامي، وقد تدفق إليها مجموعة من كبار علماء المسلمين، لعل أهمهم الإمام مجد الدين الفيروز أبادي، صاحب المعجم الذائع الصيت "القاموس المحيط" الذي ألفه في اليمن، وشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن الجزري.

حاضرة إبداع وثقافة:

ثمة ما تُباهي به تعز أيضًا، فهي ليست تاريخاً ارتبط بالريادة في جوانب السياسة، والتعليم، فحسب، لكنها عاصمة للثقافة والفنون والآداب، ورائدة لحراك معرفي وإبداعي لافت، يتصدره معلمان حديثان لتعز؛ مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، وجامعة تعز، ومعهما إنسان يتوق لاستشراف المستقبل، فمن رحم تعز خرج خيرة مبدعي الوطن، ولا تُذكر تعز إلا ويذكر معها النشيد الوطني بحنجرة فنان الشعب أيوب طارش عبسي، وكلمات الشاعر عبدالله عبدالوهاب نعمان "الفضول"، اللذين شكلا ثنائية إبداعية، متجذرة في الوجدان، والأمر ذاته ينطبق على الفنان عبدالباسط عبسي والشاعر سلطان الصريمي.

مبدعو تعز كُثر، فلا يخلو مجالاً من مجالات الفن والإبداع من ريادة تعزية، ففي الفنون الجميلة "رسم وتشكيل" يطلُّ اسم "هاشم علي" بوصفه واحد من رواد الفن التشكيلي اليمني والعربي، مع وجود أسماء أخرى نقشت حضورها بفاعلية في المشهد التشكيلي، كحكيم العاقل، ورشاد السامعي، ووليد دلة، وآخرين. وغير بعيد عن جماليات الصورة، فقد عُدَّ أحمد عمر العبسي رائدًا لفن التصوير الفوتوغرافي في اليمن والجزيرة العربية، بافتتاحه أول استوديو تصوير في مدينة عدن سنة 1930م، ثُم افتتح استوديوها مماثلًا في مدينة تعز عام 1949م، بعد انتقاله إليها.

في الضفة الأخرى، تُسهم تعز بحضور مميَّز في المشهد السردي والشعري، ففي السرد "قصة ورواية" استطاع بعض كتابها الانطلاق نحو فضاءات إبداعية تجاوزت المحلية، ومنهم: محمد عبدالولي، علي المقري، محمد عبدالوكيل جازم، ريان الشيباني، بشرى المقطري، أحمد غالب الجرموزي، عزالدين سعيد أحمد. كما

■ هاشم علي .. رائد الفن التشكيلي في اليمن

تحتفي تعز بقامات شعرية سامقة ومؤثرة كـ"أحمد الجابري، د. سلطان الصريمي، عبدالله عبد الوهاب نعمان، محمد عبدالباري الفتيح، عبده عثمان، محمد عبدالوهاب الشيباني، سعيد الشيباني، عبد الله سلام ناجي، القرشي عبد الرحيم

سلام، عبد الفتاح إسماعيل، علي بن علي صبرة ... إلخ. ومثلما مارست تعز دوراً تاريخياً ريادياً كحاضرة سياسية لليمن، فمن المؤكد أنها استطاعت أن تضيف لنفسها امتيازًا آخر، كرائدة حراك ثقافي وإبداعي عميق وصاخب.

ضريبة نجاح:

مثلت تعز طوال الفترة الماضية - منذ قيام الثورة ضد الحكم الإمامي - مركزًا ثقافياً وحيوياً وازناً، وتعزز دورها التنويري بوسائل متعددة، ومن تلك الوسائل، دُور السينما، إذ تميزت حقبة سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، بانفتاح وتسامح، الأمر الذي جعل وجود دُور السينما أمرًا طبيعيًا، وبلغ عدد هذه الدُّور في مدينة تعز وحدها 5 دُور هي؛ سينما بلقيس، تقع بالسوق المركزي القديم، بالقرب من شارع التحرير، سينما سبأ، تقع في شارع التحرير، سينما المسبح، بحي المسبح، سينما 23يوليو بباب موسى، سينما الجحملية. وقد أدت هذه الدُور نشاطًا تنويريًا، ولاقت شعبية كبيرة، وفي الغالب كانت تعرض أفلامًا هندية، وعربية، وأمريكية. وكانت تحتوي دار السينما على قاعتي مشاهدة؛ الصالة العادية، والبلكون، وعادة يكون البلكون مخصصًا للعائلات.

مع التأكيد على عدم وجود سينما في ذلك الوقت، إنما اقتصر عمل هذه الدُّور على العرض السينمائي، أو حتى المسرحي، لكنه كان مميزًا، وشاهدًا على مرحلة مضيئة، اتسمت بالاعتدال والانفتاح، وانزواء مؤشرات الغلو، لكن تغير الحال بمنتصف التسعينيات، فظهرت حملات مسعورة استهدفت السينما والفكر عموما، ونتج عنه إغلاق هذه الدُور، كمقدمة لحملات تالية مهدت لما هو أبعد من ذلك!!

(*) كاتب ومحرر صحفي

■ إحدى مصانع مجموعة هائل سعيد أنعم بمدينة تعز.

المجتمع المدني في اليمن يرزح تحت التعسفات والقيود

تقرير – هناء عبدربه ٢٠٢٣

على امتداد التاريخ السياسي لليمن، خضعت بيئة الفضاء المدني لتحديات متعددة في شطري البلاد، وكان المشهد العام يبدو معتماً ومقيدا حتى في أوقات ما قبل الحرب، ما يدل على تأثره بالتقلبات المزاجية للسياسة.

خلال ذلك ظهرت سياقات كثيرة للبيئة المدنية كان أبرزها الشكل المدني في عدن إبان الاستعمار البريطاني لجنوب البلاد، حيث اعتبر نقطة البداية للمجتمع الأهلي في عدن إلا إنه كان محدودا وبسيطا، رغم استلهام المناطق الخاضعة لحكم الإمامة في شمال الوطن من التجربة العدنية.

جاء ذلك بعد تحفيز الحركة التعليمية وإنشاء النوادي الخاصة بها والتي بدورها شكلت ضغطا على حكومة المستعمرة البريطانية، خاصة مع إنشاء مصافي عدن 1952 وظهور النقابات العمالية وزيادة تدفق الوافدين.

خلال تلك الفترة شجعت السلطات البريطانية على إنشاء الجمعيات الخيرية والنسوية والأندية الثقافية والأدبية، فيما حظرت أي تحرك سياسي، لكن ذلك لم يدم طويلاً فقد عاشت هذه الأندية فرض رقابة ووضع أولويات يجب أن تتبعها، كالاهتمام بالمناسبات الأجنبية حصراً وهو ما أثار غضب هذه الجهات وجعلها تتبنى أفكار قومية كإنشاء جمعية المرأة العربية عام 1956 من قبل نساء عدنيات وهو انشقاق عن أحد الأندية التي أسست من قبل زوجة حاكم عدن.

وأسهمت النقابات العمالية بقوة في اندفاع النوادي والجمعيات الأهلية على خوض غمار السياسة، وهو الأمر الذي صب في صالحها وتوسعت أدوارها الاجتماعية وشملت مجالات كثيرة كابتعاث الطلاب وإقامة الأمسيات الثقافية والسياسية وغيرها من الأنشطة، إضافة لظهور أحزاب وتيارات مناوئة لحكم الإمام يحيى حميد الدين في شمال اليمن قبل أن تجمد السلطات البريطانية هذه الأحزاب.

بدت الحالة المدنية في شمال اليمن الذي كان يعيش تحت حكم الإمامة منذ ثلاثينيات القرن الماضي ضعيفة مقارنة بالجوار، ما عدا وجود أندية أدبية مشابهة لنوعية الأندية

في عـدن. كان قـد مـضى الإمـام آنـذاك في سـحب البسـاط مـن تحـت أقـدام الجميـع، كرجـال الديـن الذيـن يحظـون بثقـل اجتماعـي وقبـلي، وأبنـاء الأسر القبليـة والهاشـمية الذيـن لا ينتمـون لنفـس أسرتـه، ورغـم القمـع الـذي بـدأ مبكـراً مـن بعـد خـروج الاحتـلال العثمـاني من شـمال اليمـن، ظهـرت معارضـة سياسـية قويـة ومناهضـة للحكـم الامامي، كانـت أقـوى حـتى مـن المعارضـة في جنـوب الوطـن.

مـع مـرور الوقـت وارتفـاع حـدة المعارضـة في السـتينات، بـرزت في المناطـق الوسـطى والجنوبيـة مـن شـمال اليمـن، جمعيـات أهليـة كان لهـا دور ملحـوظ في تحسـين جـودة الحيـاة العامـة بفضـل التحويـلات النقديـة الآتيـة مـن المغتربـين في دول الخليـج، تسـببت في ازدهـار العمـل الأهـلي اجتماعيـاً وثقافيـاً وتنمويـاً، اسـتمر ذلـك حـتى السـبعينات مـع ولادة دولـة جديـدة شـجعت حينهـا العمـل الأهـلي وسـعت لتجعـل التنميـة جـزءاً مـن عملهـا.

ولادة جديدة:

بعـد ولادة دولـة الوحـدة اليمنيـة في مايـو/ أيـار 1990 شـهد المجتمـع اليمـني حالـة مـن النمـو، فـازداد معهـا عـدد المنظمـات الأهليـة بشـكل ملحـوظ، وأفسـح لهـا النظـام آنـذاك حـيزًا واسـعًا، رغـم أن هـذه المنظمـات أخـذت الشـكل التقليدي للجمعيـات الأهلية السـابقة أو بنـت نفسـها عـلى هامشـها، وهـو مـا اعتبرتـه الدراسـة الصـادرة مـن مواطنـة لحقـوق الإنسـان، "خاصيـة أساسـية للمجتمـع المـدني في اليمـن تسـتدعي الإقـرار بـأن المجتمـع الأهـلي قبـل الوحـدة لـم يكـن مجـرد مرحلـة بدائيـة لمجتمـع مـدني ذو سـمات جوهريـة مختلفـة، بـل هـو في قلـب المجتمـع المـدني الحديـث ويحيـط بـه مـن جميـع جوانبـه".

خـلال السـنوات الأولى للوحـدة اليمنيـة أتيحـت مسـاحة واسـعة للمجتمـع المـدني، مـع تـوازن القـوى الحاكمـة، خاصـة الحزبـين الحاكمـين "المؤتمـر والإصـلاح" اللـذان انقلبـا بعـد حـرب 1994 واعتـبرا المجتمـع المـدني عدوهمـا اللـدود والبـذرة الـتي تغـذي قـوى "الـشر والتمـرد" في الجنـوب بحسـب رؤيتهمـا للوضـع. تحولـت الحريـة المحـدودة الـتي حظـي بهـا المجتمـع المـدني قبـل ذلـك إلى اسـتهداف وقمـع طـال الصحـف ومنظمـات المجتمـع المـدني والعمـل النقـابي، وأغلقـت الكثـير مـن الصحـف والمنظمـات لهـذا الداعـي، مـع أن الحزبـين الحاكمـين قـد سـعيا قبـل حـرب 1994 لاسـتقطاب المجتمـع المـدني سياسـياً وإنشـاء الجمعيـات التابعـة لـه لإغراقـه والتدخـل في شـؤونه.

بعـد ذلـك سـعى النظـام لإجـراء تعديـلات دسـتورية تتيـح للمجتمـع المـدني مزيـداً مـن الحريـات، لكـن الواقـع كان مختلفـا تمامـاً، فاسـتمرت صـورة التهميـش والقمـع مـع خـذلان

المجتمع الدولي للمجتمع المدني في اليمن، لإرضاء النظام السابق ودفعه نحو التنمية والسلام على اعتبار إنها دولة حديثة خرجت من حرب أهلية، استمر الدعم السخي واللامحدود دون رقابة على الأموال التي تذهب للدولة من أجل التنمية المستدامة ما شجع الدولة حينها على استبعاد المجتمع المدني من الشراكة.

بعد حراك العام 2011 افسح المجال للمجتمع المدني، وشكلت القوى المدنية ثقلاً تفاعلياً في الشأن الداخلي لليمن، وكانت عنصرا فاعلا في مؤتمر الحوار الوطني الذي كان يرعاه الفاعلون بحسب المبادرة الخليجية وأسست الحكومة شراكة معه خلال عامي 2013 و2014 الأمر الذي أتاح له الحديث والتفاعل حول المستقبل السياسي للبلاد.

لكن اعتبرت الدراسة أن "الانطلاقة الجديدة للمجتمع المدني لم تستند في الحقيقة على قاعدة صلبة، بل جاءت في سياق مرحلة انتقالية يسودها الكثير من عدم اليقين، وتتسم بهياكل سياسية هشة وغير متماسكة، وبانعدام الثقة بين الفاعلين السياسيين، وميول واضحة لاستخدام العنف من أجل عكس مسار التحول".

الواقع الحالي:

أفادت دراسة "الفضاء المدني في اليمن.. ديناميات القمع وصور التحدي"، التي أعدتها مواطنة لحقوق الإنسان، إلى أن الأطراف المتحاربة، بعد العام 2014، مارست أشكالاً متنوعة من القمع ضد فضاء المجتمع المدني أثناء النزاع، شملت قيود وتدابير إدارية وقانونية، وإجراءات تعسفية، وانتهاكات وأعمال انتقامية خارج القانون.

وقد أفاد 94,3% من المشاركين في الدراسة عن تعرضهم بصورة مباشرة للتعسف وقيود وإجراءات عنيفة خلال فترة الصراع، وتضم هذه النسبة جميع مكونات المجتمع المدني.

وعمدت الحكومة المعترف بها دولياً إلى تبني سلوكها القمعي التقليدي على كل ما هو مدني، مع وجود شراكة هزيلة مع المجتمع المدني، فهي تجدد حبال الصلة لحاجات وسياقات متغيرة بحسب ما تريد.

مزاجية السلطة في التعامل والأخذ من المجتمع المدني يؤكد على أن السلطة الحالية غير متجانسة الأطراف، لم تبتعد كثيراً عن السلطة السابقة التي حولت الفضاء المدني لساحة من ارهاصاتها، وهذا يُظهِرُ أن السلطات الرسمية لا تشرّع المجتمع المدني.

أما الأطراف المتنازعة الأخرى، فقد أخذت المجتمع المدني كل منها على منوال صنفته بنفسها، حسب ما تقتضي الضرورة السياسية، فالمجلس الانتقالي الجنوبي يعتبر

أن وجـود منظمـات المجتمـع المـدني، وجـود شـمالي متجـذر في البنيـة المجتمعيـة في الجنـوب والمهيمـن في كل البـلاد.

الحوثيـون، أو كمـا يطلقـون عـلى أنفسـهم (جماعـة أنصـار اللـه) هـم أيضـاً عمـدوا إلى كمـش هويـة المجتمـع المـدني وتعويضـه بمجتمـع بديـل مناسـب لـه كسـلطة، ويسـعون بوتـيرة قويـة ومتسـارعة بإنشـاء جمعيـات تابعـة لهـم وجهـات تعمـل في الجانـب الإغـاثي "هيئـة الـزكاة" عوضـاً عـن المنظمـات الإغاثيـة.

ولجـأت هـذه الأطـراف للسـيطرة عـلى فضـاء المجتمـع المـدني في اليمـن، وتكييفـه حسـب مـا يسـعى لـه كل طـرف، وسـعت لتقييـده بطـرق قانونيـة أو باسـتغلال نقـاط قانونيـة بأشـكال ملتويـة للـف ذراعـه.

التأثر بالممارسات القمعية:

وبحسـب الدراسـة، تسـببت سياسـات القمـع الـتي انتهجتهـا الأطـراف المتحاربـة في آثـار سـلبية كبـيرة أضرت بالفضـاء المـدني بصـورة واسـعة، كنقـص التمويـل للمشـاريع النوعيـة وتوجيههـا للبرامـج الإغاثيـة الـتي حولـت كثـير مـن الجهـات توجههـا مـن أجـل الحصـول عـلى تمويـل يعـزز مـن عمـل منظماتهـم، مـا هـدد اسـتدامة المشـاريع والأنشـطة للمنظمـات الـتي قـد يتقلـص عملهـا أو يختفـي.

إضافـة إلى التأثـير عـلى أداء المنظمـات العاملـة ومحاولـة وضـع الأحجـار عـلى طريقهـا، والتعسـف ببعـض الإجـراءات والمنـع والايقـاف للأنشـطة وغـيره، وبالمقابـل هنـاك منظمـات اسـتطاعت أن تسـتجيب للسـلطات الحاكمـة الـتي تتواجـد فيهـا وتعمـل معهـا بمرونـة عاليـة.

لكـن ارتفـاع العراقيـل الـتي تضعهـا الأطـراف المتنازعـة سـببت انحسـار في نمـو المجتمـع المـدني خاصـة في مناطـق سـيطرة أنصـار اللـه (الحوثيـين)، فيمـا ارتفعـت نسـبة المنظمـات الناشـئة أثنـاء الـنزاع في مناطـق سـيطرة الحكومـة والمجلـس الانتقـالي ومناطـق القـوات المشـتركة.

بحسـب الدراسـة فـإن المنظمـات المشـمولة في هـذه الدراسـة أكـدت عـلى اسـتقلاليتها عـن الأطـراف، ووصفـت علاقتهـا بهـا بالهـدوء والاسـتقرار، ويبـين هـذا التعايـش بـين منظمـات المجتمـع المـدني والأطـراف أنـه هـدوء قـد مـر بمراحـل مـن التبايـن والـنزاع، لكـن رغبـة المجتمـع المـدني في تجـاوز هـذه العراقيـل، هـي تعبـير عـن محاولـة النـأي عـن أي صـدام قـد يـضر بعملهـا.

العاملون الحقوقيون على مرمى حجر:

خلصت الدراسة إلى أن الناشطين والناشطات يعيشون أوضاعًا مقلقة بسبب القمع الذي يتعرضون له من الأطراف المتنازعة، مما يجعلهم على مرمى حجر من الأذى لهذه الأفعال، وأجبر ذلك كثير منهم على السفر إلى خارج البلاد أو التوقف عن النشاط الذين يقومون به إيثاراً منهم للسلامة وعدم التعرض للأذى.

واعتمدت السلطات المُسيطرة أسلوب قمعي يهدف إلى تقييد تحركات الناشطين اثناء العمل أو حتى للسفر سواء داخل مناطق الجمهورية أو خارج البلاد، من خلال عرقلتها للتحركات الداخلية وعدم تحرك المرأة إلا بمحرم، والأهم من ذلك حرمان المرأة من حق استخراج وثيقة جواز السفر إلا بوجود محرم.

أما المجتمع فهو الآخر يشكل ضغطا كبيرا على الناشطين مما يدعو العائلات إلى سحب أبنائها، ولا سيما النساء التي تستهدفهن قيود لا نهاية لها تجبر عائلاتهن إلى الرضوخ لضغط المجتمع والسلطات التي تحرض عليهن عن طريق حرمانهن من التنقل بمفردهن أو استخراج جواز سفر كإنسان راشد. وتنتهي الدراسة إلى أن الفضاء المدني في اليمن مشحون بالقمع والانتهاكات ومحاولات التطويع لصالح السياسات على مدى التاريخ الحديث.

هذه البيئة غير الآمنة التي يعيشها المجتمع المدني والمدافعون الحقوقيون والصحفيون أثرت على الحريات التي ينشدها المجتمع المدني نتيجة للتدخلات المستمرة من الحكومة وأطراف النزاع، على الرغم من أنها سمة قديمة متوارثة في الأنظمة اليمنية وقد تبعتها الأطراف الأخرى باستماته عالية، وذلك ما جعل الفضاء المدني يرزح تحت التعسفات والقيود القمعية التي تمارس بحقه، بسبب شعور هذه الأطراف المستمر بخطورة المجتمع المدني على مكوناتها.

.....

[الكتابات والآراء تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل في أي حال من الأحوال رأي إدارة يمن فيوتشر]

تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن في كتاب موسوعي

(التاريخ الذي لا يُكتب كالأحلام التي لا تُفسر) ق. م

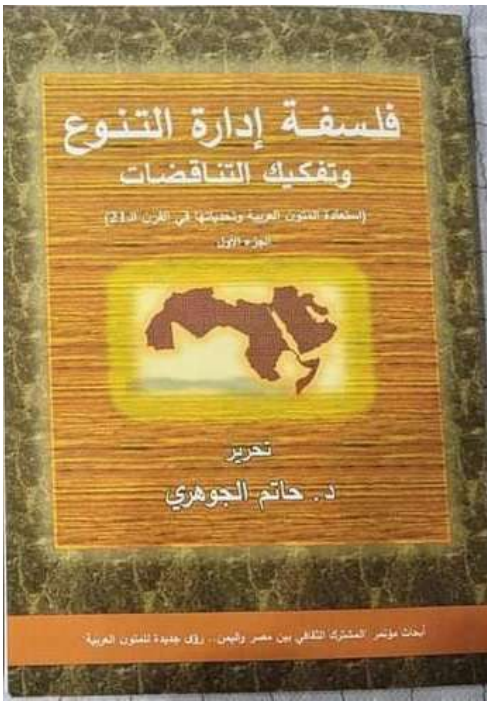

حينما ذهبت إلى معهد البحوث والدراسات العربية، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) في جامعة الدول العربية، بيت العرب الأكاديمي الجامع - الذي أمضيت في رحابه عامين كاملين بمنحة من مؤسسة أكاديمية دولية، وفي هذين العامين توطدت علاقتي الطيبة بإدارة المعهد وعمادته الرشيدة - مما شجعني على أن أحمل في زيارتي الأسبوعية إلى المكتبة ومقابلة مشرفي العلمي الأستاذ الدكتور/ محمد محمود الطناحي، رئيس وحدة الدراسات والبحوث في المعهد بتاريخ 10إبريل 2022م مقترح الدكتور حاتم الجوهري بشأن تأسيس معهد للدارسات الثقافية العربية المقارنة أو على أقل تقدير قسم خاص بهذه الدارسات تتبناه جامعة الدول العربية بوصفه مجالا علميا جديدا، وقد رحب سيادة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى كمال مدير المعهد بفكرة هذا المشروع الطموح وأبدى استحسانه وتفهمه للفكرة والمشروع، ووعد ببذل كل ما يستطيع القيام به لهذا الغرض. وذلك انطلاقا من أهمية المشروع ومسوقاته المستقبلية إذ تواجه العلوم الاجتماعية والإنسانية العربية – اليوم - جملة واسعة ومعقدة من المشكلات الاجتماعية والإنسانية الحيوية على مختلف الأصعدة النظرية والمنهجية والتطبيقية، مشكلات ابستمولوجية عامة تتصل بأزمة العلم ذاته ومشكلات عملية تتصل بحياة المجتمعات العربية بنسب متفاوتة فضلا عن القضايا الإنسانية العالمية كمشكلة سباق التسلح والحروب والأمن والسلام الدوليين، ومشكلات البيئة الأرضية والأوزون، وصدام

وحـوار الحضـارات، ومشـكلات الاقتصـاد والتجـارة والمـال والأعمـال العابـرة للقـارات، ومشـكلات الفقـر والصحـة والمـرض، ومشـكلات التطـرف والإرهـاب والعنـف، ومشـكلات الهويـات الطائفيـة والتعدديـة الثقافيـة، والأقليـات والتميـيز والتعصـب والاسـتبعاد الاجتماعـي، والهجـرة غـير الشرعيـة والاندمـاج، والمخـدرات ومشـكلات الفسـاد والبطالـة والحـركات الاجتماعيـة والثـورات، وقضايـا حقـوق الإنسـان والمـرأة والطفـل والشـباب، وكل مـا يتصـل بالحقـوق المدنيـة، ومشـكلات التربيـة والتعليـم والجـودة والاعتمـاد الأكاديمـي، ومشـكلات السياسـة والنظـم السياسـية والعدالـة والحريـة والديمقراطيـة والمجتمـع المـدني والعدالـة الانتقاليـة. والمشـكلات الأخلاقيـة للعلـم؛ كالاستنسـاخ، وزراعـة الأعضـاء، ومنـع الحمـل، ومشـكلات الفضـاء السـيبرنيتي والأقمـار الاصطناعيـة والوسـائط الإعلاميـة والتواصليـة الجديـدة والآثـار الاجتماعيـة لجائحـة فـيروس كورونـا 19 فضـلا عـن المشـكلات المسـتعصية الـتي تفتـك بالمجتمعـات العربيـة والإسـلامية منـذ زمـن طويـل ومنهـا: مشـكلة الهويـة والحـروب الطائفيـة إذ تعيـش مجتمعاتنـا العربيـة اليـوم حـروب طائفيـة مسـتعرة في كل مـكان (شـيعية، سـنية، مسـيحية، عربيـة كرديـة، في العـراق وسـوريا. ومسـيحية، شـيعية، سـنية، درزيـة، في لبنـان. وزيديـه، حوثيـة، أثناعشريـة، سـنية، سـلفية، عشـائرية، وجنـوب، وشـمال، في اليمـن) يحتـدم كل هـذا في فضـاء ثقـافي نفسـي مشـحون بعنـف رمـزي، وهسـتيريا عصابيـة جماعيـة عدائيـة شـديدة التحريـض والانفجـار (روافـض، نواصـب، خـوارج، مجوسـية، صفويـة، قاعـدة، أنصـار الشريعـة، حـزب اللـه، أنصـار اللـه، داعـش والنـصرة ...إلـخ) وغـير ذلـك مـن المشـكلات الحيويـة الأخـرى.

والسـؤال هـو: مـاذا بوسـع العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية عملـه بـإزاء تلـك القضايـا الراهنـة، فضـلا عـن التحديـات المسـتقبلية إذ إن اسـتشراف المسـتقبل والبحـث فيـه لـم يعد اليـوم مـن بـاب الرجـم بالغيـب أو التنجيـم أو التنبـؤ أو التخمـين والظـن والشـطح الصـوفي، بـل غـدا اليـوم ضرورة حيويـة وجوديـة واسـتراتيجية للبقـاء والعيـش في عالـم تعصـف بـه الأحـداث و المتغـيرات بخطـى سريعـة الايقـاع)فـلا مسـتقبل لمـن فقـد موقـده و ضيـع بوصلـة اتجاهـه(ويـرى (توفلـر) إن الأمـم الـتي تجعـل ماضيهـا هـو مسـتقبلها تشـبه ذلـك الـذي راح يبحـث عـن روح أجـداده في رفـات الرمـاد، فإيهمـا يحكـم الآخـر عندنـا المـاضي أم المسـتقبل ؟!

وبـدون تحريـر المسـتقبل مـن المـاضي لا يمكـن لنـا أن نتقـدم خطـوة واحـدة إلى الأمـام بينمـا نتراجـع خطـوات كثـيرة إلى الخلـف، لقـد أصبحنـا اليـوم نهـرب إلى المـاضي ونقـرأ فيـه مسـتقبلنا، فأضعنـا الحـاضر والمـاضي والمسـتقبل ولفظنـا التاريـخ في زوايـا الهامـش المنـسي، هكـذا سـوف تكـون مقاربتـا لموضـوع بحثنـا مزدوجـة المعـنى؛ إذ هـي مـن جهـة دراسـة لوضع

العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية العربيـة الراهنـة وممكنتهـا ومـن جهـة أخـرى بحـث في الآفـاق المسـتقبلية لهـا في عالـم باتـت المعرفـة العلميـة هـي مفتـاح تقدمـه وفي ظـل الحضـور المتزايـد لخطـاب العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة عـلى الصعيـد العالمـي واتسـاع نطـاق انتشـارها وتمكينهـا وتوطينهـا أكاديميـا وثقافيـا وإعلاميـا في مختلـف المجتمعـات والبلـدان وتخصيبهـا بـ(الخطابـات البديلـة) الـتي أخـذت تنتـشر في آسـيا وأفريقيـا وأمريـكا اللاتينيـة، عبر فتـح المزيـد مـن المؤسسـات الأكاديميـة ومراكـز الأبحـاث والدراسـات المتخصصـة الرسـمية والمدنيـة هـذا فضـلاً عـن قيـام الهيئـة العامـة للأمـم المتحـدة (اليونسـكو) بإصـدار العديـد مـن القـرارات والتوصيـات والتقاريـر الـتي شـددت عـلى ضرورة نـشر العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة وتنميتهـا في جميـع الـدول الأعضـاء لأهميتهـا الحيويـة في التصـدي للمشـكلات النوعيـة المتزايـدة. "لا يـزال للعلـوم الاجتماعيـة الغربيـة أكـبر تأثـير عـلى المسـتوى العالمـي. لكـن نطـاق هـذا المجـال يتسـع بسرعـة في آسـيا وأمريـكا اللاتينيـة، لاسـيما في الصـين والبرازيـل. وفي إطـار أفريقيـا جنـوب الصحـراء الكـبرى، ينتـج العلمـاء الاجتماعيـون في جنـوب أفريقيـا ونيجيريـا وكينيـا 75% مـن المنشـورات الأكاديميـة. ويحتـل مجـال العلـوم الاجتماعيـة ككل مرتبـة متدنيـة في سـلم الأولويـات في جنـوب آسـيا، باسـتثناء عـدد مـن مراكـز الامتيـاز في الهنـد" (غودمونـد هيرنـز وآخـرون ،الفجـوات المعرفيـة: تقريـر اليونسـكو العالمـي للعلـوم الاجتماعيـة لعـام 2010م. يُنظـر: موقـع منظمـة الأمـم المتحـدة للتربيـة والعلـم والثقافـة).

ويعـد هـذا الكتـاب الـذي بـين أيدينا الموسـوم بـ(فلسـفة إدارة التنـوع وتجـاوز التناقضات؛ اسـتعادة المتـون العربيـة وتحدياتهـا في القـرن ٢١) الـذي يقـع في جزأيـن كبيريـن، وصفحاتـه أكـثر ٩٥٠ صفحـة مـن القطـع الكبـير) ثمـرة مـن ثمـار التنسـيق والتواصـل بـين معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة ومـشروع الدراسـات الثقافيـة المقارنـة والسـفارة اليمنيـة وهـو يشـتمل عـلى جميـع الأبحـاث الـتي إجازتهـا اللجنـة العلميـة (لمؤتمـر المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن.. رؤى جديـدة للمتـون العربيـة) وقـد تشرفـت برئاسـة لجنـة العلميـة تكونـت مـن نخبـة أكاديميـة وعلميّـة متميـزة في البـلاد العربيـة مـن الزمـلاء الأعـزاء والزميـلات العزيـزات التاليـة أسـمائهم:

1. أ.د. محمد محمود الطناحي. (مصر)
2. د. حمود صالح العودي. (اليمن)
3. أ.د. محمد الناصر. (تونس)
4. أ.د. حسام الدين درويش(سوريا)
5. أ.د. خليل محمد عودة. (فلسطين)
6. أ. د. دوللي كمال الصراف (لبنان(

7. أ.د. عمر كامل حسن. (العراق)
8. د. سليمة مسعودي. (الجزائر)
9. د. سعيد القميري (اليمن)
10. د. عبد الحكيم خليل (مصر)
11. د. عبد الكريم براهمي. (تونس)
12. د. أريج البدراوي. (مصر)

وعلى مدى عام كامل من التواصل والاتصال مع الباحثين والباحثات من مختلف الأقطار العربية، فضلا عن الدعم والتنسيق مع السفارة اليمنية في القاهرة ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، فضلا عن استفادتنا من المشاركة في مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر وتونس. ورغم ما جرى من مفاوضات مرهقة جدا إلا أن اللجنة العلمية عملت كل ما بوسعها لضمان الجودة الأكاديمية للأبحاث والدراسات التي تم تقييمها وتحكيمها بدقة متناهية من قبل أعضاء اللجنة العلمية الموقرة كل في اختصاصه.

ورغم كل ما حدث من اضطراب إلا إنني اشكر الزملاء الأعزاء والزميلات العزيزات من أعضاء اللجنة العلمية على تعاونهم وتفاعلهم الكريم كما أهنىء الباحثين والباحثات اللذين بادروا بإرسال أوراقهم العلمية للمشاركة في المؤتمر برغبة وحماسة. مع خالص الاعتذار عن التأخير لأسباب خارج ارادتنا.

وكنت أتمنى أن يحتوي غلاف الكتاب على الايقونات الثلاث للسفارة اليمنية ومعهد البحوث والدراسات العربية ومشروع المشترك الثقافي والدراسات العربية المقارنة في غلاف الكتاب الأول وأن يتم تثبيت اعضاء اللجنة العلمية الذين ينتمون إلى مختلف الأقطار العربية في ظهر الكتاب حتى يكون للمشترك الثقافي العربي معنى ودلالة أكثر ولكن قدَر الله وما شاء فعل.

والمهم في الأمر أن المؤتمر قد تم والكتاب صدر وهو للأمانة أهم وثيقة أكاديمية يتم إنجازها في مشروع الدراسات الثقافية العربية المقارنة.

وهذا الكتاب يُعدُّ من المراجع العلمية المهمة في حقل الدراسات التاريخية والثقافية المشتركة بين مصر واليمن. جاء الكتاب وهو أول كتاب شامل في تاريخ العلاقة بين مصر واليمن التي تمتد إلى مراحل موغلة في القدم، ربما إلى سبعة الف عاما مضت وذلك بحكم جوارهما الجغرافي واتصالهما البحري فكما أن باب المندب يعد منذ أقدم العصور بوابة مصر الجنوبية فكذلك شكلت قناة السويس بوابة اليمن الشمالية. وحينما فكرنا في طبيعة العلاقة بين مصر واليمن وجدنا أن الروابط والعلاقات الثقافية

بـين البلديـن أعمـق وأكـبر وأكـثر ممـا كننـا تصـور. روابـط جغرافيـة قديمـة جـدا وروابـط اقتصاديـة وتجاريـة وروابـط حضاريـة وثقافيـة موغلـة في القـدم وروابـط أدبيـة وفنيـة وعلميـة ودينيـة مسـتمرة عـبر العصـور وهـذا مـا يجعلنـا في قلـب مدرسـة التاريـخ الجديـد. إذ يُعـد فرنـان بروديـل مـن أبـرز رواد مدرسـة التاريـخ الجديـد في فرنسـا، وقـد أكـد عـلى أن التاريـخ يجـب أن يكـون شـمولياً أو لا يكـون، " وهـو يحتـاج إلى العلـوم الاجتماعيـة الأخـرى، وقـادر عـلى تبـني إشـكال التفسـير الجديـدة الـتي تبتدعهـا هـذه العلـوم وتكييفهـا لأغراضـه الخاصـة. والتاريـخ قـادر بـدوره عـلى تقديـم مـا تفتقـر إليـه العلـوم الأخـرى، وهـو البعـد الزمـني، الـذي يمثـل خصوصيتـه، ولا يهـم في نظـر بروديـل أن أتهـم البعـض التاريـخ بأنـه (امبريـالي) يريـد ابتـلاع كل شيء" وهـو الامـر الـذي فعلـه بروديـل حينمـا جعـل مـن عالـم البحـر الأبيـض المتوسـط والعالـم المتوسـطي عـلى أيـام فيليـب الثـاني – وهـذا هـو عنـوان الكتـاب الـذي أصـدره عـام 1949 – نموذجـاً تطبيقيـاً لكتابـة التاريـخ بحسـب المنهجيـة الشـمولية الـتي يدعـو إليهـا. وقـد توصـل بروديـل مـن دراسـته المسـتفيضة لهـذا الموضـوع إلى وجـود شـخصية تاريخيـة لهـذا البحـر. وقـد تجـلى ذلـك في وحـدة النظـم الاقتصاديـة والسياسـية الـتي سـادت في معظـم الـدول الـتي قامـت عـلى شـواطئه.

وفي ضـوء مـا تقـدم، فقـد اسـتنتج أحـد الباحثـين، أن الأفـق التاريخـي (الشـمولي) عنـد فرنـان بروديـل كانـت تسـيطر عليـه (موضوعـة الحضـارة) وهـي تعـني عنـده: "مجموعـة تاريخيـة يشـملها نمـط واحـد مـن نظـم الحيـاة الماديـة والروحيـة، والسـمة الأولى للحضـارة هـي أنهـا حقيقـة واقعيـة ذات مـدة مفرطـة في الطـول، وسـمتها الثانيـة هـي أنهـا مرتبطـة أوثق الارتبـاط بمكانهـا الجغـرافي" إذ يقسـم بروديـل التاريـخ إلى ثلاثـة أزمنـة في الزمـان التاريخـي وهـي: الزمـان الجغـرافي والزمـان الاجتماعـي والزمـان الفـردي. وفي إطـار هـذا الفهـم تـبرز "امكانيـة لكتابـة ثلاثـة تواريـخ ثانويـة أو فرعيـة تصـب كلهـا في ذات التاريـخ الأصـلي (الـكلي) أو (الشـامل): أولهـا تاريـخ جغـرافي (يهتـم بدراسـة الطبيعـة أو المـكان كتاريـخ)، ثانيهـا: تاريـخ ظـرفي اجتماعـي (يعـنى بدراسـة المجتمـع والحضـارة)، ثالثهـا: تاريـخ حـدثي (سـياسي). ولا يعـني هـذا الاخـير عـودة مقنعـة إلى المنهـج التاريخـي القديـم، بـل التأكيـد عـلى أن ثمـة شروطـاً تحـدد الحـدث نفسـه وتسـمح بإمكانـه". وقـد تمكّـن بروديـل مـن كل مـا تقـدم مـن إنجـاز كتابـه (البحـر الابيـض المتوسـط والعالـم المتوسـطي عـلى عهـد فيليـب الثـاني) تاريخـاً متعـدداً لكنـه واحـد، لأن حركتـه تسـير مـن البنيـة، أي مـن شروط لا مـكان إلى الحـدث.

هـذا (البارادايـم) في رؤيـة التاريـخ والعالـم مـن جديـد هـو الـذي لمحتـه وأنـا بصـدد كتابـة ورقـة بحثيـة في مـدارات مـا بعـد (الكولونياليـة). إنـه البحـر الـذي يسـتحق القـراءة منـذ أقـدم العصـور ولا زال هـو مـن يشـكل ويعيـد تشـكيل العالـم بمختلـف الصـور والأنحـاء

وكل دراسة لأحداث ووقائع التاريخ الأرضية تظل قاصرة بدون أن تشتمل على فهم دور البحر وتأثيره المباشر وغير المباشر في حياة الناس الترابية. وليس هناك رابطة بين الشعوب أهم من المكان؛ فالمكان هو البعد الأساس للكائن الحي. كون، كان، مكان، كائن، كيان، كينونة، مكين، تمكين وغير ذلك من الأسماء والصفات التي تدل على المكان بوصفه كيانا مشخصا متعينا للعيان. فلا كيان بلا مكان وليس شخصا ذلك الذي لا ينتمي إلى أي مكان. فالمكان هو الثابت الدائم الذي يمنح الإنسان كينونته الوجودية في هذا العالم. ولا كينونة خارج المكان، إنه الأرض أو السطح الذي يحتوي الأجسام كلها بوصفها (كياناتا وكائناتا) محسوسة ملموسة يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو بالتلسكوبات الرقمية. فلا شيء خارج الأمكنة التي تحيط بالكائنات من جميع الجهات. الأمكنة هي لغة الكينونة الأصلية التي تقول كل شيء دون أن تتكلم! صمتها يدل عليها وصخبها يمنحها هويتها. لغة بصرية وسمعية زاخرة بالمعاني والدلالات المفعمة والأسطح والأبعاد والامتدادات والنتوءات والانحدارات والفضاءات والألوان والضلالات بالأنوار والظلمات. إنها قاع كل شيء وأصل كل كيان من الكون ذاته إلى أصغر ذراته. للأمكنة سطوتها وسلطتها القاهرة التي يستحيل الهرب منها أو تجاوزها فكل ما تستطيعه الكائنات بإزائها هو التكيف معها بإعادة تأثيثها بالوسائل الممكنة. وهذا هو كل ما يستطيع بلوغه الإنسان في هندسة المكان وتسويسه بما يجعله قابلة للعيش والتمكين أما الحيوانات فهي تعيش المكان بطبيعته الأصلية وبغريزتها الفطرية. الإنسان وحده عبر تاريخ الطويل الذي تمكن من منح المكان ملامحه الإنسانية بالفعل والنشاط والانفعال والبناء والتعمير والتنمية وبهذا المعنى يمكن القول: إن الجغرافيا تحضر بصور شتى أما التاريخ فهو ذاكرة الزمان والمكان. لقد شكّل المكان منذ الكينونة الأولى وما زال يشكّل ويستمر محور الرهان الجيوبوليتيكي في صراع القوى الفاعلة على كوكب الأرض وهذا هو موضوع كتاب روبرت كابلان انتقام المكان. فأين هو موقع الصين والعرب اليوم في صراع الأمكنة وتأكيد حضور الكيان؟ يقول روبرت كابلان: "ثمة مكانٌ جيدٌ لفهمِ الحاضر، ولطرح الأسئلة حولَ المستقبل، وهو أديمُ الأرض، مع السَّفر فوقها بأبطىء ما يمكن" (ينظر، روبرت كابلان، انتقام الجغرافيا، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد420، أبريل 2015 .ذلك هو التقديم النظري الذي كنت أحمله حينما عرض عليّ الدكتور حاتم الجوهري فكرة تنظيم مؤتمر للمشترك الثقافي بين مصر واليمن بعد نجاح ندوة المشترك الثقافي بين مصر والسودان الذي شاركت فيها في مقر حزب التجمع بطلعة حرب ونجاح مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر وتونس إذ كنت عضوا فعالا في لجنته العلمية مع الدكتور حاتم الجوهري رئيس المؤتمر والدكتور عمر

كامـل حسـن المفكـر الاسـتراتيجي مـن العـراق العظيـم والدكتـورة أريـج البـدراوي إذ سـبق وإن اشـتركنا في ملـف التدافـع الحضـاري المنشـور في مجلـة الفكـر المعـاصرة الصـادرة عـن الهيئـة العامـة للكتـاب عـدد 19.

وهـذا مـا جعلـني أقبـل بـأن أكـون رئيسـا للجنـة العلميـة لمؤتمـر (المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن؛ رؤى جديـدة في المتـون الحضاريـة) كتـب الدكتـور حاتـم الجوهـري محـرر الكتـاب مـا يـلي" نبعـت فكـرة "مؤتمـر المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن.. رؤى جديـدة للمتـون العربيـة" مـن عـدة روافـد اجتمعـت معـا لتشـكل مسـاره الممتـد طـوال مـا يقـرب عـام كامـل الآن، بدايـة عـلى مسـتوى المبـادرة نفسـها كانـت دعـوة سـيادة المستشـار/ عبـد الرقيـب منصـور مـن السـفارة اليمنيـة بالقاهـرة في شـهر مـارس 2022م، وتحديـدا يـوم انعقـاد مؤتمـر "المشـترك الثقـافي بـين مـصر وتونـس.. الواقـع والآمـال" بـأن دعـا هيئـة المؤتمـر للقيـام بـ"دارسـة حالـة" للعلاقـات المصريـة اليمنيـة، والخـروج بمؤتمـر يـدرس المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن ويؤكـد عـلى الصـلات التاريخيـة والعميقـة بـين البلديـن، ويرصـف الطريـق لمسـتقبلها في ظـل الحاضنـة العربيـة الأوسـع والمشـتركة". (ينظـر: حاتـم الجوهـري، مقدمـة كتـاب، فلسـفة إدارة التنـوع وتفكيـك التناقضـات)

جـاء الكتـاب في ثمانيـة محـاور، المحـور الأول: المتـون العربيـة.. بـين تفكيـك التناقضـات واسـتشراف المسـتقبل. المحـور الثـاني: المشـترك الثقـافي العـربي بـين مـصر واليمـن .. رؤى وآفـاق. المحـور الثالـث: الأدب الحديـث وتجليـات المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن. المحـور الرابـع: أدوار وشـخصيات علميـة فاعلـة بـين مـصر واليمـن. المحـور الخامـس: الصـلات التجاريـة التاريخيـة والهجـرة بـين مـصر واليمـن. المحـور السـادس: الأدب الشـعبي والقديـم وفنونـه بـين مـصر واليمـن. المحـور السـابع: التقاليـد والعـادات المشـتركة بـين مـصر واليمـن. المحـور الثامـن المعتقـد الشـعبي وتمثلاتـه قديمـا وحديثـا بـين مـصر واليمـن.

وقـد عـبَّرتْ عمـادة معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة عـن تثمينهـا العـالي لهـذا الإنجـاز الأكاديمـي الثقـافي الـذي سـوف يشـكل إضافـة معرفيـة مهمـة للمكتبـة العربيـة ورأت فيـه لبنـة أولى في مـشروع الدراسـات البينيـة للمشـتركات الثقافيـة بـين مـصر والـدول العربيـة فضـلا عـن كونـه يـأتي متسـقا مـع أهـداف المعهـد المتمثلـة في تأهيـل الكـوادر الأكاديميـة العربيـة المتخصصـة في مختلـف مجـالات العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية وتعزيـز أواصر العلاقـات البينيـة بـين البلـدان العربيـة. إذ تزخـر المجتمعـات العربيـة الراهنـة بـتراث ثقـافي وحضـاري مشـترك غـني، ففـي كل بلـد عـربي يوجـد مسـتودع خصيـب للهويـة الثقافيـة العربيـة المشـتركة المتمثـل في اللغـة والعـادات والتقاليـد والقيـم والمعتقـدات والنقـوش والآثـار والأزيـاء والأطعمـة والرمـوز وغيرهـا. كل تلـك المقومـات تجعـل الإنسـان العـربي في

كل قطـر يقيـم بـه إنسـانا مندمجـا ثقافيـا ولا يشـعر بالغربـة والاغـتراب إلا حينمـا يتذكـر جـواز السـفر الـذي يحملـه بوصفـه موطنـا مـن دولـة عربيـة أخـرى. وحينمـا ننظـر إلى المتـون الحضاريـة العربيـة اليـوم ونحـن في مطلـع القـرن الحـادي والعشريـن نشـاهد مـدى تاريخـي زاخـر بالمتـون الحضاريـة إذ تربـض الـدول العربيـة الراهنـة عـلى تنويعـه حضاريـة تليـدة كانـت تشـكل نصـف حضـارات العالـم القديـم فهـا هنـا تقـع أقـدم حضـارات الدنيـا حضـارة وادي النيـل مـصر والسـودان وفي جنـوب البحـر الأحمـر والجزيـرة العربيـة تقـع أرض الجنتـين كمـا جـاء في القـرآن الكريـم وموطـن الملكـة بلقيـس وبـلاد العربيـة السـعيدة وأهـل الحكمـة والإيمـان بحسـب السـنة الشريفـة ومعقـل الحضـارات التليـدة معـين وسـبأ وحمـير وقتبـان وأوسـان وحضرمـوت وبوابـة العـرب الجنوبيـة عـلى المحيـط الهنـدي والبحـر العـربي وخليـج عـدن وبـلاد سـام بـن نـوح وجنـات عـدن.

وهنـاك في بـلاد الرافديـن ازدهـرت (سـومر وأكـد وبابـل واشـور وكلـدان) وفي الشـام ازدهرت حضـارات (فينيقيـا وآمـور وكنعـان وكيـش) وهنـاك تنويعـة حضـارة ازدهـرت في المغـرب العـربي والشـمال الافريقـي منهـا؛ الليبيـة والفينيقيـة والقرطاجيـة والامازيغيـة والرومانيـة وغيرهـا إذ يزخـر العالـم العـربي والشـمال الافريقـي بـتراث حضـاري وثقـافي غـني جـدا ففيـه نشـأت نصـف حضـارات العالـم القديـم المزدهـرة عـلى الأقـل، مـن جبـال الأوراس إلى النيـل والفـرات واليمـن وشـبه الجزيـرة العربيـة ومـا بينهـم.

وقـد وجدنـا إن القواسـم المشـتركة بـين البلـدان العربيـة زاخـرة بمقومـات ومـوارد كثيرهـا منهـا: الجـوار (الجيوبوليتيـكي) والتجانـس اللغـوي والمشـترك الديـني وبحسـب نظريـة الانتشـار الثقـافي تبادلـت أغلـب الشـعوب والحضـارات المتجاورة نفـس المعتقـدات والمبادئ الدينيـة الأساسـية، مـع وجـود بعـض الاختلافـات الـتي تعـبر عـن خصوصيـة كل حضـارة. ففـي منطقـة الـشرق الأوسـط انتـشرت الأديـان الإبراهيميـة الثلاثـة (اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام) في مراحـل تاريخيـة متعاقبـة وجـاء كل ديـن مكمـلا للديـن الـذي سـبقه. إذ ظلـت العنـاصر المشـتركة حـاضرة فيهـا بصيغـة أو بأخـرى ومـن أشـهر العنـاصر المشـتركة بينهـا، قصـة الخلـق والتكويـن وآدم وحـواء والصـوم والصـلاة والتعاليـم الأخلاقيـة الأساسـية فضـلا عمَّـا تتيحـه ثـورة المعلومـات والاتصـالات الجديـدة أصبـح العالـم مجـالا رؤيـة ومـكان مكشـوف للجميـع؛ فتحطمـت كل الحواجـز والحـدود الـتي كانـت في المـاضي القريـب تفصـل بـين الشـعوب والثقافـات والـدول. إذ كان العـرب حـتى عهـد قريـب يعيشـون كمـا لـو كانـوا في عوالـم مختلفـة، وقـد وجـدوا أنفسـهم فجـأةً جنبـا إلى جنـب، في ظـل عالـم شـديد التناقـض والاضطـراب ففـي حـين يبـدو المشـهد التواصـلي للعالـم ينحـو حثيثـاً نحـو التقـارب والتجانـس والتناغـم والتداخـل نلاحـظ إنـه يشـهد في الوجـه الآخـر عمليـات

مستمرة من الصراع والتنافر والتباعد، حيث "إن العمليات المصاحبة للعولمة والتركيبات البنائية الداخلة فيها أكثر تعقيدًا من أن يعبر عنها بالقول ببساطة بأنها عمليات لتوحيد العالم أو لجعله قرية واحدة. وربما يكون هذا هو التناقض الرئيس الذي أفرزته العولمة وموجاتها المتلاحقة في تشكيل صورة العالم الجديد وصورتنا كذلك؛ فما السبيل لتجاوز تلك اللحظة الخانقة؟ السنا بإزاء متون حضارية وثقافية مشتركة وقابلة للتفعيل والتوظيف الإيجابي الفعال للنهوض من جديد؟ تلك الأسئلة وما يتصل بها هي التي تم بحثها في كتاب مؤتمر المشترك الثقافي الأول بين مصر واليمن؛ رؤى جديدة في المتون الحضارية، وقد جاء الكتاب في سبعة محاور ونوجزها في الآتي:

المحور الأول: خُصص هذا المحور للنطاق النظري بعنوان: "المتون العربية، بين تفكيك التناقضات واستشراف المستقبل" وفي إضمامته أربع أوراق بحثية: الأولى لحاتم الجوهري بعنوان: "استعادة المتون العربية: فلسفة إدارة التنوع وتفكيك التناقضات وتحدياتها"، والثانية لعمر كامل حسن بعنوان: "التحديات الجيوسياسية للمتون العربية: صِعاب وممكنات"، والثالثة لقاسم المحبشي بعنوان: "المتون الحضارية: السياق الثقافي والمعرفي للمفهوم"، والرابعة ليمنى طريف الخولي بعنوان: "إعادة قراءة أصولنا ومتونها: تنضيد للمشترك في المنهجية العلمية المستقبلية". رؤية كلية تؤكد على الشكل العلمي والمنهجي للمتون القيمية والحضارية المستمدة من الذات العربية والدين الإسلامي وتجربته الحياتية، في مواجهة محاولة نزع الشكل العلمي والتجريبي عن الحضارة الإسلامية، التي يستخدمها البعض كوسيلة للتأكيد على المسألة الأوربية ومتلازماتها الثقافية ومركزيتها في مواجهة كل الذوات الإنسانية الأخرى، وأكدت الورقة على تمثلات المشترك العروبي الإسلامي وما بينهما من احتواءٍ منطقيٍّ متبادل؛ فالعروبة قلب الإسلام وأرومته، والإسلام أفق العروبة وامتداداتها المتوالية. وأن هذا "المشترك العروبي" الذي يمثل الإسلام آفاقه العُليا المتوالية، يتجسد عينيا وواقعيًا في عالمٍ معيش يضمُّ سبعًا وخمسين دولة، رسمت اليونسكو حدودًا حولها بوصفِها عالم الثقافة الإسلامية أو دائرة الثقافة الإسلامية، باحتوائها السمح المتعايش لكافة مواطنيها في مُحيط متمكن وقادر على العبور إلى المستقبل.

المحور الثاني: جاء هذا المحور من الكتاب بعنوان: "المشترك الثقافي العربي بين مصر واليمن آفاق ورؤى" في أربع أوارق بحثية: الأولى: لثابت الأحمدي بعنوان: "المشترك الثقافي بين مصر واليمن: رؤية تاريخية وآفاق معاصرة، والثانية: لزينب حسين علي سهيل بعنوان: "المشترك الثقافي والصحافة المصرية ودورها في اليمن، دارسة تاريخية لنماذج من الصحف المصرية 1942-1912م"، والثالثة: لأمين أحمد علي فارع بعنوان:

"تحـولات المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن، الفـترة بـين عـام1962الى1992م"، والرابعـة: لصبحـي عبـد العليـم نائـل بعنـوان: "المشـترك الثقـافي العـربي: وجهـة نظـر في الكوابـح المعرفيـة والمجـردة".

المحـور الثالـث: وعنـوان هـذا المحـور: "الأدب الحديـث وتجليـات المشـترك الثقـافي بـين مـصر واليمـن"، ليرصـد المقاربـات والتمثـلات المشـتركة في الأدب الحديـث بـين مـصر واليمن، وشـارك فيـه كل مـن د.أحمـد إسـماعيل بعنـوان: "تمثـلات الهويـة العربيـة؛ قـراءة في شـعر: أمـل دُنقـل والـبردوني"، د. ولاء أسـعد عبـد الجـواد بعنـوان: "تجليـات البطـل الشـعبي في الروايـة المصريـة واليمنيـة، وقائـع حـارة الزعـف ارني ومأسـاة واق الـواق أنموذجًـا" و محمـد فـؤاد مهيـوب الكارمي بعنـوان: "المـسرح بـين اليمـن ومـصر.. جـدل الفـن والسياسـة" و خالـد جـودة بعنـوان:" النقـد الأدبي والمشـترك الثقـافي المـصر ي اليمـني، أوليـات أدبيـة بـين مـصر واليمـن في فكـر عبدالعزيـز المقالـح" أنموذجًـا"

المحـور الرابـع: وجـاء تحـت بعنـوان: "المشـترك الثقـافي المـصري اليمـني وشـخصيات حـاضرة بـين البلديـن" وشـارك فيـه كل مـن عبدالرحمـن صالـح العُبيـدي بعنـوان: "مُرْتـضى الزَبِيـدي ودوره بـين مـصر واليمـن.. في النصـف الثـاني مـن القـرن الثامـن عـشر"، د. نـوار عبـد العظيـم بعنـوان: "الشـاعر عمـارة اليمـني وسـفارته إلى القاهـرة في عهـد الدولـة الفاطميـة.. النكـت العصريـة في أخبـار الـوزراء المصريـة أنموذجًـا" وكتـب د. شريـف عـلي الأنصـاري حـول شـخصيتين اشـتغلتا بالفلـك، وتعـرض هـذه الورقـة لعالمـين جليلـين همـا (ابـن المجـدي وهـو عالـم مـصري، وابـن العـنز وهـو عالـم يمـني وبينهمـا مـا يقـارب المائـة عـام) عاشـا في القرنـينِ التاسـعَ والحـاديَ عـشرَ الهجريـينِ.

المحـور الخامـس: وهـو بعنـوان: "الصـلات التجاريـة التاريخيـة والهجـرة بـين مـصر واليمـن"، وخُصـص هـذا المحـور لدراسـة الصـلات التجاريـة والتاريخيـة وظاهـرة الهجـرة المعـاصرة بـين مـصر واليمـن، وقدمهـا د. عـوض عبـد الـرب الشـعبي بعنـوان: "الصـلات التجاريـة بـين اليمـن القديـم ومـصر وأثرهـا الحضـاري" و د. بلقيـس عبدالوهـاب صالـح جعـدان بعنـوان: "العلاقـة التجاريـة بـين مـصر وممالـك جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة"، ودينـا طمـان "الهجـرة في مـصر واليمـن.. في ضـوء التغـيرات السياسـية في منطقـة الـشرق الأوسـط"، وزينـب البكـرى بعنـوان: " بُـن المخـا بـين مـصر واليمـن: إرث حضـارى وتكالـب اسـتعمارى.. منـذ القـرن الثامـن عـشر حـتى احتـلال عـدن 1839م".

المحـور السـادس: ويحمـل هـذا المحـور عنـوان: "الأدب الشـعبي القديـم وفنونـه بـين مـصر واليمـن"، وقـد كـرس ليرصـد تمثـلات الأدب الشـعبي بـين البلديـن بعنـوان: "الأدب الشـعبي القديـم وفنونـه بـين مـصر واليمـن"، متنـاولا الحكايـات والأسـاطير والشـعر والموال،

بأربـع أوراق بحثيـة لمحمـد عبـده محمـد بعنـوان: "الأدب الشـعبي المشـترك بـين مـصر واليمـن عـبر التاريـخ" وعبـد القـادر طريـف بعنـوان: "الشـعر الشـعبي بـين مـصر واليمـن.. مشـابهات وجـذور" وأبـو الفتـوح مسـاعد البرعـصى بعنـوان: "شـعر البادية في مـصر واليمـن.. الشـعر الشـفاهى السـيناوى والـدان اليمـنى أنموذجـا"و د.أحمـد سـعد إبراهيـم إسـماعيل عيطـة بعنـوان: "المـوَّال في كل مـن مـصر واليمـن، دِارسـة مُقارنـة في أنثروبولوجيـا الفنـون".

المحـور السـابع: وقـد خُصـص لبحـث ودراسـة "العـادات والتقاليـد المشـتركة بـين مـصر واليمـن"، وتنـاول فنـون الأزيـاء والعمـارة والمجالـس العرفيـة والأمثـال والطـب الشـعبي، ويحتـوي عـلى أربـع أوراق بحثيـة هـي: د. سـامية قـدري بعنـوان: "الأزيـاء الشـعبية وتحـولات الزمـان والمـكان.. مـصر واليمـن أنموذجًـا"و د. مـيُّ السـيِّد محمَّـد مُـرسي بعنـوان: "عمـارة البلـدان الباقيـة شـبام كوكبـان- شـالي سـيوه.. دارسـة أثريـة مقارنـة للطـرز التقليديـة"، وأحـلام محمـد عـوض أبـو نـواره بعنـوان: "المجالـس العرفيـة ودورهـا في الضبـط الاجتماعـي بمـصر واليمـن.. قبائـل أولاد عـلى بمـصر وقبيلـتى العوالـق وحاشـد باليمـن أنموذجـا" و د. منـار عبـد الحليـم محمـد نـاصر بعنـوان: "المشـترك في المـوروث الثقـافي المـصري واليمـني.. الأمثـال والأغـاني الشـعبية أنموذجـا" و د. سـامح شـوقي بعنـوان: "العـلاج بالأعشـاب والنباتـات الطبيـة بـين مـصر واليمـن".

أمَّـا المحـور الثامـن والأخـير فقـد جـاء بعنـوان: "المعتقـد الشـعبي وتمثلاتـه قديمـا وحديثا بـين مـصر واليمـن" ويشـتمل عـلى عـدد مـن الاوراق البحثيـة لـ أريـج البـدراوي زهـران بعنوان: "أسـطورة السـحر بـين الثقافتـين المصريـة واليمنيـة.. بحـث في المشـتركات السوسـيوثقافية" و محمـد عطبـوش بعنـوان: "طبقـات التديـن الشـعبي في معتقـدات الأوليـاء.. بـين مـصر واليمـن" و د. ليبيـا عبداللـه دمـاج بعنـوان: "الكهانـة ودورهـا فـي العهـد القديـم بـين مـصر واليمـن"

ختامـا: يمكـن القـول إن إقامـتي في مـصر لغـرض التفـرغ العلمـي قـد مكنتـني بالتعـاون مـع عـدد مـن الباحثـين المصريـين والعـرب مـن جمـع تاريـخ العلاقـة بـين مـصر واليمـن عـبر ألاف السـنين مـن التواصـل والاتصـال الثقـافي الحضـاري لأول مـرة يتـم جمـع ذلـك التاريـخ المشـترك في كتـاب أكاديمـي عـالي الجـودة والقيمـة في جزأيـن كبيريـن وقـد تـم ذلـك بتعـاون مـن السـفير اليمـني الدكتـور محمـد عـلي مـارم وطاقـم السـفارة المحترمـين. شـكرا للأسـاتذة في اللجنـة العلميـة وشـكرا للباحثـين والباحثـات الذيـن بـادروا بالمشـاركة بأوراقهـم البحثيـة، والشـكر موصـول لـكل مـن سـاهم في إنجـاز هـذا الكتـاب الـذي سـوف يرفـد المكتبـة التاريخيـة العربيـة بمعرفـة علميـة جديـدة ومتبـصرة في المتـون الحضاريـة، وذلـك بغـرض مواجهـة تحديـات الحـاضر إذ إن الرجـوع إلى المـاضي أو اسـتعادة التاريـخ لا يتـم

مـن أجـل التاريـخ ذاتـه ولذاتـه، بـل يكـون حـصرًا بدافـع مـن الحـاضر وتحدياتـه الحيويـة المبـاشرة الفوريـة الراهنـة، بهـذا المعـنى نفهـم قـول فيلسـوف التاريـخ الايطـالي كروتشـه: "التاريـخ حـاضر مسـتمر" إذ لا يوجـد تاريـخ ثابـت أصـلي نقـي صـافٍ محفـوظ في غرفـة مغلقة كمـا يحفـظ الكـنز، يمكـن العـودة إليـه مـتى شـئنا. وكل عـودة أو اسـتدعاء للتاريـخ يجـب النظر إليهـا تاريخيًّـا، وتفسـيرها في شروطهـا المتعينـة، فطريقـة اسـتدعاء التاريـخ والـتراث وانتقـاء المعطيـات والوقائـع والأحـداث وتوصيفهـا وتأويلهـا وأنمـاط التعبـير عنهـا وتوظيفهـا والهدف مـن ذلـك التوظيـف كل ذلـك يُعـبِّر عـن تفاعـلات وعلاقـات وصراعـات القـوى الاجتماعيـة السياسـية المحتدمـة في واقـع الممارسـة الحياتيـة للنـاس الإحيـاء الفاعلـين في الحـاضر هنـا، والآن فالتاريـخ هـو مـا تـم وانقـضى ويسـتحيل عودتـه ولا شيء يخـرج منـه ولا شيء يـأتي اليـه مـن خارجـه. إذ هـو دائمـا فاعليـة لأحيـاء النـاس الذيـن يسـعون لتدبـير حاضرهـم وتجـاوز ماضيهـم وحينمـا يكـون الحـاضر مشـبعا بالحيويـة والنشـاط والفعـل والفاعليـة والفـرح والإنجـاز ينـسى النـاس المـاضي بـكل (عجـره وبجـره) ولـم يعـد يخطـر عـلى بالهـم أبـدا إذ يكـون حاضرهـم الزاخـر بالحيـاة المفعمـة بالإنجـاز والسـعادة، ومسـتقبلهم الواعـد بالتجـاوز الخـلاق هـو الـذي يشـد اهتمامهـم وينسـيهم ماضيهـم ، ومـن السـذاجة الطفوليـة الاعتقـاد بـأن رغبـة النـاس في اسـتعادة ماضيهـم هـي حالـة فطريـة طبيعيـة وربَّمـا يعـود سـبب ذلـك الاعتقـاد الزائـف في الثقافـة العربيـة الإسـلامية إلى العجـز الطويـل عـن إنجـاب حالـة حضاريـة حديثـة وجديـدة تجعلهـم ينسـون ماضيهـم وينهمكـون في صناعـة حاضرهـم ويتطلعـون ويخططـون لبنـاء مسـتقبلهم الأفضـل باسـتمرار فالمسـتقبل لا المـاضي هـو الجديـر بالأهمية والقيمـة والاعتبـار في نظـر وحيـاة كل الأجيـال في كل زمـان ومـكان، وهـذا أمـر مرهـون بالتاريـخ وممكناتـه وليـس بالإنسـان ورغباتـه.

صحيـح القـول: إن النـاس يصنعـون تاريخهـم بأنفسـهم ولكنهـم لا يصنعونـه عـلى هواهـم بـل في ظـل الـشروط التاريخيـة المعطـاة لهـم سـلفا مـن ماضيهـم فالأمـوات يتشـبثون برقـاب الأحيـاء، والتاريـخ دائمـا وابـدا هـو أمـام النـاس لا خلفهـم.

اصـدارات

نواصـل في هـذا العـدد تقديـم عـرض موجـز لبعـض الإصـدارات الجديـدة الـتي تمكنـا مـن الحصـول عليهـا.

عنوان الكتاب:

الدكتـور أبوبكـر السـقاف: الرجـل الموقـف الآتي مـن المسـتقبل.

المؤلـف: إعـداد منتـدى الجـاوي الثقـافي - صنعـاء.

الطبعة: الأولى 2023م

جهـة الاصـدار: منتـدى الجـاوي الثقـافي، ضمـن إصـدارات - آفـاق فكريـة وسياسـية يمنيـة.(*)

الحجم: 400 صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب:

إضافـة إلى كلمـة الأسـتاذ أمـين قاسـم بعنـوان "وداعـاً فقيـد اليمـن أ.د. أبوبكـر السـقاف" وكلمـة للأسـتاذ عبداللطيـف ضيـف اللـه - منتـدى الجـاوي "أبوبكـر السـقاف - اسـتاذاً ومفكـراً وفيلسـوفاً"، "وكلمة-لابـد منهـا" للسـيدة (يلينـا جوريفـا) زوجـة الفقيـد أبوبكـر السـقاف احتـوي الكتـاب عـلى (36) مقالـة ودراسـة مـن المقـالات والدراسـات الفكريـة والسياسـية الـتي كتبهـا ونشرهـا أ. د. أبوبكـر السـقاف في الصحـف والمجـلات اليمنيـة خـلال الفـترة - نوفمـبر1981م إلى

أواخـر التسـعينات مـن القـرن العشريـن.

(*) يذكـر أن منتـدى الجـاوي - صنعـاء سـبق وأصـدر عـام 2011م كتابـا للدكتـور أبوبكـر السـقاف أعـده الاسـتاذ منصـور هائـل حمـل عنـوان "الدكتـور أبوبكـر السـقاف: دفاعـاً عـن الحريـة والإنسـان" تضمـن عـددا كبـيرا مـن المقـالات والدراسـات الـتي كتبهـا ونشرهـا أ. د. أبوبكـر السـقاف.

.....

عنوان الكتاب:

السهل في أساسيات البحث في القانون.

المؤلف: أ. د. يحيى قاسم سهل.(*)

تاريخ النشر: 2023م، الطبعة الأولى.

دار النشر: مطابع دبي، عدن.

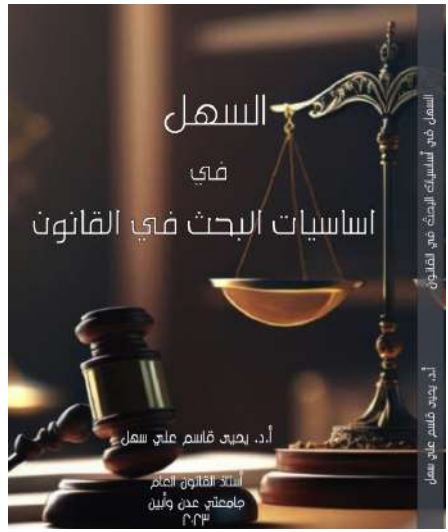

الحجـم 122صفحـة، مـن الحجـم ا لمتو سـط .

محتوى الكتاب:

تضمـن الكتـاب بالإضافـة إلى الإهـداء الـذي خصصـه الكاتـب لـروح الفقيـد معـاذ يحـي قاسـم سـهل الطاهـرة في ذكـرى رحيلـه الرابعـة 2019م - 2023م.

علي (6) فصول على النحو الآتي:

تنـاول الدكتـور سـهل في الفصـل الأول: مفهـوم البحـث العلمـي القانـوني وأهميتـه وأنواعـه. وفي الفصـل الثـاني: مناهـج البحـث القانـوني. وفي الفصـل الثالـث: عوامـل نجـاح البحـث العلمـي القانـوني. وفي الفصـل الرابـع: مصـادر البحـث العلمـي القانـوني، وفي الفصل الخامـس: كتابـة البحـث العلمي القانـوني. وفي الفصـل السـادس: إخـراج البحـث العلمـي. واشـتملت هـذه الفصـول عـلى (18) مبحثـاً، وعـدد مـن المطالـب. واختتـم الكتـاب بقائمـة المصـادر والمراجـع.

(*) أسـتاذ القانـون العـام بجامعـتي عـدن، وابـين.

.....

عنوان الكتاب:

مستجدات وقضايا إسلامية معاصرة.

المؤلـف: أ. د. خالـد أحمـد محمـد الفقيريـة. (*)

تاريخ النشر:2023م الطبعة الأولى.

دار النشر: دار الطبراني - اليمن، لحج.

الحجـم: 415 صفحـة، مـن الحجـم ا لمتوسـط .

محتوى الكتاب:

بالإضافـة إلى الإهـداء، َوالتمهيـد تضمـن الكتـاب سـبع قضايـا رئيسـة تناولهـا المؤلـف في 23 مبحثـاً، و28 مطلبـاً. تنـاول فيهـا "- مفهـوم الإرهـاب والألفـاظ ذات الصلـة مـن المنظـور الإسـلامي، - الأدلـة الشرعيـة في تحريـم أعمـال الجماعـات الإرهابيـة، - دعـوة الجماعـات الإرهابيـة للحـوار والعـودة إلى طريـق الحـق، - ثـورات الربيـع العـربي

مـن المنظـور الإسـلامي، - أهـم التحديـات المذهبيـة في اليمـن، - أمانـة المجالـس في التواصـل الاجتماعـي مـن منظـور الفقـه الإسـلامي، - وحكـم تعاطـي القـات".

(*) اسـتاذ الفقـه المقـارن، كليـة الشريعـة والقانـون، جامعـة أبـين، ونائـب العميـد للشـؤون الأكاديميـة.

.....

عنوان الكتاب:

سرب المحامل. (رواية سيراتية)

المؤلف: الأستاذ/ سالم الفراص.(*)

تاريخ النشر: 2021م الطبعة الأولى.

دار النـشر: مكتبـة ومركـز الصـادق للطباعـة والنـشر، صنعـاء.

الحجـم: 166صفحـة. مـن الحجـم ا لمتو سـط .

تُعـدُّ هـذه الروايـة (السـيراتية) مـن أجمـل صـور كتابـة السـيرة الذاتيـة، حيـث يمـتزج فيهـا حلـم الـذات وطموحهـا بهمـوم الوطـن. تنـاول فيهـا المؤلـف بأسـلوب أدبي رفيـع مـليء بالصـور الأدبيـة البديعـة والحـوار الشـائق بـين الشـخصيات جانـب مـن صـور مـن الحيـاة المظلمـة والمؤلمـة الـتي كان يعيشـها اليمنيـون في النصـف الأول مـن القـرن العشريـن. ولذلـك نجـد المؤلـف يتطلَّـع إلى ولادة فجـر جديـد يُنـير وجـه حيـاة اليمنيـين ويزيـح عنهـم آلام الجهـل والتخلُّـف وينقلهـم إلى مسـتقبل أفضـل يليـق بهـم كما يصـوره ويحلـم بـه المؤلـف.

(*) صحفي، وكاتب أدبي، اليمن.

.....

عنوان الكتاب:

عائدون. (رواية)

المؤلف: محمد علي محسن.(*)

تاريخ النشر: الطبعة الثانية 2022

دار النشر: مطابع دبي- الضالع.

الحجم: 123صفحة، من الحجم الصغير.

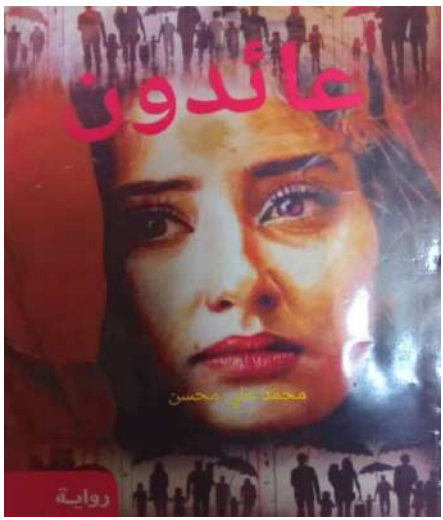

-تحدثت الرواية عن: الرحيل، وعودة كلا من "صلاح الدين، محسن الفقيه، يوسف، راحيل بن يامين، سلطان لحج، عبده الصنعاني، أبراهيم، وفاء المصري، الأميرة سالمة، الزعيم... وغيرهم. وكذلك تحدثت عن: رحيل مها مامو، والعودة إلى أن شكا، وقربتي لم تعد ولم ترحل، وعائد مع العائدين، والرحيل".

(*) صحفي، وكاتب أدبي، اليمن.

.....

عنوان الكتاب:

قلب يحترق. (شعر غنائي)

الكاتب: الشاعر عبدالله عبد الكريم محمد.(*)

تاريخ النشر: 2023م الطبعة الأولى.

جهة النشر: صندوق التراث والتنمية الثقافية، بوزارة الإعلام والثقافة والسياحة - اليمن، عدن.

الناشر: مطابع الأديب عدن.

الحجم :99 صفحة، حجم صغير.

محتوى الكتاب:

احتوى الكتاب "المجموعة الشعرية" بالإضافة إلى مقدمة للأستاذ معمر بن مطهر الارياني، وزير الإعلام والثقافة

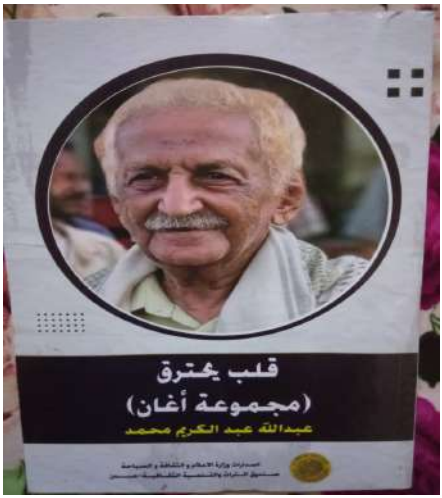

والسياحة على 64 نصَّاً شعريا غنائياً للأستاذ الشاعر عبدالله عبد الكريم محمد، وصاغ ألحانها وغناها في الغالب الموسيقار اليمني أحمد بن أحمد قاسم، وعدد آخر من الفنانين اليمنين أمثال: الأستاذ/ محمد مرشد ناجي، محمد عبده زيدي، فرسان خليفة، صباح منصر، أمل كعدل، أنور مبارك، فضل كريدي ... وغيرهم.

(*) شاعر يمني من مواليد عدن عام 1944م. وصدر له بالإضافة إلى هذا الديوان مجموعة شعرية بعنوان "يا سلام عليك يا حب".

الناصية
مجلة "فكرية ثقافية

تهدف إلى الإسهام في نشر فكر وثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لقضايا المواطنة والدولة المدنية، وتشجيع الإبداع الأدبي بنشر الإبداعات الأدبية والثقافية للأدباء والمثقفين اليمنيين وغيرهم.

قواعد ومحددات النشر:

تنشر مجلة "الناصية" الدراسات والأبحاث والمقالات والموضوعات التي:

_ تتسم بالعمق والدقة والموضوعية وتضيف جديداً للمعرفة.

_ تتلاءم مع قضايا ومجالات اهتمام المجلة وتوجهاتها وسياستها العامة.

_ تتناول المجلة القضايا السياسية من منظور فكري، وليس بالأسلوب الصحفي المباشر.

حجم المواد والموضوعات التي تنشر في المجلة:

_ يشترط في البحث ألا يزيد حجمه عن "5000/6000" كلمة وألا يكون قد نُشر من قبل.

_ يشترط في الدراسة ألا يزيد حجمها عن "4000/5000" كلمة.

_ الموضوعات المترجمة "بحث، دراسة، تقارير،" عن لغات حية ينطبق عليها الشرطان المحددان أعلاه من حيث الحجم.

_ يشترط في المقال ألا يزيد حجمه عن "1500/2500" كلمة.

_ موضوعات عرض الكتب يشترط ألا يزيد حجمها عن "1500/2000" كلمة وألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من عامين، ويُستثنى من ذلك الكتب التراثية، وذات الأهمية والقيمة المعرفية العالية والهامة.

*يحق لهيئة تحرير المجلة إجراء تعديل في حجم الدراسات والبحوث والموضوعات في حالات معينة وفقا لإمكانيات النشر.

* ترسل الدراسات والموضوعات إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني " alnasyahclub@gmail.com"

أو خدمة الواتساب.(00967774782936 00967777808724) مطبوعة في ملف (word) مرفق بها اسم وعنوان الكاتب وعمله ومؤهله العلمي.

*تحتفظ المجلة لنفسها بحق إجراء قدراً محدود من التعديل في الموضوعات التي تصل إليها بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر، بالتنسيق مع الكاتب وموافقته.

* الدراسات والبحوث والمقالات، والنصوص الخ، التي ترسل إلى المجلة لا تُعادُ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

*الموضوعات التي نُشرتْ في المجلة يحق لكاتبها إعادة نشرها في كتاب فقط، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنشر.

مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

عنواننا:

_عنواننا: اليمن. _المقر الرئيسي، عدن.
_هاتف: 02260082.
_جوال. 009677778087240009677331710 39
_البريد الإلكتروني: Amgadfchr@yahoo.com
ـ رابط صفحة "مدونة" المؤسسة في الانترنت.
https://www.facebook.com/ مؤسسة-أمجد-الثقافية-والحقوقية100990208428465-/
_ الرئيس الدوري للمؤسسة. محمد عبد الرحمن.
هاتف + واتس: 00967777808724. واتس: 00967714367122
إيميل.abdm8626@gmail.com

من نحن؟

_ مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية: هيئة مدنية_ أهلية_ نوعية_ ثقافية_ فكرية_ بحثية_ انسانية، غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة وليست لها أية ارتباطات حزبية أو سياسية.
_ تعمل في مجال التنوير، والتنمية الثقافية، ومناصرة الحق في التعليم والثقافة، ونشر ثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان.
_ تأسست بتاريخ 21/يونيو /2018م، وتم إشهارها وبدء ممارسة أنشطتها في 24/اغسطس/2020م
_ حاصل على تصريح التأسيس تحت رقم(297) صادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية،

أهدافنا ومجالات عملنا:

تهدف المؤسسة للإسهام في:

1 - تعزيز التنمية الثقافية الشاملة، والمشاركة المجتمعية في التنمية الثقافية.
2 - نشر وتنمية ثقافة المواطنة والمدينة وحقوق الإنسان.
3 - تنمية وتعزيز حقوق الإنسان الثقافية، وتعزيز أعمال وانشطة المناصرة للحق في التعليم، والحقوق والحريات الثقافية، وحرية الفكر والابداع.

تركز المؤسسة عملها في القضايا التالية:

_قضايا التنوير والثقافة المدنية.
_قضايا الحق في التعليم والثقافة.
_قضايا الثقافة العامة، وتنمية المواهب الإبداعية الأدبية والفنية.

*برامجنا الأساسية:

تؤطر المؤسسة انشطتها في برامج رئيسة تتصل
بالتربية المدنية والمواطنة للشباب والطلاب.
ونشر ثقافة السلام وحقوق الإنسان.
و الأنشطة الثقافية العامة.
كما تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً للمطبوعات لما لها من أهمية في نشر وتنمية الفكر والثقافة، ولذلك فهي:
_ تصدر مجلتا هذه "الناصية"،
_ تسعى لنشر وإصدار مجموعة من الإصدارات تحت عنوان "الكتاب غير الدوري" تتصل بقضايا (التنوير، المواطنة، الدولة المدنية، التعليم والثقافة).
_ تعمل مستقبلاً على إصدار مطبوعة "مجلة" دورية خاصة بثقافة الطفل.

وداعًا

الأديب الكبير
محمد صالح حيدرة

الأديب الكبير أحمد
محفوظ عمر